

الطبعة
الثالثة

www.mlazna.com

RAYAHEEN

نور عبد المجيد

الحق الفراغ

مكتبة دار الفنون

هاشم:

إن كنت ترى أنني أستحق النجاح ، أكتب لي
كلمة واحدة لأذوقه بها .. وإن كنت مازلت
ترى أنني أستحق اللعنة ، فأكتب أيضًا لي
كلمة لأطلب من ربي الرحمة ..
هاشم:

أرجوك .. لا تقتلني مرتين!!

هايدة:

هل يخمد الفراق لهيب الحب أم يزيد اشتعالًا !!
هل ينقضي الحب رغم الزمن أم يموت !!
" رغم الفراق " رواية استثنائية وأجابتها استثنائية..
لن تعرفها إلا حين ترتحل عبر سطورها..

مكتبة الداد العربية للكتاب



إهداء

إلى أخي وصديقي الوحيد ..

إلى قطعة من قلبي وروحي ..

إلى من أشعر دوما أنني أمه رغم أنني لم ألد ، وأنه أبي
رغم صغر سنه ..

إلى من أمسكت القلم وكتبت وطبعت ونشرت ؛ لأنه وحده
أراد لي تحقيق الحلم ..

إلى من كان معي وأنا في الظلام ؛ ويوم أصبحت في دائرة
الضوء ابتعد وتركني ..

إلى من علمني فراقه أن الفراق ليس أبدا

نهاية الحب والصدافة ..

إلى من علمني أن الحب يصبح أكبر ؛ وأن اللقاء يستمر
رغم الفراق ..

إلى صديقي ورفيق القلم والحلم ..

إلى هاني عبد الحميد ...

إهداء

إلى نور:

إلى الرجل الصغير الذي علمني أن أفتح عيني.
كل صباح ، وأنا ابتسم لأنني أعلم أن في أيامي
رجلاً لن يخذلني أبدا ..

إلى كريم:

إلى الزانع الذي كلما أقض الأرق مضجعي ، ألجا إلى
ذراعيه لأغفو وأنام في هدوء ، كالأطفال ..

إلى نور وكريم:

علمني حبكما أن أتمسك بالحياة ،
حتى بعد أن عرفت حقيقتها !!

تدبة

أؤمن أن هناك رجالاً ونساءً يقتسمون بيتاً واحداً ووعاءً
واحداً وفراشاً واحداً لكنهم أبداً لا يلتقون!!
أؤمن أن هناك لقاءات وأحاديث ونجوى وأسراراً تبدأ
ولا تنتهي بين رجال ونساء ، كلٌ منهم في قارة بعيدة!!
أؤمن أن هناك مشاعر تشتعل وتحيا وتثمر خيراً
وعطاءً بعد الفراق!!
أؤمن أن قلوبنا رغم الفراق بالحب تحيا ..
وأؤمن أنه بالمفضل وحده يشفي الإنسان!

نور عبد الحميد

2010/5/28م

حبيبي دينا :

حاولت الاتصال بك كثيرا ولكن هاتفك مغلق ..

دينا ..

شيء ما حدث هذا الصباح .. شيء لا أفهمه .. هل تذكرين صبي طلعت
.. صبي الذي لم أراه سوى مرات ثلاث في هذا البيت .. حضر هذا الصباح
وسأأخذني معه الآن إلى بيته في المتصورة ..

دينا ..

أشعر أن شيئاً ما يدور .. شيء يعلمه الجميع إلا أنا ..

لقد طلبوا مني إعداد حقيبي وجمع ملابسي كلها ..

ماما هدى لم تفاجأ بحضوره كما أخبرتني .. حتى بابا عبد النعم لم يقل
حرقاً واحداً .. في الحقيقة أنا أشعر بالخوف .. لم أزر صبي طلعت يوماً في بيته
.. فليتم بأخذني الآن وبكل ملابسي وأشياءني ١٩

لم تتركني ماما هدى أبيت يوماً خارج بيتها .. فلماذا تقف اليوم بكل هذا
السكون والوجوم ١٩

هل تتخل صبي ماما هدى ولماذا ١٩

يجب أن أذهب الآن .. سأضع لك الرسالة تحت الباب لتجديها عند عودتك، وسأحدثك عندما أصل إلى المنصورة .. سأحدثك عندما أفهم شيئاً من كل هذه الأشياء التي لا أفهمها الآن ..

أنا خائفة يا صديقتي ..

«عائدة»

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

رفعت دينا وجهها الجميل لتتأمل في دحشة إلى ساعة مكتبها الصغيرة .. قاربت الثانية عشرة ظهرًا .. لم يمضها حسن هذا الصباح ، وحتى الآن لم يتصل بها .. وابستمت في حنان .. لقد كان معها حتى الثالثة صباحًا .. لا بد أنه نائم .. اليوم هو يوم أجازته الأسبوعية من عمله في شركة البورصة التي يعمل بها .. لن تحادثه .. يجب أن تتركه نائمًا .. هي أيضًا عند انتهاء دوامها ، ستذهب إلى البيت وتحاول النوم ساعة أو ساعتين .. في المساء سيخرجان من جديد لتناول العشاء في أحد المطاعم ..

عشرون يومًا ويصبحان معًا ليلاً ونهارًا .. عشرون يومًا ويتنقل حسن للحياة معها ومع والدتها في شارع نهرو .. كان يفضل أن يستقلا يسكن خاص ، لكن نجوى والدتها أصرت على أن يبقيا معها .. هي أيضًا لا تريد أن تترك أمها ولا بيتها في شارع نهرو .. لا تريد أن تترك عائدة وهاشم وطنط هدى .

الحياة معهم وإلى جوارهم أجل وأكمل وأكثر نقاء وحلاوة .. لم تكن موافقة حسن سهلة .. حسن يخشى نجوى .. يخشى حديثها وحدة ألفاظها في بعض الأحيان .. لكن دينا تعلم أن نجوى حاتية طيبة القلب هي فقط منذ وفاة مختار ، وهي أكثر عصبية وحدة .. ربما كانت تشعر أن حديثها وعصبيتها هما ذاك الغلاف الذي تقضه على وجهها ، تلعب دور الرجل والاب في حياة دينا .. أو ربما كانت العصبية والحدة هي مظهر من مظاهر حزنها وضعفها

وصاحت سلوى من جديد:

طب ما تقوليلها تيجي ..

وأجابتها دينا قائلة:

حتشوفها في فرحي إن شاء الله ..

حقاً الصداقة الحقيقية هي الجمال الكبير في قلب وحياة الأصدقاء !!



بعد رحيل مختار .. دينا لا تعلم .. كل ما تعلمه أن حسن سيعتاد نجوى .. سيعتاد عصبيتها وحديثها وسيحبها، بل هو بالفعل يحبها .. رفض حسن للحياة في بيت نجوى ما هو إلا حب حقيقي لها .. إنه يخشى أن يحدث ما يشوب هذا الحب ، لكن دينا استطاعت إقناعه أن حياتها ممّا ستصبح رائعة .. دينا تعمل في فندق ميرديان هليوبولس في قسم المبيعات ، وحسن يعمل في إحدى كبرى شركات البورصة في مصر .. نجوى ستهمم بالبيت .. لن يضطر أحدهم للعودة مبكراً لإعداد طعام أو متابعة خادمة .. بل حتى عندما يرزقهم الله بأطفال ، سيكونون بآمن مع نجوى ليتابع كل منها عمله في هدوء وطمأنينة .

ورفعت دينا وجهها تنظر من نافذة مكتبة الزجاجة في حنان .. ما كان حسن ليقنع بسهولة لولا عابدة ومحاولاتها معه .

وابتسمت مرة أخرى لآتيها صوت سلوى من عل المكتب المجاور تصيح:

سرحانة في إيه ؟ اللي واخذ عقلك .. حسن أبو علي طبّقاً ..

وابتسمت دينا ابتسامة أكثر اتساعاً لتقول في صفاء:

عارفة حتى الحب يبقى أجمل وأحلّ لما يكون في حياتك صداقة حقيقية وجميلة .. أنا كنت سرحانة في عابدة جبارتي ..

وعادت سلوى تسأل في خفة ظلها قائلة:

حلوة زيك يا دينا ؟!

ونظرت دينا إلى وجه سلوى الرقيق قائلة:

لما تشوفها حتم في إن الجمال داحاجة ثانية خالص ..

وتنهّد حسن أمام مرآته .. لا شيء يثير خوفه سوى انتقاله للحياة مع
نجوى .. إنها تثيره أحياناً بالفاظها الحادة القاسية ، ولكن حتى عبد الكريم
والده الطيب أفتحه بأن يقبل الحياة معها ..

نجوى لا أحد لها على الأرض سوى دينا .. لم تنجب سواها .. دينا هي
عالمها ، ولكن حسن أيضاً عالم عبد الكريم ..

عبد الكريم تقاعد من الجيش منذ أعوام ، لكنه استطاع أن يكون عالماً
آخر .. التحق بالعمل بإحدى الشركات الكبرى في مدينة نصر ..

استطاع اللواء عبد الكريم فياض بخبرته العسكرية وقلبه الطيب أن
يخلق عالماً جديداً يحيا فيه .. بعد انتهاء عمله في الشركة يعود إلى البيت ، ليعد
طعام الغداء حيث يتناوله مع حسن عند عودته من البورصة ، وفي الساعة
يلعب إلى النادي للتريض ولقاء أصدقائه .

في العاشرة ، يعود إلى البيت ليشرب كوب الشاي ، ويعد بعض
الساندويشات ليجدها حسن عند عودته من لقائه اليومي بدينا .

كم مرة أخبره حسن أنه يتناول العشاء مع دينا ، وأنه أبداً لا يستطيع
أن يأكل مرتين لكن يبقى ذاك الرجل العسكري بداخل صدر عبد الكريم
عيناً كما هو .

حسن عند عودته من عشاءه الليلة مع دينا في فندق الفورسيزونز ، سيجد
صحنًا صغيراً به الثان من ساندويشات الجبن والمربي في انتظاره ..

وانحنى حسن يرتدي حذاءه لينهض ، وينظر إلى مرآته من جديد ..

إنه وسيم .. بشرته بيضاء صافية .. شفتاه مستديرتان وأنفه مستقيم ..
عينيه عسلتان عفيفتان وحاجباه أيضاً يقيان ، في كثافة مقبولة ، حارسين
على اتساع عينيه وعمقهما .

وقف حسن أمام دولاب ملابسه ينتقي ما سيرتديه في لقائه مع دينا ..
اليوم سيدعوها إلى العشاء في أحد مطاعم «فورسيزونز» ..

دينا ستعترض ، ولو علمت نجوى أمها ستثور في وجهه ، وابتمس في
حنان .. النساء تغضب إن كان الرجل بخيلاً لا يفتق ، وتغضب أيضاً إن
كان كريماً .

النساء عالم غير حقاً ولكن لا يهم .. دينا عالم رائع من الأسرار والحنان ..
عالم تهفو روحه إلى أن يلتقي برأسه وجسده عليه ليذوب فيه قطعة قطعة ..

وارتدى بنطلوناً من اللون الكحلي الداكن وقميصاً من القطن الأبيض
ووقف يمشط شعره الناعم أمام المرآة .. إنه وسيم .. قامته معتدلة الطول
وجسده رائع ..

جميل حقاً أن تكون إلى جوار الرجل الوسيم امرأة جميلة مثيرة تشد العيون
إليها .

دينا من أجل بنات مصر الجديدة أو هكذا يراها هو .. حسن عبد الكريم
أيضاً من أكثر شباب مدينة نصر وسامة .

كم كان يتمنى لو يسكن هنا مع دينا في بيت والده ، اللواء عبد الكريم
فياض .. لكن دينا أفتته بحاجة أمها إليها .. لقد بدأت بعض أعراض
الزهايمر تظهر على نجوى في الأعوام الأخيرة .

إته ومسيم وسعيد، وفي طريقه إلى لقاء حبيبة عمره وآبامه .. وبعد أقل من شهر سيصبح زوجًا لفاتة يراها يعيون قلبه أجل فتاة في مصر بأكملها ، وليس أبدًا في مصر الجديدة وحدها .

ووضع زخات من العطر على ملبسه ، وانطلق إلى لقاء دينا، وهو يعلم بذلك اليوم الذي يجعلها فيه أكثر نساء الأرض سعادة بحبه وحنانه !!

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

وقف حسن بسيارته الفضية في شارع نهرو تحت العبرة المطلة على حدائق الميريلاند ، حيث تحيا دينا وحيث سيتقل هو بعد أقل من شهر ..

لا يستطيع أن ينكر أنه يحب هذا المكان ويجب الشارع .. يكفي أن دينا تحبه .. وأنه قريب من مكان عملها ، وأنه سيحيا فيه معها إلى جوار عابدة وهاشم وطنط هدى .. وابتم وهو يتذكر نجوى .. حتى تجوى سيعود بالحياة معها .. إنها حاتبة طيبة عدا لحظات عصبيتها البعيدة .. سيحتلمها وسيعادها من أجل دينا ، ومن أجل تحقيق الاستقرار سيتحمل لحظات عصبيتها البعيدة ..

ووقف حسن يذق جرس الباب لتعلل نجوى من خلف الباب ، وهي تبسم قائلة:

اتفضل يا حسن يا حبيبي ..

ودخل حسن في هدوء ، وهو يسمعها تكمل قائلة:

دينا لسه صاحبة مالهش عشر دقائق ويتلبس ... من ساعة مارجعت من الشغل وهي نايمة .. ماتبقوش تتأخروا بالليل يا حسن .. دي حتى ما أكلتش لقمة .

وابتم حسن ، وهو يجلس على أحد مقاعد الريسيشن ، ليقول ضاحكًا :

طب هي ما أكلتش يا حماتي عشان كانت نايمة ، بس أنا أجازة وما أكلتش

برضه .. عالموم ما تفتلش احنا حتتمشى برا ..

ونظرت إليه نجوى في ثبات ثم قالت:

سعادة اللواء عبد الكريم بيه ما عرش أبدًا يملك النظام يا حسن ..
ما هو أنت يا حبيبي لو بنتم في وقت محدد وبدري ، كان يومك ويوم دينا
بقي منظم أكثر .

وتحمل حسن قليلًا في مقعده ليقول بعد لحظات :

هي دينا قدامها كثير؟!

ونفضت نجوى عن مقعدها قائلة :

حاستعملها .. أعملك حاجة تشربها على ما تيجي ..

واختفت نجوى بعيدًا عنه ليكتف حسن وهو ينظر حوله في هدوء ..

كيف ستكون الحياة مع نجوى .. لا يعلم ولكنه سيحاول من أجل دينا ..
سيحاول .. إنه حقًا يحب نجوى لكنه خائف .. حسن لا يريد أبدًا أن يحدث
ما يعكر صفاء سعادته وحياته مع دينا ..

وأفاق على صوت دينا وهي تتقدم نحوه ..

كانت ترتدي جوب سوداء ضيقة تقف فوق ركبتها البيضاء وقميصًا
قصيرًا من الحرير الوردي .. كان صدرها المستدير يطل من خلف أزوار
قميصها العلوية المفتوحة في بهاء كبير ..

ورفع حسن عينيه ينظر إلى عينيها البنية الواسعة المرسومة بعناية لم تغف
آثار النوم الظاهرة عليها رغم جملها .. أنفها الأبيض الدقيق وأسفله شفاهها
الرفيعة الملونة بلون قميصها الحريري كانت جميلة مثيرة .. حتى شعرها
البندقي القصير كان رائعًا مثيرًا .

وتقدم حسن نحوها ليضمها إلى صدره في حنان ، وهو ينظر بعينه من
خلف كتفها في اتجاه المطبخ حيث دخلت نجوى ..

وابتعدت دينا عن صدره بسرعة وهي تهمس:

اوعى يا حسن ..

وابتعد حسن وهو يهشم صائحًا:

طبط إحنا خارجين بلاش تعمل حاجة والنبي ..

وأمسك حسن بكف دينا ليركض نحو الباب، وقبل أن يخرجها سمعا
صوت نجوى خلفها تقول:

ما تأخروش يا حسن .. أنت كمان عندك شغل بكرة ..

وقبل أن تغلق دينا الباب ، قالت نجوى :

يا خير يادينا .. أنا نسيت .. كان في ظرف عشائك تحت الباب لقيته
الصبح ..

وابتسمت دينا وهي تلوح لها وتمز رأسها .. لا ورق ولا رسائل على
الأرض تهما الآن .. ما يهما هو أن تتأبط ذراع حسن عبد الكريم لتخرج
معه وبين ذراعيه ، حتى يأتي يوم لا تفارق فيه ذراعيه ليلاً أو نهارًا !!

ولكن «هاشم» يعود أيضًا من أجل عابدة .. نعم .. عابدة الضلع الثالث
من أضلاع مثلث السعادة التي يحياها .

في منزل هاشم مثلث كبير .. تدغدغ أضلاعه أعصاب هاشم في حنان ..
مثلث يدعوهُ إلى العودة .. يدعوهُ إلى البقاء .. أصدقاءهُ وزملاءهُ يكنيه منهم
ذاك الوقت الذي يمر بين المحاضرات ، وفي بعض الدروس الخاصة لكن
السعداء لا يتأخرون .. هاشم أكثر شباب مصر سعادة بعائلته الصغيرة .

ولم ينتظر هاشم المصعد، بل ركض على سلام البيت في خفة .. يجب أن
يصل قبل أن تطلبه هدى وتجد هاتفه مغلقًا .. ستجن خوفًا إن فعلت ..
يجب أن يصل ليخبرني الكتاب الذي أحضره لعابدة .. سيفاجئها به بعد انتهاء
العشاء .. لقد بحث عنه كثيرًا .. أخيرًا أحضره علي صديقه هذا الصباح
.. إنه أحد مجموعة أعمال عادة السنان .. تحبها عابدة .. تحب قصائدها ..
حاولت كثيرًا الوصول إلى هذا الكتاب في مصر ، ولم تجده ، ولكن ها هو علي
صديقه أحضره له من بيروت .

«أشهد عكس الربيع» .. أخيرًا سيهديه لعابدة .. أخيرًا سيجلسان معًا
ويتصفحان أوراقه .. ليرى أي قصيدة ستحبها .

سيتفنان .. حتى سيتفنان .. لقد فتح هاشم عينه على امرأتين .. هدى
أمه وعابدة .. عابدة هي التي حلت هاشم بين ذراعيها يوم مولده ، وهي في
الخاصة من عمرها .

كيف لا يعود وخلف هذا الباب مثلث ، له ثلاثة أضلاع أحدها حب
والآخر رقة ، والثالث أمان لا حدود له .

السعداء لا يتأخرون أبدًا عن العودة إلى منازلهم!

أغلق هاشم هاتفه الصغير ، بعدما أوقف سيارته الشروكي الفضية تحت
باب العمارة .. وصل أخيرًا بعد انتهاء اليوم الدراسي ..

وسار هاشم نحو باب العمارة ، وهو يحمل كثيرًا من الكتب بين يديه
.. كل أصدقائه لا يعودون إلى منازلهم فور انتهائهم من اليوم الدراسي ..
وحده هاشم يعود .. ووحده سعيد بعودته إلى البيت .. النساء فقط هم
الذين يهربون من العودة إلى منازلهم .. لكن «هاشم» عبدالمعتم رغم أعوامه
التي جاوزت العشرين .. رغم جيوبه اللامعة بالقود دوماً .. رغم شبابه
وسامته ونفوقه الدراسي ، لا يجد مكانًا على الأرض أجل من بيته .. هدى
في البيت .. هدى أجل وأرق أم تنتظره كل مساء ، كأنها تنتظر طفلها العائد
من أول يوم يذهب فيه إلى المدرسة .. هدى دوماً تصبح بعد أن يفتح الباب
في الثامنة مساء ، وهي تقول في حب:

«تأخرت يا هاشم وحشتي يا حبيبي» .

كيف لا يعود هاشم إذن؟!

في البيت أيضًا والده الدكتور عبدالمعتم شيرازي ، أستاذ القانون وأحد أكبر
المحامين في مصر .. معتم يذهب إلى مكتبه كل مساء في التاسعة .. لا يمكن
أن يخرج إلا بعد أن يعود هاشم ، ويتناولوا جميعًا وجبة الغذاء التي أصبح
موعدًا الثامنة والنصف منذ التحاق هاشم بالجامعة .. في التاسعة يذهب
الدكتور معتم إلى مكتبه ، ويبنى هاشم مع هدى .. كيف إذن لا يعود!!

وفتح هاشم الباب لتصبح هدى:

هاشم .. قافل تليفونك ليه يا حبيبي؟

وابتسم هاشم لتضيء ابتسامته وجهه الأبيض المستدير .

ونظرت هدى إلى عينيته الخضراوين في حنان .. إنه قطعة من جدته لأبيه الإيرانية .. عيناها المستديرتان الملونتان .. أنفه الذي يقف في اعتدال .. وشفتاه المستديرتان .. حتى شعره البني الناعم هو شعر جدته والدة منعم رحمها الله .. شيء واحد لا تعرفه هدى .. وهو كيف جاء هاشم بهذا الطول ، بينما هي ومنعم والده بيلان إلى القصر ، لكنها أقبلت نحوه لتضمه في حنان .. لا يهتما إن كان هاشم طويلًا أو قصيرًا .. جميلًا أو دميًا ، بل ربما كانت تتمناه أقل جمالًا لئلا تخاف عليه من عيون النساء بل عيون البشر جميعهم .. وضمته إلى صدرها في حنان ، وشعر هاشم أن شيئًا ما في عناقها اليوم يختلف ، لكنه ابتسم ابتسامته المألوفة، وهو يقول:

ياستي .. أنا قفلت التليفون من ثواني تحت باب العمارة .. أنا حادخل أودتي أغير .. باي فين؟

وأجابت هدى قائلة:

بيليس .. يللا الأكل جاهز .

وأقبل هاشم من غرفته ليجلس إلى المائدة ، بعد أن قتل رأس منعم ، ثم قال، وهو ينظر حوله في هدوء:

عايدة فين؟

وردت هدى بسرعة قائلة:

دينا خدتها .. تلاقبها عايزة تاخذ رأيها في طريقة قرش البيت .

إلا أن «هاشم» قال في تعجب:

يعني إيه .. مش حانتغدي؟

وأجاب منعم في صوت خفيض:

كُل أنت يا هاشم دلوقتي .

كان هاشم جائعًا فأخذ يلتقط قطع البطاطس التي يجيها ، وهو يقول:

مش أنا جيتلها الكتاب بتاع عادة السَّهَّان اللي كان نفسها فيه يا مامي .. أوعي تقوليلها .. أنا حاسطه على سريرها عشان تلاقبه لما ترجع .

ثم عاد يقول:

هي اتغدت ولا أعملها طبق؟

وأجابت هدى في نبرة حزينة:

أكيد اتغدت يا هاشم .. أكيد ..

والقى منعم بالشركة في صحته ، وهو ينظر إلى وجه هدى كأنه يلومها ، ثم نهض قائلاً:

ماليش نفس أكل .. أنا نازل المكتب يا هاشم .

وعادت هدى تطعم «هاشم» ، وهي تحاول أن تشيع جزءًا من المرح .

وانطلق هاشم يمشي لماعن يومه ويسألها عن يومها .. عن دينا .. عن طنط نجوى .. إنه سعيد لأن دينا لن تغادر عمارة غيرو بعد زواجها .. دينا قطعة من قلبه وعائده .. دينا أكبرهم .. دينا في الثامنة والعشرين ، وعائده في السابعة والعشرين .. وحده هاشم أصغرهم ، فهو في الثانية والعشرين من عمره .. ولكن عايدة دومًا كانت هي أكبرهم .. عايدة هي التي كانت تحنو

عليهم وتمنحهم نصيبها من الحلوى ، بل كانت تتظاهر في طفولتها دومًا أنها خسرت في تلك الألعاب التي كانوا يلعبونها ممًا وهم أطفال لترامهم سعداء.

نجوى وهدى أيضًا كانتا صديقتين .. يوم مات مختار والد دينا أصبح منعم والدها ، وأصبحت نجوى تعود إليه في كل قرار في حياتها .. حتى يوم جاء حسن يخطبها ، أخبرته أن «منعم» وحده صاحب القرار ، ومعه وحده يجب أن تتم الاتفاقات .. نجوى أيضًا كانت مترددة في قبول حسن .. بل ربما كانت ترفض زواج دينا برمته .. نجوى تريد دينا أن تبقى معها .. نجوى مجنونة بديننا وسعادة دينا ، وترى أن زواجها كان من الممكن أن ينتظر أعوامًا .. حتى يوم التحقت دينا بالعمل الذي وضعها فيه عبد المنعم شيرازي كانت مترددة .. كانت تخشى عليها من الخروج كل يوم ، والاحتكاك بمجال الفنادق والسياحة .

لكنها قبلت .. ألحت دينا وقال منعم كلمته ..

لكن «منعم» ما استطاع أبدًا أن يفرض كلمته على هدى ، حين طلبت عابدة الالتحاق بعمل ما هي الأخرى بعد تخرجها .. هدى رفضت .. هدى تخوفها على عابدة أكبر من خوف نجوى على دينا ..

وخضوع عابدة واحترامها لرغبات هدى أكبر من خضوع دينا وانصياعها لنجوى ..

وابتسم هاشم في حنان .. لقد وعد عابدة أن تخرج للعمل عندما يتخرج هو من الجامعة العام القادم .. وعدا أنه هو لحظتها سيقنع هدى .. سيأخذ عابدة معه كل صباح ، وسيعود لاصطحابها إلى المنزل .. عابدة تريد أن تعمل ، ومن حقها أن تخرج إلى العمل وإلى الحياة .. ربما كان هاشم في أعماق أعماقه سعيدًا ببقائها في البيت .. هاشم وعائلته الصغيرة يرون عابدة أنقى وأرق

من أن تخرج إلى الشارع .. عابدة زهرة مكانها قلوبهم وأعينهم ، وربما كان هاشم أيضًا يغاز عليها .. لا عين ترى عابدة دون أن تغف عندها ولا قلب يراها ، دون أن يتمنى أن يسكن قلبها ، ولا رأس يعرفها ولا يتمنى أن تصيح من نصيبه ..

ورفع هاشم عينه ليقول وهو ينهض عن مقعده:

لا .. أنا حاروح أجيب عابدة .. كلنا مش عارفين ناكل من غيرها .

وقبل أن ينهض هاشم ، وضعت هدى كفها على كفه الأبيض ، لتقول في مراة لم تستطع أن تخفيها:

هاشم .. عابدة مش راجعة .. عابدة مش عند دينا .. عابدة مشيت!

ولم يفهم هاشم شيئًا لكنه جلس على مقعده مرة أخرى ، قائلاً في ذهنه:

مشيت 19 راحت فين 19!

وقاومت هدى دمة صغيرة رقصت في عينيها لتقول:

راحت المتصورة .. رجعت بلدها عند عمها .. خدتها الشهادة الصحيح .

وسقطت الدمة الحائرة ، عندما رفعت هدى عينيها لتتأمل إلى وجه هاشم

الشاحب ، ثم قالت:

هاشم .. عابدة مش راجعة ثاني!!



إنجاب طفل .. وكرها كل أطباء النساء والتوليد والعقم، وقررا أن يخلقوا هذا الباب إلى الأبد .. كانت هدى قوية صامدة رغم انكسارها الكبير .. إلا أنها بقيت كما كانت يوم زواجه منها .. بقيت تحبه وتدله كأنه طفلها، وبقي هو قائماً صامداً لا يبالي برغبته الدفينة في أن يصبح أباً .. حتى كان ذلك الصباح، يوم رأى هدى تبكي، في ذهول لتخبره أن طلعت إبراهيم حادتها في منتصف الليلة الماضية ليخبرها بوقاة أخيه وزوجته في حادث فطعن .. كانت هدى تبكي، وهي تصف له كيف وجدوا أحلام زوجة صابر، وهي تحضن عابدة بين ذراعيها .. وجدوا صعوبة كبيرة في فك ذراعيها من حول الصغيرة التي جاوزت الرابعة من عمرها .. شامت الأقدار أن تنجو عابدة وحدها، دون أن يصيبها حتى خدش صغير، وكان ذراعي أمها هما طوق نجاتها .

بكت هدى وهي تحكي لنعيم ذلك الصباح، ثم عادت ترفع وجهها لتخبره أن طلعت لا يريد رعاية عابدة ولا يعلم أين يذهب بها .. أحلام أمها كانت وحيدة لا عائلة لها .. وطلعت هو الأخ الوحيد لصابر، ولكنه مثل بخمسة من الأبناء والبنات، كما أن زوجته امرأة سليطة اللسان قاسية القلب .. عمل طلعت سائقاً لدى والد هدى زمناً، ولكنه بعد أن أنجب أبناء الخمسة فضل العودة إلى المنصورة والبقاء فيها، حيث فتح بقالة صغيرة ليصبح إلى جوار زوجته وأبنائه .

منعم لا يذكر أبداً متى بالتحديد أعلنت هدى رغبتها في تربية عابدة .. منعم لا يذكر حتى إن كانت هذه فكرتها، أم أنها كانت من إعجاب طلعت لها. كل ما يذكره هو أنه في اليوم الثالث لوقاة والذي عابدة، جاء بها طلعت إليهم ..

منعم لا ينسى أبداً كيف وقفت عابدة بأعواها الأربعة، تنظر إلى هدى ومنعم في خوف كبير، وتثلثت حولها في ذهول .

نظر منعم إلى الساعة الموضوعة على مكتبه في ملل وحزن كبيرين .. فوجدتها قاربت منتصف الليل .. يجب أن يعود إلى منزله .. ولكن كيف يعود، وهو يعلم أن منزل عبدالنعم شيرازي لم يعد أبداً كما كان ..

كم مرة حادته هاشم ليسأله عن طريقة يصل بها إلى عابدة؟!

كم مرة حاول منعم نفسه أن يصل إليها .. هاتفها الصغير مغلق .. وهاتف طلعت عمها أيضاً مغلق .

واستدار منعم بكرسيه الجلدي الكبير إلى النافذة الكبيرة، التي تقع خلف مكتبه لينظر إلى ميدان روكسي في حزن .. كل شيء يتلألأ في الميدان .. مصابيح الشارع ومصابيح السيارات .. المحال الكثيرة وروادها الذين مازالوا يشككون على الأرصفة رغم انتصاف الليل .. كل شيء كما هو في ميدان روكسي .. كل شيء كما هو في مكتب الدكتور عبد المنعم صادق شيرازي، ولكن لا شيء أبداً سيبقى في قلب منعم .. ولا قلب هاشم وحده ولا حتى قلب هدى كما كان!!

وخلع منعم نظارته التي كان يرتديها لقراءة الملفات، وعاد يستدير إلى النافذة من جديد .. ولمح بعينه امرأة تسير ويدها طفلة صغيرة لا تتجاوز الخامسة من عمرها .. وبلا وعي خرجت من صدر منعم آهة كبيرة .. كأنه رأى عابدة يوم دخلت بيته منذ أكثر من عشرين عاماً .. كم كان عمره آنذاك .. كان في الثانية والأربعين، وكانت هدى في الأربعين من عمرها .. يشا من

منعم لم ولن ينسى أبدًا كيف كان ثوبها القديم متسخًا ، وكيف كان شعرها مهوشًا حول وجهها الأبيض الرقيق .

أحضرها طلعت بثوب مشغ وصندل أسود يكاد يكون عمزقًا وتركتها ، كأنه تخلص من قطعة لحم فاسد ألغاه خارج بيته .

منحته هدى يومها مبلغًا من المال ليستعين به بعد مصروفات الوفاة والدفن ، وأخبرته أنها لن تسمح له أبدًا باصطحاب عابدة في أي زيارات إلى النصورة .

منعم لن ينسى كيف نظرت طلعت إليها مبسبًا في مرارة ، وهو يقول إنه حتى لا يملك أن يحضر إليها .. إنه مشغول مثقل بالأعباء والمسئوليات .. لو غاب يومًا عن بقاته ، فلن يجد ثمن قارورة حليب يعود بها إلى زوجته وأبنائه الخمسة .

وبقيت عابدة ترتجف بعد خروج طلعت من البيت ، وأخذتها هدى إلى الحمام لتخرج بها بيشاء جميلة مشرقة .. لكن هدى صاحبت لحظتها عندما اكتشفت أنه لا شيء لديها يصلح لأن ترتديه الصغيرة .. ولاحت ابتسامة مريرة على وجه منعم ، وهو يتذكر كيف وضعتها هدى في السرير تحت غطاءها ، وذهبت إلى نجوى لتأخذ منها بعض ثياب دينا لترتديها الصغيرة القادمة ؛ حتى تشتري لها لوازمها في الصباح التالي .

وانتنفض منعم ، وهو يسمع صوته يقول: «آه يا عابدة!» .

منذ رآها ترتجف بجسدها العاري الصغير تحت غطاء سريه ، وهو يحبها .. منذ تلك اللحظة وهو يشعر أن عابدة بيامة صغيرة لا حول لها ولا قوة .. تلك اللحظة لم ينسها أحد .. حتى نجوى ودينا عندما جاءا مع هدى وهي تحمل بعضًا من ملابس دينا أحيوها في نفس اللحظة .. نجوى كانت

دومًا تستعيد تلك اللحظة .. كانت عينا عابدة الخضراء ترسل ألف استغاثة وصرخة خوف وحيرة .

منعم لن ينسى أبدًا أن نجوى وقفت بباب غرفتها ، تنظر إلى عابدة التي أطل رأسها من تحت غطاء السرير في خوف لتصبح نجوى في حنان:

يا حبيبي يايتي .. ليسها بسرعة يا هدى ..

وجلست هدى إلى جوارها على حافة السرير ؛ لتخرج عابدة بجسدها الصغير العاري وتقف أمامهم جميعًا ، وهدى تسارع بوضع الملابس على جسدها .. حتى دينا التي كانت في الخامسة يومها ركضت نحو عابدة لتسألها إن كانت تريد ثوبًا آخر إن لم يعجبها ما أحضرته لها هدى .. حتى دينا الصغيرة في ذلك الوقت شعرت بخوف عابدة وانتفاضتها .. دينا وقفت تريت على رأس عابدة التي تصغرها بعامين ، وهي تقول لها:

«انتِ حلوة قوي .. اسمك إيه؟» .

وفي لحظة .. في اللحظة ذاتها وقع الجميع في عشق البهامة الصغيرة .. نجوى وهدى ومنعم .

دينا وعابدة أصبحتا كتوءتين لا تفترقان إلا عند ذهاب دينا إلى مدرستها، أو أثناء قيامها بواجباتها المنزلية .

كم كان الجو باردًا .. لن ينسى منعم أبدًا كيف كانت عابدة تنتفض خوفًا وبردًا ، ولكن كيف ينسى أن قلبه هو أيضًا كان ينتفض شوقًا إلى الدفء الذي ملأت به عابدة البيت .. لم تكن أبدًا تثير المشاكل .. بل لم تكن حتى في حركة الأطفال وصجيجهم ، وكان تلك اللحظات التي قضتها بين ذراعي أمها الميتة خلقت منها طفلة هادئة ناعمة ، في عينيها انكسار وأطياف حلم ، لا هو يتحقق ولا هي تياس منه أبدًا .

دوماً قصير ، يقف عند نهاية عنقا الأبيض الطويل .. عابدة ليست طويلة أبداً .. إنها كمالك صغير يتلأل وجهه بالرضا والحنان .. عابدة ليست فقط جميلة .. لكنها حنون متدفقة المشاعر والأحاسيس .. إنها هدية من رب السماء ..

آه يا عابدة!! بعد حضورها بسنة شهور اكتشفت هدى أنها حامل .. لن ينسى متعم أبداً كيف ضمت هدى عابدة إلى صدرها ، وهي تعلن أن الله أكرمها بالمعجزة الكبرى ؛ لأنها ضمت اليتيمة وأكرمتها .

ظن متعم أن هدى ستعيد عابدة إلى طلعت بعد مولد هاشم .. ظن متعم أن حبه لعابدة سينتثر بعد مولد هاشم ، وهو في الأربعينيات هو وزوجته ، ولكن أبداً لا حبها هذه اليتامة تغير ، ولا اليتامة شعرت بالغيرة من مولد هاشم .

عندما ولد هاشم ، كانت عابدة في عامها الأول في مدرسة سان جوزيف .. كانت عابدة تركض إن دخلت البيت بحثاً عن هاشم .

هاشم وعابدة!! من كان يعلم أن هاشم سيحب عابدة ولكن من يلومه .. هذه اليتامة يجب أن يعشقها الجميع .. هذه اليتامة رسالة حب وحنان إلى كل من وقفت على نافذته .

لا فائدة .. يجب أن يعود متعم إلى البيت .. إنه يوم عصيب .. لم فعلت هدى هذا!!

لا يعلم إن كان يجب أن يلومها أو يشكرها ..

مسكنة هدى سيقى عذابها مضاعفاً .. فراق عابدة يذبحها ، واختيارها لهذا الفراق سيلبدها أكثر .

يجب أن يعود .. رغم كل شيء ، يجب أن يكون إلى جوار هدى وهاشم في أولى ليالي الفراق .

أطفالاً متعم أضواء المكتب كلها .. لقد ذهب الجميع منذ أكثر من ساعة وهو أيضاً يجب أن يذهب .. يجب أن يذهب إلى بيت متعم صادق الذي فارقه يامة بيضاء جميلة ، ظلت ترفرف على نافذته أكثر من عشرين عامًا .

حين أطفالاً الدكتور متعم محرك سيارته المرسيديس ، ووصل إلى الدور السابع حيث لا شيء سوى بيته وبيت نجوى ، فتح باب المصعد ليوفر نفساً عميقاً من صدره ، وقبل أن يصل إلى باب بيته ، سمع دينا تفتح باب بيتها ، وهي تصيح:

أنكل متعم .. عابدة فين؟! أنا لسة راجعة لقيت الجواب .. طلبتها ما يتردش .. عابدة فين يا أنكل متعم!!

والتفت متعم ينظر إلى دينا العروس الجميلة ، ورأى في عينيها خوفاً وذهراً ذكره ببيامته البيضاء ، فقال ودعما صغيرة تسقط من عينيها:

عابدة مش حاترجع يا دينا .. مش حاترجع!!

من بعد هذه الليلة سيتسلل إلى غرفته ، بعد نوم هدى ومنعم ، ليجلس إلى جواره أمام الكمبيوتر ليبحث مَعًا عن أحل الأغاني والصور .

ورفع عينه ليرى وجهه منكشًا على زجاج النافذة .. إن وجهه الأبيض الجميل حزين ، وعينه الخضراء المستديرة دامعة ..

نعم .. يجب عايدة .. يجبها .. صرخت هدى يوم أخبرها هاشم أنه يريد أن يتزوج عايدة بعد الانتهاء من الجامعة .. لم يرها يومًا بهذه الثورة وهذا الغضب .. لقد أقسم لها ألا شيء يبهنها .. لقد أمسك بالمصحف بين أصابعه وأخبرها أن عايدة نفسها لا تعلم شيئًا .. لكن هدى ما هدأت أبدًا .. منذ ذلك اليوم ، والذي مضى عليه شهران ، وهدى لا تكف عن مراقبتها .. هدى أخبرته أنها لن تسمح أبدًا بأن يفكر في عايدة كأى شيء على الأرض ، سوى أنها أخته التي كبرت إلى جواره .

هدى تفضل أن تقتل نفسها على أن تسمع هذه الجملة تخرج من شفتيه مرة أخرى .. عايدة أكبر منه .. عايدة ابنة سائق بسيط من إحدى قرى المنصورة ، وعما كان سائقًا لدى جده .. بل إن زوجة عما كانت خادمة في بيت والدها ..

هاشم صادق يجب أن يتزوج فتاة تليق به ، وبأبيه الدكتور منعم صادق أستاذ القانون .. هاشم صادق وريث هدى أباطة ابنة سليمان أباطة الوزير السابق .

هدى صرخت يومها وهي تصيح أن «هاشم» مازال طفلًا .. مازالت أمامه أعوام من التجارب وقصص الحب والعمل والتجاذب حتى يفكر في الزواج .. لن ينسى هاشم أبدًا أنها أخبرته في ثورتها أن عايدة يجب أن تعود من حيث أنت .

عايدة لن تعود .. قالتها هدى .. وإن قالت هدى كلمة فهي تعنيها .. لم تقل هدى يومًا كلمة جزافًا .. هدى وراء رحيل عايدة ، أو على الأقل هدى سعدت برحيل عايدة ..

ويلا وعي عاد هاشم يتحسس كتاب غادة السمان بين أصابعه من جديد وهو يفكر في عايدة .. ليتها أخذت معها الكتاب .. كانت ستؤنسها قراءته وهي وحدها هناك .. ليتها بقيت يومًا آخر .. ليتها رحلت في الغد .. ولكن هاشم يعلم أنها كانت سترحل يومًا .. ودق هاشم رأسه بقيضته في عنف .. إنه يلوم نفسه .. هو المسئول عن رحيل عايدة .. لم يكن يعلم أن جملة صغيرة قالها هدى تشعل كل هذه الحرائق .. لم يكن يعلم أبدًا أن جملة صغيرة بإمكانها أن تمحو أعوامًا من الحب والذكريات .. جملة صغيرة تمحو إنسانًا بأكمله وتلقي وجوده في بيت منعم صادق .

ولكن ربما كان غخطًا .. لِمَ يظلم هدى؟!

نهض هاشم عن فراشه ، وغطى نحر نافذة غرفته المظلمة على حدائق الميرالاند بمصر الجديدة ، ووقف يرقب الشارع من خلف زجاج نافذته ..

رحلت عايدة .. في أذن من سيلقي هاشم النكات التي يسمعها ويردها حتى لا ينساها .. بذراع من سيمسك عند الذهاب إلى دار الأوبرا أو السينما؟! .. من سيستمع معه إلى موسيقى ياني وخيرت؟! ..

دخلت هدى غرفة هاشم في الساعة صباحاً لتوقظه .. إنها تتحرك ببطء .. أوعاها التي جاوزت الستين ، وأحزانها التي جاوزت الألف عام تقف دون الحقة .. وجذبت سائر النافذة الكبيرة التي تطل على شرفة كبيرة ، حين تخرج إليها تشعر أنك تنوسط بحيرة حدائق الميرلاند .. غيروا البحيرة منذ أعوام .. كانت مساحتها أكبر وعدد الطيور بها كان أكثر ..

عندما نظرت إلى طيور الفلامنجو الوردية شعرت هدى أنها حزينة .. حتى طيور البحيرة بدت حزينة .. كل شيء حزين لرحيل عايدة .. عايدة ليست مجرد فتاة جميلة ، ولا حتى ابنة هدى ، ولا هي فقط أول من قال لها «ماما» .. عايدة زهرة رقيقة حانية ، يستشعر جمالها كل ما حولها ، وإن كان قطعة من الجهاد .. واستدارت هدى لتعطي في هدوء إلى سرير هاشم لتجلس على حافته ، وهي تنظر إلى وجهه النائم في حنان .. وعندما مدت أصابعها لتحكم عليه الغطاء ، شعرت بشيء ما على صدره وأزاحت عنه الغطاء لتجد كتاب عادة السهان غائياً بين ذراعيه ..

وسقطت دعة صغيرة من عينها .. هاشم يحب عايدة حقاً ..

ما كان من الممكن أن ترضخ هدى لهذا العشق المجنون .. ما كان من الممكن أيضاً أن تتجاهل هذه القصة .. كان من الممكن أن تشعر بها عايدة .. كان من الممكن أن تستجيب له ..

لم يفهم هاشم لحظتها ما تعنيه هذه الكلمات .. كل ما كان يعنيه لحظتها أن تهدأ هدى .. إنه يجيها جنون .. إنه يتخشى عليها .. إنها مريضة .. هدى تعاني من ضعف في عضلة القلب ، بالإضافة إلى السكر والضغط .. كان كل ما يعنيه لحظتها ألا تغضب هدى .. لم يكن يتخيل أبداً أن تفعل هذا .. ولكن ربما كانت مصادفة .. ربما جاء حقاً عم عايدة وأصر على اصطحابها .

لكن هاشم نفخ رأسه في جنون .. أبداً ما كانت هدى لتتركها ترحل .. هدى لا تستسلم أبداً .. هدى امرأة لم ير هاشم مثلها يوماً .. لا شيء يساوي حنانها وعطاءها إلا إصرارها وعنادها .

عايدة لن تعود .. قالتها هدى .. وهاشم يؤمن أن كل كلمة تقولها هدى هي حقيقة يجب أن يسلم بها .

عايدة بعيدة جداً .. عايدة ليست في المتصورة .. عايدة في حياة أخرى وعالم آخر .. هدى لن تسمح لها بالعودة إلى حياة هاشم أو عالمه ، وهاشم لن يقوى أبداً على التمرد على هدى .. لن يقتلها هاشم .. ليته ما قالها .. ليته ما أعلن حبه لعايدة .. عايدة وحدها تدفع ثمن خطئه .. عايدة تدفع ثمن حب هاشم لها ، وهي حتى لا تعرف شيئاً عن هذا الحب .. نعم .. عايدة لا تحبه .. عايدة تراه كما تراه هدى طفلاً صغيراً .. عايدة مازالت تدخل عليه كلما نهضت عن سريرها ليلاً .. «التحكم عليه الغطاء ولتأخذ من بين أصابعه جهاز الريموت كنترول لتطفي جهاز التلفزيون .. عايدة تدفع ثمن خطأ وقع فيه هاشم وحده .

ضم هاشم كتاب عادة السهان إلى صدره ، وهو يحملني في سقف غرفته .. «أشهد عكس الربيع» .. كتاب لن تقرأه عايدة أبداً .. وحب هاشم لها سيبقى حباً لا تعرف عنه شيئاً أبداً!!!

وعادت هدى تنفض رأسها في خوف .. عابدة وهاشم أخ وأخت هكذا يجب أن يبقيا ما بقيت الحياة ..

هدى خشيت على عابدة أكثر من خوفها على هاشم نفسه .. ولكن هل أخطأت يوم حادثت طلعت وأحضرت به إلى بيتها لتخبره؟! هل أخطأت يوم طلبت منه أن يأخذها إلى المصورة؟ هل أخطأت يوم أخبرته أنه يجب أن يجد لها زوجاً بمعرفة الشخصية ..

هدى لا تريد أن تخوض معارك ومهارات .. لا تريد أبداً أن يقف طلعت أمامها يوماً ليرفض رجلاً تحضره هدى .. ولكن لم ليست سعيدة .. لم تشعر أنها تحفل عن عابدة .. لقد أخبرها طلعت أن لديه لها زوجاً رائفاً .. شاب يعمل الجنسية الإنجليزية .. في اليوم السابق لحضوره أخبرها أنه أعد كل شيء وعابدة ستزوجه خلال أسابيع قليلة .. لم تشعر هدى بالذنب إذن؟!

هاشم سينسى .. هاشم يجب أن ينسى .. هاشم مازال طفلاً صغيراً .. عندما يتعد عابدة ، سيعرف كيف ينظر حوله .. سيتعلم كيف ترى عيناه سواها .. هدى وحدها أكثر من سيقتلها فراق عابدة!!

عابدة ابتنتها .. عابدة هي التي تبقى معها في البيت، عندما يتركه هاشم ومنعم .. عابدة هي التي تخرج معها إلى الزيارات والدعوات والسهرات .. عابدة هي التي تملأ أيامها حباً وعطاء ..

هدى لم تتدخل عن عابدة بما فعلته .. هدى أنفذتها من خطيئة قد تحدث .. هدى تساعدها على أن تحفظ بهاشم أختاً هدى الحياة ..

وتحسنت هدى الكتاب بين أصابعها .. يجب أن يبقى هاشم من هذا الوهم .. ما كان لعابدة أن تكون له يوماً .. إنها أكبر منه .. إنها من عائلة بسيطة فقيرة .. عمل معظم أفرادها لدى هدى وعائلتها .. عابدة ستبقى

ابتنتها .. كل الفتيات يتزوجن ويرحلن .. عابدة وحلت لتزوج ، ولكن سيبقى بيت عبد المنعم يرحب بها .. سيبقى لها في هذا البيت أم وأب وأخ ..

واتحت هدى تقبل كف هاشم في حنان ، وهي تناديه ليفتح عينيه وينظر إليها ، كأنه يحاول أن يفهم لم هي التي توقفت وليست عابدة ..

أرعى هاشم جفنيه في حزن .. لقد تذكر .. عابدة ليست هنا .. عابدة رحلت ولن تعود .. وانكأ هاشم على بعض الوسائد ، ثم انحنى يمسك بكف هدى ليقبله قائلاً:

أنا مش حاروح الجامعة النهاردة يا مامي .. أنا حاروح المصورة عند عابدة ..

ونظرت هدى إليه في ألم لتقول:

هاشم .. سيب عابدة تتكيف مع حياتها الجديدة .. لو لفتك يا حبيبي قدامها حتصعب عليها الأمور .. صدقني .

ولم يستطع هاشم أن يخفي ما في صدره أكثر ، فنظر إلى هدى في شيء من اللوم ، وهو يقول:

ليه عملتي كذا .. كل دا عشان قللتك بحبها وعابز ألجوزها .. ليه؟!

وقاطعته هدى في نبرة قوية قائلة:

لأ يا هاشم .. أنا عملت كذا عشان عابدة مش زيك .. عابدة حاجة ثانية .. فاكّر أنت أنا كنت إزاي بارفض أخلي عابدة تروح رحلات فيها بيات برا .. فاكّر .. ليه لما دخلت الجامعة أنا كنت باخلي السواق يقف على باب الجامعة يستناها تخلص محاضراتها وترجع .. فاكّر يا هاشم لما احتاجت درس في الدراما ، أنا كنت بادفع أضعاف اللي الولاد يدفعوه عشان المدرس ييجي

هنا وهي ماتروحش .. فأكبر أنت نفسك ودبنا كتيرا بترجوني قد إيه عشان
تبات ليلة برا في معسكر أو رحلة ، وأنا كنت دائماً بارفض .. فأكبر ؟!

سكتت هدى لحظة ، ثم رفعت رأسها لتنظر إلى عيني هاشم ، ومضت
تقول:

أنا كنت باسيك أنت تعمل حاجات كتير من دي لأنك ابني .. لكن
عايدة .. عايدة أمانة .. أمانة يا هاشم .. أنا ممكن أولع في فستاني دا .. لكن
لو نجوى ادتني فستان أمانة ، لازم أحافظ عليه عشان أرجعه زي ما أخذته
.. عايدة أمانة .. شعورك ناحيتها دا شعور مراهقة وتعود ، لكن كان ممكن
يعمل كارثة .. لا .. الشعور دا ما كانش حيمصل حاجة غير كارثة كبيرة ،
لو أنا طارعتك حتى ورضيت أجوزك واحدة أكبر منك وبينك وبينها كل
الفروق الاجتماعية والمادية دي .. كانت الكارثة حتحصل كيان كام سنة،
وكانت حتخسرك وتحسرها واحنا كيان نخسر بنتنا .. ولو سبتها تعيش
معانا ونسيت الحكاية يا هاشم .. كان شعورك دا حيتنقل ليها .. عايدة بكر
يا هاشم .. مشاعرها وعواطفها ماتلمتش .. لو حسيت بالوهم اللي جواك
حتجري وراه ويرضه في النهاية حتدمر .. يا ابني دي أمانة .. حرام .

وعادت هدى تربت على كفيه ، وهي ترى طيف دموع بلوح بين جفنيه
لتقول:

قوم روح جامعتك عشان خاطري وصدفتي عايدة بخير ..

نفض هاشم غطاء سريره ، وهو يقول:

أنا رايح المنصورة .. لو عايدة ماردتش على التليفون .. أنا رايح المنصورة
.. حتى لو كان اللي قولتيه دا صبح .. عايدة لازم تحس إن احنا أهلها .. بندور
عليها وواقفين جنبها .. مين عمها طلعت دا ؟! مش دا اللي أنتي كنت بتقولي
إنه رماها .. أنا مش حارميها .

وقبل أن يغادر الغرفة ، التفت هاشم ينظر إلى هدى ، ثم قال:

ماما .. أنا مراهق ومشاعري متلخطة وموهم بحب عايدة يمكن ..
لكن أنا ابتك .. وعائدة كيان بتك .. فيه أخ في الدنيا اخته تروح بلد ثانية من
غير ما يشوفها .. ما يروحش حتى يقولها أنا معاكمي .. فيه أخ في الدنيا اخته
تسيب البيت من غير ما يقولها أشوف وشك بخير .. بنفع ؟!

وأطرت هدى برأسها ، ثم نهضت تتبع هاشم في صمت .. ولحقت به
لتأدبه قائلة:

هاشم الفطار جاهز .. نظف وتكلمها .. لو ردت يبقى خلاص .

وفي اللحظة التي عاد فيها هاشم من الحمام ، ليجلس إلى جوار هدى
ويرقيها ، وهي تصب له كوب الشاي سمع صوت الجرس يبدق والنفض
هاشم في جنون .. ريبا عادت عايدة .. ريبا عادت .. هي أيضاً لا تحتمل
فراقها عنهم .

وركض هاشم إلى الباب ، وعبون هدى تبعه في قلق كأن الفكرة نفسها
طرت رأسها .. وعندما فتح هاشم الباب ، أطلت دينا وهي ترتدي بنطلوناً
چينز أسود وعليه قميص أحر .. كان واضحاً أنها ارتدت ملابسها على عجل
.. كان واضحاً أن القلق يأكلها .. كان واضحاً أنها جاءت تسأل عن عايدة
قبل ذهابها إلى عملها .. ودخلت دينا لتجبه في بساطة إلى حيث تجلس هدى
على مائدة الإفطار ، ووضعت على جبهتها قبلة ، وجلست وهي تقول:

صباح الخير يا طنط .. ما فيش أخبار ؟!

وعاد هاشم ليجلس أمامها ، وهو ينظر إلى مقعد عايدة في حزن قائلاً:
لسه ما جربناش نطلبها .. قلنا نشتي شوية يكونوا صحبوا من النوم .

إلا أن دينا قالت في هفئة:

أنا باطلها من الساعة ستة الصبح .. تليفونها لسه مقفول .. خش يا هاشم
غير هدومك وتعال معايا .

ورفعت هدى عينيها تنتظر إلى دينا في دهشة لتقول:

هاشم عنده جامعة يا دينا وأنتِ عندك شغل ..

لكن دينا قاطعتها قائلة:

إيه ؟ جامعة ؟ قوم يا هاشم .. أنا أخذت أجازة .. أنا رايمجة المتصورة
لعايدة .. حتيجي معايا ولا لا ؟

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

صاح اللواء عبد الكريم في حزم منادياً حسن ، بعد إعدادة لمائدة الإفطار
ليأتي حسن بعد دقائق ويجلس إلى جواره قائلاً:

دي خبطة يا سيادة اللواء .. النهاردة دوري في تحضير الفطار .. ولا أنت
عايز تبدل معايا ؟

وابتسم عبد الكريم ابتسامته الوقورة الصغيرة ، وهو يريت عل كف
حسن، ثم قال:

أونطجي وضلاي طول عمرك يا حسن .. عارف ؟ حتوحشني ..

ومد عبد الكريم يده إلى حسن بكوب الشاي ، ثم أكمل قائلاً:

حسن .. تحبوا تحجزوا للفرح فين .. في المدفعية ولا دار الدفاع الجوي ..

ويلا وعي أطلق حسن تهيلة صغيرة ، عاد عبد الكريم بعدها يقول:

لسة متردد من حياتك مع دينا في بيت أمها يا حسن ؟

وأخذ حسن رشفة من كوب الشاي ليقول في صوت هادئ:

أبوة ؟ عارف أنا كنت عايز نعيش معاك أنت .. والله مش عشان أبويا .. لا

.. عشان أنت عاقل .. طنط نجوى بتدخل في كل حاجة وكلامها جامد ..

أنا مش عايز أشيل منها ولا عايزها هي تشيل مني .. أنا مش عايز حياتي مع

دينا يا بابا ندخلها مشاكل .. كفاية مشاكل الحياة الطبيعية اللي حتقابلنا ..

وفي هدوء نظر عبد الكريم إلى وجه حسن الجميل قائلاً:

حسن .. أنت عاقل .. عاقل جدًا .. رغم تهريبك وضحكك وانطلاقك الفطيع التي كان دائماً يقلق أمك الله يرحمها .. لكن جواك راجل عاقل متزن وحكيم .. نجوى أم ومش أي أم .. أم ماعندهاش غير بنت وحيدة .. أم أرملة وحيدة وكان عندها مشاكل صحية .. ما تقدرش نعرمها من بيتها ولا تقدر نسيها تعيش لوحدها .. فيه حاجة واحدة كبيرة مشتركة بينك وبينها هي التيمة التي لازم تشتغل عليها .. الحاجة دي هي حب دينا ومساعدتها .. دي هدف نجوى وأنت طريق تحقيقها .. نجوى تحبك من حب دينا ليك وتحبك لحبك لدينا .. حسن ..

وبتنهيدة أخرى رفع حسن عينيه الواسعتين ، وهو يقول:

نعم!!

وعاد عبد الكريم يقول:

لو نجوى دي أمك بكلامها الجامد وبمرضاها كنت حتوقع من دينا إيه؟! تتخل عنها وترفض تعيش معاك ومعها .. أنت راجل يا حسن ودينا وأمها المحرموا من الراجل وأنت الراجل دا يا حسن ..

ما قلتش .. الدفاع الجوي ولا المدفعية!؟

وابتسم حسن ، وقبل أن يجيب أخرج هاتفه الصغير من جيبه ؛ ليقول في صوت حان:

دي دينا .. نسيت أصبح عليها عشان كنت عايز أحضر الفطار ..

وابتسم عبد الكريم وهو يسمعه يقول:

أبوة يا دندون!؟

وعاد حسن يقطب حاجبيه قائلاً:

إيه!؟ رابحة المتصورة .. ليه يا دينا؟! مع مين؟ هاشم .. طب أنزل آجي معاكم ..

دينا .. دينا طمني علي عايدة أول ما توصل ..

طيب يا حبيبي محمد رسول الله ..

وأغلق حسن هاتفه ، وعاد ينظر إلى عيني عبد الكريم المفتوحتين ليقول في حزن واضح:

دينا متهازة يا بابا .. عايدة رجعت المتصورة تصور .. بعد العمر دا كله .. عايدة سابيت بيت أنكل متعم ورجعت بلدها ..

وقال عبد الكريم في صوته الهادئ:

وإيه يعني؟ تلاقيها زيارة .. دول أهلها برضه .

ورفع حسن عينيه ليقول بعد لحظات:

لا طبعا .. لو زيارة ما تباحش دينا متهازة كدا .. لو زيارة ماناخذش هاشم سبعة الصبح ويسافروا .. لو زيارة كانت طلبت مني أنا أروح معاها .. الحكاية شكلها أكبر من كدا .. ربنا يستر .. يلا أنا لازم أنزل ..

سيب كل حاجة يا سيادة اللوا .. لما أرجع حانصيف مكان الفطار ..

واتحنى حسن يقبل رأس والده في حنان، ومضى ورأسه مازال مشغولاً بالتفكير في دينا وهاشم وعايدة ورحلتهم إلى المتصورة!!

الشوارع تضيق ومنازل قديمة متهاكة عشوائية، تطل برؤوسها القبيحة أمام عيني دينا .. حتى هاشم لم يستطع أن يخفي دهشته وكرهه للشوارع الضيقة والمطبات التي ترتطم بسيارته في قسوة .. ووصلا إلى مصنع الألبان ووقف هاشم بسيارته .. أصبح من المستحيل أن يتسع لها شارع من الشوارع التي تقع خلفه ، وتبادلا نظرة كلها ألم وخوف ليهبطا معا من السيارة ، ويبدأ رحلة على الأقدام بحثا عن شارع المصرف ..

أطفال يملأون ممرهم متسخة يركضون .. وأطفال آخرون في زي مدرسي قديم متهاك يسرون ، ورائحة كريهة تنبعث حولهم من فضلات الحيوانات وتراب الحارات الضيقة .. وبلاوعي أمسكت دينا بكف هاشم بين أصابعها ! لتقول في خوف:

مش ممكن .. معقولة يا هاشم يكونوا ساكنين هنا؟!

وأخنى هاشم رأسه في صمت ، ثم عاد يرفعه لیسأل أحد المارة عن البيت ، والذي رفع يده ليشير له دون اهتمام ، لكنه وقف بعينه طويلا على وجه دينا الجميل ، كأنه لا يصدق أن شاوين مثلها يتجولان في هذا المكان .

وعاد يفتق من ذعوله قائلاً:

الحارة اللي هناك .. ثاني بيت على إيدك اليمين ..

استكملا خطواتهما على وقع ضجيج دقات قلبيهما المتناعة على عابدة ، وعلى فراق تلك اليازمة التي يجوبنها جيئاً ، وأطل البيت حين دخلا الشارع واتسعت عينا دينا في ذعر .. البيت يكاد يقع على رأسيهما ، رغم أنه مازال على طوبه الأحمر .. ثم غر على واجهته الأمامية فرشاة دهان واحدة .. ودخلا من باب الحديد الذي الضيق ليجدا سلماً صغيراً ضيقاً ، لا يمكن أن يعبره أحد إن كان يديئاً ، واحتراراً إلى أين يصعدا ، إلا أن دينا قالت في عصبية:

نطلع لغاية ما نلاقي باب نخبط عليه يا هاشم ..

في حنان بالغ مد هاشم كفه ليرت بها على كف دينا ، التي نامت إلى جواره في طريقهما إلى المتصورة لتفتح دينا عينيهما ، وهي تسأل في لغة كبرى:

وصلنا يا هاشم؟!

وقال هاشم في صوت خفيض:

أبوة يا دينا .. هو العنوان إيه ثاني عشان أنزل أسأل؟

وأخرجت دينا ورقة صغيرة من حقيبتها ، كان منعم والد هاشم قد كتبها لها قبل خروجها ، وقالت:

75 شارع المصرف .. عزبة الشال يا هاشم .. خلف مصنع الألبان .

وانتظت هاشم الورقة من يدها بعد أن أوقف سيارته ، وهبط منها بحثاً عن برشده إلى الطريق .. وأخذت دينا تتلفت حولها .. المدينة جميلة وشوارعها نظيفة لامعة .. وأطلقت آهة صغيرة من صدرها .. هل تعود عابدة معهم ؟ .. لا .. عابدة يجب أن تعود .. حتى إن كانت المتصورة بلذا جيئاً ونظيفاً ..

المتصورة لم تعد بلد عابدة ولا عاد بيتها هنا .. بيتها هناك في شارع نهرو بمصر الجديدة .. بيتها إلى جوار هاشم الشريرازي .. بيتها إلى جوار دينا مختار .

وانتفض قلبها وهاشم يدخل إلى جوارها من جديد ، حيث انطلق مرة أخرى إلى حيث وصفوا له الطريق ، وفتحت دينا عينيهما في ذهول ..

وصعد هاشم أمامها .. السلم لا يحتملها أبدًا إن سارا أحدهما إلى جوار الآخر .. وبعد درجات قليلة مليئة بالفضلات والقاذورات ، وجدا أمامها بابًا خشبيًا قديمًا لا يعلم أحد كيف يمكن أن يأمن سكان الدار النوم خلفه .. وطرق هاشم الباب في هدوء .. لا يمكن أن يكون هذا هو المكان الذي قضت فيه عابدة ليلتها .. عبد النعم شيرازي أعطى في العنوان .. لا يمكن أبدًا أن يكون حتى خلف هذا البيت أحياء .

وبعد لحظات قليلة ، فتح الباب شاب يرتدي بتلون ييجاما له خطوط عريضة لا يظهر لونها .. كان الشاب جيلًا طويلًا .. صدره العاري تمامًا كان عريضًا وذراعه قويين ، رفع إحدىهما ليمسك بها الباب ويقيه نصف مفتوح ، ونظر بعينه الخضراوين في وجه دينا وهاشم ؛ ليقول دون دهشة: مين؟

وجاء صوت هاشم ضعيفًا مذبحًا ، كأنه يستحضره من زمن بعيد .. زمن لا كوايس فيه .. زمن كانت عابدة وحدها تفتح فيه الأبواب .. كانت دينا تنفخ خلف هاشم ، وتطل بوجهها وعينيها المفتحتين إلى وجه الشاب المتجهم، حيث خرج صوت هاشم الضائع ، وهو يسأل:

دا بيت طلعت إبراهيم؟

وافسح الشاب الطريق ليقول في تهكم:

جاين لعابدة؟ اتفضلوا .. أنا أحمد ابن عمها ..

لم يحفظوا العنوان إذن .. عابدة نامت هنا .. عابدة هنا .. مع شاب يتجول نصف عار في بيت صغير ، لا شيء به سوى صالة ضيقة ، بها بعض المقاعد القديمة وغرفتين صغيرتين أوابيها مغلقة .

جلس هاشم وجلس دينا إلى جواره في هدوء ، وكلاهما مذبح بدهشته .. كلاهما مقتول بشوق وإشفاقه على بياضة قلبه البيضاء .

وسمعا صوت أحد ، وهو يصيح بعد أن طرق أحد الأبواب قائلاً:

زيارة لعابدة من مصر .

وقبل أن يخفي داخل الغرفة الأخرى ، التفت يقول:

أنا حافير هدومي وأزل أنه أبويا من الدكان ..

«زيارة لعابدة!!» .. كأنه سجان يعلن عن زيارة لأحد السجناء ..

تهد هاشم في ألم كبير .. إن كان أحد هو السجان ، وكانت عابدة هي السجينة البرية ، فهاشم وحده صاحب الذنب الكبير .

وأطلت امرأة في منتصف عمرها من خلف الباب ؛ لتتأمل إليها نظرة زائفة لا ترحاب فيها لتقول ، وهي تربط رأسها بمنديل صغير:

أهلاً .. اتفضلوا .. أنا شلية مرة طلعت عم عابدة ..

وابتسم هاشم ابتسامة صغيرة ضعيفة ، وهو يمد كفه ليصافحها ثم جلس ينظر حوله كأنه لا يعلم ماذا يقول ، إلا أن شلية صاحت تقول:

يا عابدة .. خيروف عازينك .

وعادت تنظر إلى وجه هاشم قائلة:

من ساعة ما وصلت وهي نص وقتها في الحمام .. مع أنه حمام واحد لنا كلنا ..

ثم عادت تحديق في وجه دينا قائلة:

لو أنت هاشم بيه ابن الست هدى .. دي مين؟ خطينك؟

وقبل أن يجيب أحدهما ، ظهرت عابدة من عل يسارهما .. ظهرت لتقف مفتوحة العين هي الأخرى في ذهول كبير ..

كانت عابدة ترتدي إحدى بيجاماتها الأنيقة من لون أخضر هادئ كلون عينيها الجميلتين .. كان عنفها الطويل يحاول أن يبقى مرفوعاً .. لكنها أرخته في حزن ، عندما رأت الذعر يطل من عيني هاشم ودينا ، التي أسرع إليهما تضمهما في جنون وهي تقول:

أخص عليك يا عابدة ولا تليفون ..

وعادت شلبية تقول في تحكم:

المحمول ما يشتغلش جوا البيت .. تشربوا إيه ؟ أعملكم شاي ..

واختفت شلبية ليلمح هاشم أحمد ، يخرج بعد أن ارتدي جاكيت بيجامته الباهتة ليحضر أمه من الدكان كما قال ، ونهض هاشم عن مقعده لتقبل نحوه عابدة ، وترفع عينيها للنظر إلى وجهه .. كان واضحاً أنها لم تنم .. كان واضحاً أنها بكت طويلاً .. عيناها كانت دامعة حتى رموشها البنية الطويلة كانت مبللة .. ونظرت إلى عين هاشم كأنها مازالت لا تراه .. كأنها مازالت لا ترى شيئاً ولا تفهم شيئاً .. وفتح هاشم ذراعيه لياخذها على صدره ، وهو يقول:

أنتِ حترؤحي معانا يا عابدة .. مش ممكن أسيبك هنا أبداً .. يللا يا حبيبي خشي غيري هدموك .. يللا يا عابدة ..

كان رأس عابدة ساكناً على صدر هاشم ، كأن النايمة حطت على شجرة بعد مطاردة طويلة من صياد أحق لراحة في قلبه .. لم تنقل حرفاً ولم تحرك ساكناً حتى أبعدتها هاشم عنه ؛ لينظر إلى وجهها من جديد ، وهو يقول:

مالك يا عابدة ؟ حد أذاكي .. حد ضايقت ؟ يا عابدة ..

وجاء صوت شلبية يقول:

مين دا اللي يضايقها يا باشمهندس .. احنا أهلها ..

والفت هاشم ينظر إليها في مرارة وقسوة ؛ ليعود إلى مقعده ، بعد أن أطلق عابدة من بين يديه قائلاً:

أنا أسف يا حاجة .. أنا قصدي ..

وفي قسوة أكبر ، منحته شلبية كوب الشاي ، والتفتت تحمل الكوب الآخر إلى دينا ثم عادت إلى مقعدها ، وهي تنظر إلى عابدة قائلة:

إيه يا عابدة .. طمئنيهم .. قوليلهم إن ماحدش أذاكي ..

ورفعت عابدة عينيها من جديد ، ويصوتها الحاني الهادئ الذي ما ارتفع يوماً قالت:

هاشم ما يقصدش حاجة .. هو بس ..

إلا أن دينا لم تعد تحتمل فوقت لتقول:

ممكن نتكلم لوحدها يا عابدة ..

ولوت شلبية شفتيها لتقول:

ادخلوا أودتي يا عابدة .. أصل احنا ماعندناش غير أودتين ، والأوضة الثانية الولاد لسه نايمين فيها ..

ووقفت عابدة لتبعها دينا إلى غرفة شلبية وطلعت ؛ لتفلق دينا الباب خلفها ، وتنتظر إلى سرير الغرفة الخشبي القديم والملابس المتناثرة على أرض الغرفة ، وعادت ترفع رأسها إلى عابدة لتقول:

بصي .. ليلة وعدت .. شتطك فين عشان نرجع ..

وابتسمت عابدة ابتسامة صغيرة ، ظهرت بها تلك الغيظة العميقة التي تحل خدها الأسير ، ثم أمسكت بيد دينا وجلست بها على حافة سرير شلبية ،

ثم قالت في هدوء:

أنا رجعت خلاص ..

أنا خرجت من هنا وكان لازم أرجع هنا .. أنا حاتجوز كيان أسبوع .

وفي جنون نظرت إليها دينا ، ثم قالت:

تجوزي مين؟ انتِ التختي يا عايدة ..

ومن عينيها الخضراوين الواسعتين سقطت دموع صغيرة ، قالت بعدها:

ماما هدى وبابا منعم هما اللي طلبوا من عمي طلعت ياخذني .

وشهقت دينا في جنون ، وقبل أن تفتح فمها بكلمة ، وضعت عايدة

أصابعها على شفتي دينا لتقول:

ورحة أبوك ما تقولي هاشم .. أوعي تزعليه من ماما هدى وبابا .. اسمعي

.. أنا حاتجوز يا دينا .. أنا شفت العريس امبارح المغرب .. حاتجوز وحامشي

من هنا .. حاعيش في لندن ..

وعادت دينا تصيح في دھول:

لندن؟ لندن إيه يا عايدة .. اسمعي خلاص بلاش ترجعي عند طنط

هدى .. تعالي عندنا .. معايا .. أنا حاتجوز كيان عشرين يوم ولا شهر مائتي

عارفة .

وقاطعتها عايدة في هدوء قائلة:

ينفع؟ ينفع أرجع وأقعد معاكمي .. وهاشم يقول إيه؟ بابا منعم يقول

إيه .. يعرفوا إني عرفت إنهم مش عابزي .. أوجعهم بعد كل اللي عملوه ..

لا يا دينا .. وبعدين حسن خير فضي أعيش معاكم؟ إذا كان هو قلقان من

عبيته مع طنط نجوى يبقى كيان عايدة ..

وقاطعتها دينا من جديد ، وهي تقول:

إيه الجنان دا؟ انتي خريجة جامعة .. اشتغلي وعيشي لوحذك .

وعادت عايدة تبسم ابتسامة أشد مرارة لتقول:

اشتغلي؟ عمي طلعت عنده ست عيال .. كلهم يشغلوا إلا أحد

ومصطفى .. عارفة ليه لأهمهم التخرجوا من الجامعة .. الباقي اللي في ورشة

واللي في مصنع الألبان .. اللي التخرجوا من الجامعة بقى مش عارفين يشغلوا

زيم ولا قادرين يلاقوا شغلانة تانية .. اشتغلي إيه؟ مدرسة .. بكام؟ والآقي

شفة فين .. ولو لقيت شفة .. أعيش لوحدي .. وماما حتقول إيه؟!

دينا .. أنا كويسة وبعدين إحنا مكتوب لنا تجوز سوا في نفس الوقت،

وبرضه مكتوب لنا كل واحد يعيش في بيته .. أنت في مصر في بيتك وأنا في

الغربة .. الغربة طول عمرها بيتي .. ماما هدى كملت رسالتها .. ريتني

وعلمتني وخلاص بقى ..

دينا صدقيني أنا مقتنعة جداً باللي بيحصل .. صدقيني .

ونظرت دينا في وجه عايدة من جديد .. إن وجهها الأبيض شاحب

وشفتيها المكتنزتين كقطعة خشب جافة .. حتى شعرها الذهبي الناعم كان

سாகناً كأنه يستغيث ، ولكن هذه هي عايدة .. كبرياؤها العنيد يقيد صراخها

ويكتم شغاف دموعها .. إنها لا تعلم ماذا يمكن أن تقول ، ولكن كل ورید في

جسد دينا يرفض أن تبقى عايدة هنا مع هذه المرأة الكريهة التي رأها .. وبها

استطاع هاشم أن يفعل شيئاً آخر .. وعادت تمسك بأصابع عايدة الرشيقة

البيضاء بين كفها لتقول:

عايدة .. حتى لو العريس كويس .. يتجوزك من مصر .. من بيت طنط

هدى ..

وقاطعتها عابدة قائلة:

لا يا دينا .. الصبح إنه يتجوزني من هنا .. من بيت عمي أخو أبيها ..
ويعدين دا هو من الشارع اللي جنبنا .. لو راح بيت بابا ودخله خيخاف
يتجوزني .. كفاية إني شكلي غريب في وسطهم .. كفاية إنهم بيعاملوني زي
ما أكون جاية من القضاء ..

كلها أيام يا دينا وخلص .. حاعيش في لندن .. عايزة إيه بقى أحسن
من كدا ..

ودون حتى طريقة صغيرة عل الباب .. رأيت دينا شلية تفتح الباب وتطل
بروجهها المتجهم لتقول:

عمك عايزك يا عابدة ..

ونفضت عابدة لتخرج ، ودينا تنظر إلى وجه شلية في ألم كبير ، كأنها
تتمنى لو تسلسل إلى خلف جلدها لتعلم سر هذا الجمود والقسوة الكبيرين
.. إلا أنها أرغت رأسها لتبع عابدة في صمت .. وخرجت إلى الصالة ليقف
طلعت يصافحها في ترحاب كبير ، وهو يقول:

زارنا النبي .. أهلاً أهلاً يا ست دينا هاتم .. اتوا تغدوا معنا ..

إلا أن «هاشم» قال في عصبية كبيرة ، كان صبره قد بدأ ينفذ:

عابدة .. عابدة أنا عايزك ترجعي معنا .. قلتي إيه؟

وبإتسام ، حاولت عابدة أن تجعلها صادقة ، قالت:

لا يا حبيبي .. أنا لسه بأقول لدينا .. أنا رجعت خلاص .. ارجع أنت
يا هاشم ، ولما تحدد ميعاد الفرح عمي طلعت وأنا حنتزل مصر ونعزمكم ..
مش أنت وعدتني يا عمي؟

وقبل أن يقول طلعت حرفاً ، غنض هاشم عن مقعده ليقول:

تعزمين؟ تعزمن؟ بقينا بتعزم يا عابدة ..

وصاح طلعت:

العفو يا هاشم ييه .. العفو .. عابدة ما تقصدهش ..

واقتربت عابدة من هاشم ، لتنظر إليه في حب واعتذار ، وهي تقول:

هاشم .. ما تصعبش الأمور .. بس لا .. أنا مش رايحة معاك ..

كانت عينا هاشم مليتين بالدموع .. كانت عروقه تحترق بلهب الشهور
بالألم والخوف وأيضاً الغضب .. عابدة تتزوج بعد أيام .. عابدة؟ أبهذه
السرعة .. أفي هذا البيت؟ وهذا المكان؟ وماذا أيضاً؟ استدعهم
لرفافها ..

كانت عابدة ترى دموعه .. عابدة تعلم قسوة أن يبكي هاشم .. هاشم لم
تلون عينه الدموع يوماً .. هاشم لم يزم عتاده أحد .. هاشم كامه لا يبكيان
ولا ينتازلان عا في رأسيهما .. وها هي عابدة تضع في عيني هاشم الدمع
بأصابعها ، وها هي تقول له كلمة ما اعتاد سماعها .. كلمة «لا»!!

عندما شعر هاشم بدمعه الساخن يدق وجتيه ، انتفض في جنون ليلفت
إلى دينا قائلاً:

يللا يا دينا .. أنا ماشي ..

واندفع هاشم نحو الباب ، وطلعت يركض خلفه عل السلام الضيقة ،
وهو يكرر اعتذاره ووعوده وسعادته بشرف استقبال هاشم ..

كان هاشم يأتيه صوت طلعت ، كأنه فحيح أفاع يترقش شهما جلده ..
كان يتمنى لو يلتفت إليه ويصفعه ألف صفقة ، ولكن لم يصفع طلعت ..

هاشم يجب أن يذبح نفسه .. يجب أن يقطع لسانه الذي اعترف بحب عايدة .. هاشم وحده هو الذي أحضرها إلى عزبة الشال .. ما ذنب طلعت إذن؟!

كان هاشم يركض في الحارات الضيقة ، وطلعت يحاول اللحاق به ، وما أن وصل هاشم سيارته وفتحها حتى التفت ليراه يركض من بعيد وأشفق عليه .. إنه رجل كبير .. إن هاشم بذلك ، وخطا هاشم نحوه ليكف أمامه منتظراً أن يلتقط طلعت أنفاسه اللاهثة ، وربت هاشم على كتفيه ، ثم مده يده إلى جيبه ليخرج كل ما فيه من نقود ، دسها بين كفي طلعت ، وهو يقول:

أنا أسف يا عم طلعت ، ما عرفت أن أجب حاجة في أول مرة أدخل فيها بيتك .. خذ دول اللي معايا .

ودون تردد مده طلعت أصابعه ليلتقط بها النقود ، وهو يقول:

مالوش لزمة يا هاشم يه .. أنت أنتت وشرفت .

وظهرت دينا .. ظهرت وهي تخطو خطوات صغيرة كبيرة .. ظهرت من خلف دموع كثيفة كانت تحبى وجهها .. لقد شعرت حين ضمت عايدة ، وهي تودعها أنها تنفص .. إنها حقاً تبصر كيامة مذبوحة .. لكن عايدة على حق في كل كلمة قالتها .. عادت اليامة إلى أرضها .. هذا المكان هو أرضها وإن كانت أرضاً مليئة بالصقور المفترسة .

وحياها طلعت في طريق عودته ؛ لتدخل هي إلى جوار هاشم في صمت ، وأدار هاشم محرك سيارته وانطلق كأنه عائد من تشيع جنازة كبرى ، وما أن وصلا على الطريق الرئيسي ، حتى دق هاشم عجلة القيادة بكفه ، وصاح قائلاً:

ليه عايدة تعمل كذا .. ليه ما وجعتش معانا يا دينا ليه؟!

وشعرت دينا أن صرخة هاشم سكين تمزق ضلوعها .. تحت أن تحبره ما عرفته من عايدة .. تحت أن تحبره أن هدى «ومتم» هما من طلبا من طلعت نقيها من شارع نهرو بمصر الجديدة .. لكنها أبداً لن تفعل .. ليس لأنها أقسمت لعائدة برحة خنثار ، ولكن لأنها لن تشعل النار بين هاشم وهدى .. لن تشعل النار أبداً في بيت منعم صادق الشيرازي .. هي تعلم أنها يجبان عايدة ، وإن كانا أصدرا حكماً بنقيها ، فلا بد أن هناك أسباباً يجب أن تحترمها دينا وإن كانت لا تعلمها .. والتفتت تنظر إلى وجه هاشم الغاضب الباكي ، وقالت في حزن:

هاشم .. مين عارف .. يمكن العريس دا يسعدنا .. عايدة مش ممكن حد ما يجهاش .. لازم حيحبها ويسعدنا .. إحنا بس مش لازم نكون أناتين يا هاشم .. احنا اللي واجعنا بعدها عتنا .. عايدة لعبت دور أختي وصاحبتي وبرضه تلعب دور أختك وصاحبتك وحيبيتك يا هاشم . احنا اللي قاتلنا إن احنا محتترمون من دا كله .. لكن عايدة من حقها بقى تتجوز وتعيش .. مش حفضل طول عمرنا حابسينا جنبنا يا هاشم .. كل واحد فينا حيقاتله حياة ، هي كيان لازم يبقاها حياة .

وهز هاشم رأسه في عنف .. وعادت دموعه تغزو عينيه في قسوة .. دينا لا تفهم .. دينا لا تفهم أبداً .. إن كانت عايدة في حياة دينا أعتاً وصديقة ، فهي في قلب هاشم وحياته .. هي الحياة نفسها!!!

هي بالقلم لترقع اسمها في خانة الزوجة .. في صمت وهدوء أصبحت زوجة صلاح رفاعي .. دون كلمة تهتة واحدة .. دون زغرودة .. دون حتى كوب واحد من الشربات .. أسرع صلاح بعدها بالخروج ، وهو يجبرها في جود كبير أنه كان يرفض تمامًا ذهابها إلى القاهرة لحضور زفاف دينا، ولكنه قبل فقط إرضاء لتوسلات طلعت ..

في الصباح ، سيحضر ليأخذها إلى القاهرة .. ستذهب معه إلى السفارة لإجراء مقابلة الحصول على تأشيرة لندن .. ستذهب بتأشيرة زيارة .. في لندن ستزوج صلاح مرة أخرى .. في لندن ستبدأ رحلة جديدة لإنهاء إجراءات حصولها على إقامة ، وبعدها بشهور وربما سنوات ستحصل على الجنسية ..

لقد استخرج لها صلاح جواز السفر .. قبل الذهاب إلى السفارة سينوجهان لاستلامه .. صلاح كان يظهر تأففًا كبيرًا لاضطراره إلى تأخير سفره لإنهاء إجراءاتها .. كأنه يصطحب خادمة أو موظفًا .. لا فرحة في عينيه .. لا فرحة في كليته .. كلما رآها أخبرها أنه يلهث من أجل إنهاء إجراءات سفرها .. هذا الصباح ، وبعد أن أصبح زوجها ، قال لها إنه لا يصدق أنها رغم كل ما تراه تريد أن تبيت في بيت عبد المنعم صادق ، لتذهب إلى زفاف دينا في مساء الغد .

عابدة قالت له في صوت خفيض إنها لم تطلب ذلك ، إلا أن طلعت قاطعها قائلًا إن هدى هانم طلبت منه أن يحضرها ، وإنه لا يملك أبدًا أن يرد لها طلبًا .. لكن صلاح صاح عندها بقسوة أن هدى هانم هذه لا تعني له شيئًا .. هو أصبح زوج عابدة .. وحده سيدها ، وعاد طلعت عندها يرجوه من جديد ..

انحنحت عابدة لتجلس في هدوء على قطعة القماش ، التي غطت بها اللحاف القديم ، الذي تفرشه كل مساء في أرض الصالة الضيقة التي اعتادت النوم فيها .. كل شيء في هذا البيت يغبو صوته بعد العاشرة .. طلعت وشلية في غرفتها .. أحمد ومصطفى وسعد الصغير في الغرفة المجاورة .. وحدها عابدة تنام في أرض صالة بيتهم الضيقة ..

لماذا يكرهونها جميعهم .. إن «سعد» ابن العشرة أعوام يعتمد أن يدوس كفها الملقى إلى جوارها ، كلما استيقظ ليلاً ليذهب إلى الحمام .. حتى أحمد ومصطفى يعتمدان إصدار ضوضاء أثناء نومها ..

لقد صاح سعد في وجهها منذ أيام ، وهو يقول إنه يكرهها ويكره وجودها في البيت .. شلية كانت تسمعه ولم تحاول حتى أن تنهره .. وحدها عابدة أرخت عينيها في حزن كبير .. ومدت أصابعها البيضاء الطويلة لتسحب بها اللادة القديمة لتغطي بها جسدها ، وهي تنزل بجسدها واضعة رأسها على الوسادة القديمة لتنام .. يجب أن تنام .. وفتحت عينيها تحملتي في سقف الصالة المتآكل في حزن ..

وسقطت دمعان على أطراف وجتيها الورديتين ، وهي تتذكر هذا الصباح .

كان صباحًا حزينًا .. جاء فيه صلاح ومعه المأذون واثنان لا تعرفهما عابدة .. في صمت ، أنهى المأذون إجراءات زواجها من صلاح .. في هدوء أمسكت

هذا الصباح كان صباحاً حزيناً جداً .. شعرت عابدة فيه أنها شيء لا قيمة له .. بل شعرت فيه أنها لا شيء سوى قطعة لحم صغيرة ، لا أحد يريد تذوقها .. وحده صلاح قبل بها .. لكنه حتى ليس سعيداً بها .. صلاح لم يحضر لها شيئاً ، سوى دبلّة ذهبية رفيعة وضعها في أصبعها ، دون حتى قبلة صغيرة يطعمها على كفها أو خدّها .

هذا الصباح كان صباحاً حزيناً جداً ولكن غداً يوم آخر .. غداً ستذهب إلى القاهرة .. غداً ستذهب إلى شارع نهرو من جديد .. غداً تدخل بيتها .. تدخل غرفتها .. غداً ستنام على سريرها .. ويعد غد ستذهب إلى زفاف دينا .. يومان .. يومان آخران وربّما آخرين في شارع نهرو .. في أحضان منعم وهدى وهاشم .. ربّما استطاعت فيها أن تسأل هدى لماذا أرسلوها إلى هنا .. ولكن أبداً لن تستطيع .. هل تخبر ماما هدى أنها علمت أنها لا تريدها .. كبرياءها لن تسمح ..

طلعت أيضاً أقسم عليها بأغلظ الأيمان ألا تخبرهم بها أخبرها به .. لقد سألته كثيراً عن السبب ، لكنه هو الآخر أقسم أنه لا يعلم .. هدى حادثته وأخبرته أن عابدة يجب أن تعود إلى المنصورة .. لقد أخبرها طلعت أنها محظوظة ، ليس فقط لبائتها أعرام عمرها معهم ، ولكن محظوظة لأن صلاح رفاعي كان يقضي أجازته في المنصورة .. كان يبحث عن عروس ، وعندما أخبروه عنها وافق .

وعادت دموع جديدة تسقط على أطراف وجهها .. عرضها طلعت عليه أو ربّما توصل إليه أن يتزوجها ، کیا توصل إليه هذا الصباح أمامها أن يسمح لها بالمبيت لدى هدى .

ماما هدى .. اشتاقت إليها .. لو تراها ماما هدى كيف تنام الآن وأين تنام ، لكرهت تلك اللحظة التي طلبت فيها من طلعت ما طلبته ، ولكن

هي لن تخبرها .. لن تؤلمها وأيضاً لن تنفضح طلعت وقسوة زوجته وإبناته .. سيقبون دوماً عائلتها الحقيقية .. لقد علّمتها هدى كيف تحفظ الأسرار .. علّمتها منعم كيف ترفع وجهها الجميل وتبتسم ، حتى وإن كانت تغرق في نهر من الدموع .. علّمتها هاشم ألا تشكو .. علّمتها هاشم وتعلمت معه الكثير من كتب كثيرة قرأها معاً .. من دواوين شعر حفظها معاً .. يوماً قال لها هاشم ، وهما يقرآن معاً ديواناً لكامل الشناوي ، إن أجل ما قرأ في عمره هو ما كتبه الشناوي حين قال :

أنا لا أشكو فني الشكوى اتحناء

وأنا نبض هروقي كبرياء ..

لن تنسى عمرها أنه ضمها إلى صدره ، وهو يقول إن عابدة لا تشكو وإن هدى لا تشكو .. قال لها يوماً إنهما وحدهما دون نساء الأرض يفرلان صفائر العطاء من دمعها وألمها .

هاشم ! كم تحبه .. هاشم ودنيا قطعتان من روحها .. كانت تحمل «هاشم» بين ذراعيها وهي طفلة .. وأصبح هاشم يحملها بين ذراعيه ، كلما جاءها أو جاء هدى بخير سعيد .. يوم نجحها في IGCSE حملها بين ذراعيه .. يوم نجحها هي وتخرجها في الجامعة حملها بين ذراعيه .. ونحست عابدة صدرها لتمسك بذلك الحلال الذهبي ، الذي يضم قلوباً ثلاثة من الماس والذهب الأبيض .. أخبرها هاشم أنها هلال من ذهب يضيء أيام قلوب ثلاثة صغيرة قلب منعم وهدى وهاشم .

هاشم غضب منها عندما رفضت العودة معه إلى شارع نهرو .. ترى هل يصفح عندما يراها في الغد ؟ هاشم لا يغضب بسهولة ولكنه أيضاً لا يصفح بسهولة .

هذا هو الكبرياء .. لا تُغضب أحداً ولا تفرح أحداً ، ولكن إن أغضبك
أحد فأنت لا تعلم كيف تصفح عنه .. ولكن «هاشم» سيفصح عن رفضها
العودة ..

هي تعلم أنه سيفصح .. لن يدخل عليها بخنائه في يومين آخرين ، قد
لا يجتمعان بعدها أبداً .

وأغمضت عابدة عينيها على دمعها ، وقبل أن تذهب في النوم ، سمعت
صوت شلبية يصيح في تأفف:

مش معقول يا عابدة .. مش تنامي بعيد شوية عن السكة .. هو الواحد
ما يعرفش يروح الحمام أبداً .. يا قاعدة جواه يا تايمه في طريقه؟!

وكتمت عابدة ألها .. لقد داستها شلبية بقدمها ولكنها لم تجب .. سألت
دموعها من جديد ، وهي تسأل نفسها .. كيف تذهب شلبية إلى الحمام من
هنا .. من جوار باب البيت حيث تنام هي .. كيف والحمام يقع في الجهة
الأخرى البعيدة ..

وكتمت عابدة صوت بكائها لتدفن رأسها الصغير في الوسادة .. انقضى
اليوم الثامن عشر لحضورها إلى المنصورة .. أيام وترحل .. أيام وتعود شلبية
وأبناؤها للتجوال كما يحلو لهم ، دون أن يغضبوا من عابدة ، ودون أن
يركلوها بأقدامهم مذعين أنها صدقة وأنه دوماً خطاها وحدها .

انقضى اليوم الثامن عشر .. لكنه كان يوماً حزيناً جداً!!

طلبت هدى من عم علي الطباخ أن يعد أصنافاً كثيرة .. كل الأصناف
التي تحبها عابدة .. إنها سعيدة بحضورها اليوم .. سعيدة لأنها ستبيت معها
الليلة .. سعيدة لأنها ستذهب معها في الغد إلى زفاف دينا .. وسعيدة أكثر
بعد أن علمت أنها عقدت قرانها على صلاح ..

عابدة الآن زوجة ، وهي تعلم أن «هاشم» لن ينظر إليها أبداً بعد الآن
تلك النظرة القديمة .. هاشم يعلم معنى كلمة زوجة .. منعم وهدى أنشأ
على القيم .. على المبادئ .. على الكبرياء .. هي تتق أن عابدة منذ اليوم لن
تكون في قلب هاشم سوى أخته الكبرى ، التي شاركها في تربيته ، وشاركته
طقولته وصباه ..

هدى تعلم أن «هاشم» يتألم لكنه سينسى الألم .. سيساعده سفر عابدة
إلى بريطانيا .. شيئاً فشيئاً سينسى .. سيبدأ في البحث عن فتاة من عمره ..
من محيطه .. فتاة ثليق بخفيذ وزير وابن استاذ في القانون .. كل شيء سيعود
كما كان .

وتهفت هدى عن مقعدها لتذهب إلى عم علي .. نسيت أن تطلب منه
تخفيض كمكة المارون .. عابدة وهاشم يعشقان المارون .. دينا ونجوى وحسن
سينناولون معهم العشاء هذه الليلة ، وصلاح زوج عابدة يجب ألا ننساه هو
الأخر ..

لم تخبر هدى «هاشم» ولا دينا بحضور عابدة .. إنها هديتها لهم .. وحده
منعم يعلم .. هو أيضاً سعيد بحضور عابدة .. لقد جاء مبكراً من المحكمة

ليكون في استقبالها هي وصلاح زوجها، وقبل أن تدخل هدى إلى غرفتها سمعت صوت الجرس، وأسرت بخطاها الهادئة لترى عابدة تدخل حيث صاحت هدى في فرح قائلة:

يا منعم .. يا منعم عابدة وصلت ..

أسرعت هدى إلى عابدة، تضمها إلى صدرها، ولم تستطع حبس دموعها، فبكت وهي تقول:

يا حبيتي .. يا حبيتي وحشتنا .. وحشتنا يا عروسة ..

كانت عابدة ساكنة على ذراعي هدى، لم تقل حرفاً واحداً حتى رأت منعم، فصاحت بصوتها الخاف الرقيق قائلة:

بابا .. بابا منعم ..

وأطلقتها هدى من بين ذراعيها ليأخذها منعم بين ذراعيه هو الآخر، ومن خلف كتفها رأى «صلاح» .. رأى هدى تنظر إليه في وجوم تحاول التخلص منه .. لكن حين أعاد النظر إلى وجه صلاح، عرف منعم أن هدى سيصعب عليها كثيراً أن ترسم على وجهها فرحة بلقائه ..

أطلق منعم عابدة من بين ذراعيه متوجهاً إلى صلاح، يرحب به ويشير له بالدخول إلى ريسيشن البيت .. ودخل صلاح ناظراً حوله في دهشة كبيرة وجلس، حيث أشار له منعم وجلست عابدة إلى جوار هدى والتي عادت تضمها إلى ذراعها في سكون ..

وجاء صوت منعم يقول:

أهلاً يا صلاح بيه .. أهلاً بجوزيتي ..

رفع صلاح وجهه الأسمر لينظر في ابتسامة لا تخلو من السخريه .. هل يدعوهم «بيه» وعاد ينظر حوله .. البيت أكثر من أنيق .. البيت مبهر .. أثاثه جميل، وفي كل ركن هناك طاولة، عليها قطع كثيرة من الفضة وكادرات فضية كثيرة بها صور لعابدة معهم ..

كل شيء أنيق جميل .. الستائر .. المقاعد .. حتى السجاد الذي يضع صلاح عليه حذاءه المنسوخ يبدو ثميناً غالياً .. صلاح لم يرى بيتاً كهذا أبداً .. وبعد لحظات من الصمت، قال في هدوء:

عابدة عندها حق تحيكم قوي كذا ..

رفعت هدى عينها لتنظر إليه في ذهول، ثم قالت:

مافيش بنت مانحبش أمها وأبوها يا صلاح ..

وضغطت هدى على كلمة صلاح وتوقفت عندها .. لم تستطع أبداً أن تقول «بيه» التي قالها منعم، ولم تستطع حتى أن تسبقها بأستاذ ..

صلاح أسمر وشعره مكشوف فوق رأسه ويتلوي في خصل ملتوية .. لقد كانت تظن أهل المنصورة جميعهم في جمال عابدة .. كانت تظنهم ملوحي الأعين، ولكن لم تكن تعلم أبداً أن بها رجلاً بهذه السمرة .. ولكن سمرة صلاح وشعره المكشوف ليسا هما ما يبعيناه ..

صلاح عل وجهه جمود .. في عينيه قسوة .. في شفثيه الغليظة وأنفه الأفطس راحة شيء لا يمكن أن تحبه .. حتى جسده ليس مريحاً .. إن رأسه وصدره يبدو أن أصفر من جزته الأسفل .. أصابعه السمراء، والتي يضع في أحدها خاتماً من الذهب تلوح كثيراً، وهو يتحدث، كأنه عثال في عطة مصر .. لقد ظنت هدى سائق السيارة التي جاءت فيها عابدة ..

كلمات رقيقة ، وما أن أغلق خلفه الباب ، حتى استدارت هدى تنظر إلى عابدة ، وهي تستعيد كلمات صلاح لتقول في دهشة:

هو صلاح يشغل إيه في لندن يا عابدة؟

وأطرقت عابدة برأسها إلى الأرض لحظات ، ثم قالت:

مش عارفة يا ماما ..

وشق الألم ملامح هدى في وضوح .. إنها تشفق على عابدة من صلاح ، لكن من يدري قد يكون خلف هذه القسوة قلب طيب .. بل إنه لا أحد على الأرض بإمكانه أن يقسو على عابدة .. عابدة ستجعل منه شخصاً آخر ..

هدى تثق أن عير قلب عابدة سيحوله إلى زهرة أخرى .. عابدة حنانها أكبر .. عابدة نفاذها أقدر على أن يفصل عنه الحمجية الواضحة في تصرفاته وكلماته .. هدى تثق أن الحب والعطاء دوماً أقوى .

وعادت هدى تضم عابدة بين ذراعيها ، ثم قالت وهي تنظر إلى شحوب وجهها:

تعبانة يا عابدة .. تدخل تريحي شوية على ما هاشم ودينا يوصلوا .
وكأنها غابت عنهم زمناً .. كأنها حقاً ما عادت منهم .

رفعت عابدة عينها الجميلة ، وقالت من خلف دموعه تراقصت فيها:
يمكن أدخل أودني وأخذ حمام؟!

وقاطعتها هدى في حنان ودهشة:

يمكن؟! عابدة دابيتك وحيفضل يا بنتي .. قومي يا حبيبتي .

ونضت عابدة لتأخذ في طريقها الحقيبة الصغيرة ، التي أحضرتها ، وقبل أن تضي في طريقها ، سألتها هدى:

وأناقت هدى على صوت منعم ، وهو يلتقط أطراف الحديث مع صلاح ، الذي رفض أن يأخذ كوب الشاي الذي أحضرته هبة الخادمة ، ووقف يعلن في إصرار أنه يجب أن يعود إلى المتصورة الآن ، وقالت هدى في صوت لا إصرار فيه:

لازم تتغدى معانا يا صلاح ، وتعرف على هاشم أخو عابدة .

لكن «صلاح» وقف ينظر إليها ليقول:

فرصة تانية .. أنا ماشي يا عابدة .. آجي أخدمك ولا عم طلعت يميلك ..
وبصوت هادئ قالت عابدة في خوف:

تاخذني أمي؟! مش أنت قلت بعد بكرة ، عشان نروح السفارة نستلم التأشيرة .

وقاطعتها هدى قائلة:

بعد بكرة إيه .. هو أنت مش محتضر مع عابدة فرح دينا بكرة؟!

واستدار صلاح ينظر إلى البيت مرة أخرى ، وعاد ينظر إلى هدى بملابسها الأنيقة وشعرها المصفف ، الذي لا توجد فيه شعرة واحدة بيضاء ، رغم تقدم سننها الواضح ، وابتم في سخرية:

لا والله يا هاشم .. أنا لازم أخلص إجراءات وورق .. أنا كل يوم باغيه عن شغلي في لندن بيكلفني فلوس .. ماعنديش وقت لأفراح .

كان واضحاً جداً أن «صلاح» شعر بدهشة هدى وعدم إعجابها به ، وكان واضحاً أنه عندما رآها ورأى البيت علم أنه حقاً لا يستحق الإعجاب أو الرضا .. لذا لم يجد صلاح ما يفعله ، سوى أن يظهر التعالي والاستخفاف . ولم يحاول هدى أن تضيف حرفاً .. وحده منعم أسرع خلفه يودعه ببعض

جيت معاك حاجة سواريه يا عابدة لغرح دينا بكرة ١٩

ونظرت إليها عابدة لتقول في انكسار:

لا يا ماما .. أنا ماجيش غير بيجاما وطقمين .

وأشارت لها هدى بالدخول إلى غرفتها ، وهي تقول:

ولا ييمك .. لما تصحي آخذك وتنزل نروح نجيب أحل فستان .. وروحي

ياحييتي استريحي دلوقت .

ومضت عابدة لترفع هدى عينيها ناظرة إلى وجه منعم في حزن ؛ لتجده

هو الآخر تائها .. لم تسره أبدًا رؤية صلاح ولم يستطع أبدًا أن يجبه .. إلا أن

«منعم» كان يعلم أن ألم هدى أكبر ووجعها لا شك أضعاف أضعاف ما

يشعر به منعم .. واقترب منها في هدوء ليقول:

ماعادش في ايدينا حاجة غير إتنا تدعيها .. تعالي نرتاح شوية .

حين أغلقت عابدة خلفها الباب واستندت بظهرها عليه، سقطت
حقيبتها الصغيرة من بين أصابعها، وأخذت تنظر حوله في ذهول ..

كأنها نسيت غرفتها .. كأنها نسيت سريرها الأبيض .. كأنها ما عاشت هنا
عشرين عاما .. وأجهشت في بكاء حاد يقطر ألماً وخوفاً ، وهي تقترب من
فراشها لتحسسه يكتفها الأبيض وأصابعها الرقيقة .. كأنها حقًا نسيت كيف
يكون النوم عل ومادة نظيفة وفراش وثير .

ومن بين صوت تحيها، عادت لتفتح حقيبتها الصغيرة حيث أخذت
بيجاما وردية ، دخلت بها إلى حمام غرفتها الصغير .. كانت تظنه صغيرًا ..
لكنها بعد عودتها اليوم من المنصورة ، علمت جيدًا كيف يصبح حمام صغير
في شارع نهرو أجمل وأكبر من بيت بأكمله في عزبة الشال بالمنصورة .

وقفت عابدة تحت الماء الساخن ، تغسل ومدت أصابعها إلى قارورة
الشامبو الخاصة بها، وهي مغمضة العينين .. أبدًا عابدة لم تنس شيئًا .. عابدة
ما زالت تذكر كل شيء في هذا البيت وتعلم مكانه جيدًا ، وإن كانت مغمضة
العينين .

وانهت حمامها لتقف أمام مرآتها تنظر إلى شعرها الناعم النحاسي اللون
وأخذت تحديق في المرأة بعينيها الواسعة .. عزبة الشال كانت كابوسًا أسود
يجب أن تنساه .. بل ما نسيته حقًا هو عزبة الشال .

وانحنى ترتدي بتلون البيجاما، وفي اللحظة التي اعتدلت فيها بظهرها ارتطمت عيناها بالدبلة الرفيعة التي تشق إصبع يدها اليسرى، وعاد دموعها يسقط .. إنها زوجة .. زوجة لصالح وغازي الذي لا تعرف عنه شيئاً .

وأتملت ارتداء ملابسها من خلف دموعها، ثم خرجت لتلقي بجسدها على سريرها في ضعف شديد ..

هنا ستنام .. هنا ستنام دون أن يركلها أحد بقدميه ، دون أن يلومها أحد .. دون أن يتأفف من وجودها أحد .. ولكن لو كان سكان شارع نهرو حقاً يجربونها ، لم أبعدها عنه إذن ؟!

إن كانوا أيضاً لا يجربونها لم أحضرها اليوم ؟! لم ضمنها هدى بكل هذا الحنان ؟! لم أغلق منعم عليها ذراعيه كما كان يفعل دوماً ؟!

لا تعلم .. عائدة لا تعلم .. هل هو قدرها حقاً أن تكون دوماً قطعة اللحم البيضاء الصغيرة التي يتقاذفها الجميع ؟!

لا تعلم .. ما تعلمه البتة أنها تريد أن تنام كما لم تنم منذ ثمانية عشر يوماً .. تريد أن تنام دون بكاء .. دون أنين ..

وسقطت عائدة .. سقطت في نوم عميق هادئ ، ولكن بين جفניה مازال هناك نهر عميق من الدموع !!



كانت الساعة مساء حين عاد هاشم لتخبره هدى أن عائدة تنام في غرفتها .. فلما عادت لتحمي معهم ، لكن هدى أخبرته أنها ستبقى فقط لحضور زفاف دينا في الغد، واستلام جواز سفرها في الصباح التالي ..

دخل هاشم لإيقاظ عائدة كما طلبت منه هدى .. دخل ليجدها نائمة في فراشها .. كان واضحاً أنها متعبة .. كانت تقط في نوم عميق، حتى أنها لم تشعر بجلوس هاشم إلى حافة سريرها؛ حيث أخذ بعدها يرقبها في لوعة كبيرة ..

كانت دمعاته تسقط على وجنتيه ، وهو يرقب وجهها الجميل النائم .. شيء ما في وجه عائدة تغير .. شيء ما في عينيها المملقة يقول إنها تبكي حتى وهي مغمضة العين .. شيء ما يقول إنها ترى كابوساً كبيراً .. ولم يعلم هاشم هل يوقظها ليخبرها أنه حلم ، أم يتركها لأنه يعلم أنه أيا كان كابوس نومها ، فحقيقة يقظتها أكثر ألماً وحزناً .

ومد كفه الأبيض يبحث عن كفها ، وأخرجه من تحت غطائها في هدوء واقترب بكفها من شفثيه .. عائدة أمه .. عائدة أخته .. عائدة كل شيء وعندما لامست شفثها كفها ، شعر بدبالتها الذهبية ترتطم بشفثيه لينظر إليها في ذهول ، وينكس رأسه في خجل كبير .. عائدة أيضاً زوجة .

وسالت دموعه أكثر وضغط على كفها من الألم .. البيامة تزوجت .. البيامة ما عادت إلا لتبقى الليلة واحدة ..

آه يا عايدة لو تعلمين كيف كانت أيام الفراق .. لقد تحدثت إليه منعم طويلاً ، لكي يبدأ ويعود إلى جامعته .. أخبرته كثيراً عن أن عايدة نفسها سيذبحها ضغفه وهربه ..

عايدة لن يخفف عنها إلا أن نخدمهم جميعاً ناجحين أقوىاء .. الضعفاء والفاشلون لا يمنحون الحب ولا يستطيعون العطاء ..

«آه يا عايدة» .. ومع أماته زاد ضغطه على كفها ، لفتحت عايدة عينيها في ذهول ، وانتفضت دون وعي منها تسحب كفها من بين أصابعه ، ثم صاحت لتحاول الوقوف وهي تقول:

إيه دا؟ أنا فين؟ هاشم .. هاشم أنا .. كنت بحلم مش كدا ..

وضمها هاشم بين ذراعيه ليقول:

أيوة يا عايدة كنت بتحلمي .. حمدا لله على السلامة يا حبيتي .. وحشتيني .. وحشتينا كلنا ..

وأرخت عايدة عينيها .. لم تكن تعلم .. كانت غائبة وستعود إلى الغياب .. لم تكن تعلم .. كانت تظن فراقهم حلماً ، ولكن فراقهم سيبقى وحده الواقع الكبير .

www.mlazna.com

RAYAHEEN

عايدة وهدى عادتا مع هاشم ، بعد أن اشترت هدى ثوباً لعايدة لحضور زفاف دينا .. دينا لم تعلم هي أو نجوى بعد بعودة عايدة .. منذ الصباح وهما يتهيان آخر المشتريات ، وتسلم دينا ثوب زفافها وبروفة ماكياج الغد .. لقد حادتها هدى ، وأخبرتها أن العشاء سيكون في العاشرة ، وأنهم في انتظار حضورها مع نجوى وحسن .

في العاشرة كانت عايدة تجلس بين ذراعي منعم ، يشاهدان أحد البرامج التليفزيونية وهاشم يجلس إلى جوار هدى على الأريكة المقابلة .. ألف قصة وألف سؤال وفرحة واحدة كبيرة بوجود عايدة ، وألم أكبر من كل الآلام أيضاً لفراق عايدة ، ولكن كلاً منهما كان يحاول أن يظهر إيمانه واقتناعه بالقدرة وبالسعادة التي سيحملها الغد إلى عايدة .

عندما دق الباب ، ذهب هاشم ليفتح حيث وقفت عايدة مكانها وقلبيها يقفز بين أضلعها للقاء دينا ، التي أطلقت من بعيد وخلفها حسن ونجوى .. ووقفت دينا لحظة تنظر إلى وجه عايدة في ذهول .. لا تصدق .. لا تصدق أبداً .. هل تتخيل؟ هل رسم شوقها صورة عايدة؟ لكنها رأت دموعاً تقفز من عيني عايدة كأنها تناديا ، وركضت دينا تأخذ عايدة بين ذراعيها لتبكي معاً في جنون .

ومن خلف كفتي دينا ، فتحت عايدة عينيها لترى نجوى وحسن ، يرفبانها بحب حقيقي صادق وسألت .. لم يحبونها ولم تركوها تذهب؟ وكيف يكرهها سكان عزية الشال ويطلبون عودتها؟

وابتعدت دينا عن عابدة لتأخذها نجوى بين ذراعها ، وهي تقول:

ربنا يسعد قلبك يا عابدة .. من غيرك ما كناش نحعرف نفرح أبدًا .

ووقفت عابدة تنظر إلى حسن بقامته الطويلة ووجهه المرح ، ولم تستطع أبدًا أن تمنع نفسها من أن تلقي بجسدها بين ذراعيه للمرة الأولى ، وهي تقول:

مبروك يا حسن .. مبروك .. ربنا يسعدكم يارب ..

وضمها حسن في حب وفرحة ، ونظر من خلف جسدها إلى وجه دينا ، التي كانت تمسح دموعها وابتسمت ، لتبتعد عابدة في خجل وتغتمت قائلة:

أنا أسفة ..

ووضع حسن كفه على كتفها قائلاً ، وهو يحاول أن يزيل الحرج .. قائلاً في مرح:

إيه حتخوفي دينا من حضني؟

ونكتس عابدة رأسها قائلة:

أنا كنت مشتاقة ليكم كلكم .. ربنا ما يحرمك يا دينا من حسن أبدًا ..
أبدًا ..

وقبل أن يجلس أحدهم ، أمسكت دينا بكف عابدة قائلة:

تعالى .. تعالى شوفي الشقة لما خلصت يا عابدة تعالى .. وأودة نومي الجديدة ..

ولم تدع لها فرصة للكلمة .. أخذتها دينا وخرجت بها لتفتح باب البيت ، الذي طالما ركضت فيه أيامًا كثيرة في طقولاتها .. ودخلت عابدة لنشقه شقة صغيرة .. كل شيء تغير .. كل شيء جديد أنيق ..

متائر تشبه متائر بيت منعم صادق .. سجاد حرير صغير متائر على الأرض .. صالونات جديدة ، وسفرة من الخشب الفرنسي المطعم بالنحاس .. كل شيء جديد .. إلا الأريكة الحمراء القديمة مازالت مكانها .
ووضعت عابدة أصابعها على الأريكة في حنان ، لترفع عينيها إلى دينا التي قالت:

فيها ريحة بابا .. فيها ريحتك .. فيها ريحة هاشم .. ياما كنا بنام عليها وإحنا صغيرين وماما بتحكي لنا حكاية .. فاكدة يا عابدة ..

وعادت دينا تكمل بعد أن تهدج صوتها بالدمع قائلة:

ماما عندها حق .. عمري ما كنت حاحس بالفرح يا عابدة لو ماجيتش ..
باحس إنك أُمِّي يا عابدة .. أُمِّي ..

وعادت عابدة تضمها في حنان .. آه لو تعلم دينا كم تشعر عابدة باليتم والضيق .. آه لو تعلم دينا كيف تفضل عابدة الموت عن فراقهم .. إلا أنها رفعت رأسها في كبرياء ، وقالت:

أنا يا دينا ماكتش حاحس بالحياة لو ما حضرتش فرحك .. تعالى .. تعالى وريني أودة النوم الجديدة ..

وضعت شلبية بعضًا من الصحن القديمة على الطاولة المستديرة ، التي يتناولون عليها الطعام ، ثم جلست أأكل مع طلعت وأبنائها في صمت ، وبعد لحظات قالت:

أنا أديني بأشهد عليك عيالك .. البت دي ماترجمش هنا تاني أبداً .
ورفع طلعت عينيه الخضراء ليقول في ألم:

شلبية ورحمة أبوكي .. دا هما يومين وحسافر .
إلا أنها قاطعته ، وهي تصرخ:

ماتدخلش هنا تاني .. هي إيه مش بقالها راجل ؟ .. ياخذها بيته .
وعاد طلعت يقول في انكسار:

يعني رحلته مرة قتلته يتجوزها ، وكان لما يحببها من مصر أقوله خدما
عل بيت أخوك .. صلاح ماعدوش بيت في المتصورة وانت عارفة ..
النتظ أحمد بعض أعواد الجرجير ليقول:

جري إيه .. أمي بتقولك مش عايزاها .. كلنا مش عايزينها يا أخي ..
استحملناها ثلاث أسابيع تقريباً .. كفاية كدا .

وعاد طلعت في إصرار الفلاح يقول:

والنبي .. دي يتيمة ..

في الواحدة صباحاً ، دخلت هدى غرفة هاشم لتطلب من دينا العودة إلى
بيتها .. يجب أن تنام دينا وقتاً كافياً .. أمامها يوم طويل .. أمامها ليلة العمر ..
يجب أن تنام .. وما أن فتحت باب غرفة هاشم بعد طرفاتها الصغيرة ، حتى
اهمرت دموعها .. الثلاثة كانوا نائمين على فراش هاشم الكبير .. عابدة
كانت في المتصف ، وعلى كل جانب من ذراعها كان رأس أحدهم ملقى
على صدرها .. ثمائمًا كما كانوا يفعلون وهم صغار ..

مرت أعوام طويلة ، لم تر فيها هدى دينا تنام إلى جوار هاشم في فراش
واحد ، ولكن عودة عابدة أعادتهم إلى لحظات طفولتهم البعيدة .. واقتربت
هدى من الأطفال الثلاثة ، ومن خلف دموعها رأت عابدة تفتح عينها ..
رأت دمعة كثيفة يسقط من عيني عابدة ، وهي تحاول النظر إلى هدى ، وعلى
صدرها رأت ديوان الشعر ، الذي أحضره هاشم لها يوم رحيلها .

رأت خلف دموع عابدة الصامته نظرة لوم وعتاب ، كأنها تسأله لماذا
فوّقتهم .. كأن عابدة تخبرها أنها تعلم أنها وحدها من أصدرت حكمًا بنفيها
وتعذيبها وسحق عروقتها .. ولم تختمل هدى دموع عابدة ونظراتها .. هي
أيضًا تشعر بالألم والذنب .

وشهقت هدى بالبكاء .. كان من الصعب أن تختمل كل هذا الألم .. هل
حقًا أخطأت ؟ .. هل حقًا قتلت هدى ثلاثة أطفال جمعهم الحب زمانًا ؟!

ونظرت شلبية إليه في غضب لتقول في تهكم بعيد:

يتيمة ولا عشان بنت الغالية .. بنت أحلام اللي كنت بتجري وراها
وسابتك ؛ عشان تتجوز أخوك .. وأنا .. أنا اللي رصيت بك مش عاجباك
.. يا أخي اتلم بقى .

وأطرق طلعت برأسه .. أحلام .. رحمه الله .. كانت أجمل بنات المتصورة
.. لم يكن طلعت وحده الذي أحبها .. كل شباب الحي في ذاك الوقت كانوا
يحبونها .. كانت جميلة رفيقة .. حتى صابر أخوه كان يحبها .. لكن لم يكن
أحدهما يعلم من تحب هي ..

شلبية كانت صديقتها ، ومنها علمت أن طلعت بطاردها ويلاحقها بحبه
ورغبته في الزواج .. كانت أحلام خائفة من خلق مشكلة بين طلعت وصابر ،
الذي كانت تعشقه في جنون .

شلبية هي التي أغبرت طلعت الحقيقة ؛ ليعتد تاركًا «أحلام» لصابر ،
ولكن ما تركته شلبية أبدًا حتى تزوجها في أيام يأسه وحزنه على فراق
«أحلام» ..

شلبية أبدًا لم تغفر له حبه لأحلام .. كانت ترفض استقبالها أو استقبال
صابر .. كانت تشعر أن دخول أحلام إلى بيتها هو مهانة كبرى ، كأنها ترى
«أحلام» تخبرها أنها تزوجت من رفضته هي ..

شلبية تشعر أنها أخذت فضلات أحلام .. صابر رحمه الله كان دومًا يسأل
طلعت عن سر كراهية زوجته لأحلام .. ما استطاع طلعت أن يغيره يومًا ،
بل لم يستطع استقباله أو استقبال زوجته يومًا في البيت .. لم يستطع حتى أن
يصطحبها ليلبارك مولد عابدة .

مات صابر وماتت أحلام وبقيت كراهية شلبية لها تكبر كل يوم .. يوم
جاءت عابدة وهي طفلة بعد ذلك الحادث ، الذي مات فيه والداه ، لم تقبل
شلبية ، بها بل رفضت حتى أن تدعها تنام إلى جوار أبنائها في فراشهم ..

عابدة ابنة أحلام .. وأحلام كابوس شلبية الكبير .. لقد أنقذ القدر
عابدة من الحياة معها يوم قبلت بها هدى هانم .. عشرون عامًا لم يطفئوا نار
الكراهية في قلب شلبية .. عشرون عامًا لم ينسوها أن عابدة هي ابنة أحلام
.. حلم قلب طلعت القديم . كانت شلبية تمنى أن تصبح عابدة خادمة في
بيت هدى أباظة ، لكن هدى جعلتها ابنتها .. كانت حقًا تمنى أن تكون
عابدة مثلها كانت شلبية يومًا ، ولكن هدى أشعلت في قلبها نارا أكبر ، عندما
جعلت منها شابة أنيقة كأنها سيدة شلبية هي الأخرى .. كيف لا تكرهها
إذن؟!

ويعد لحظات رفع طلعت رأسه ؛ ليقول في صوت خفيض:

أنا نازل أروح لصلاح أترجاه يسبب عابدة عند الست هدى ، ويقتى
ياخذها وهو رايح المطار .. يارب يرضى!

وفي سخرية وقحة ، عادت شلبية تقول:

وماتتاش تروح تبوس إيد الست هدى كمان ؛ عشان ترضى تحليها
بعد ما طلبت تمشيها من عندها .. حتعيش وتموت يا طلعت وأنت بتبوس
الأيادي!!

وانحتت نجوى تصلح أطراف ثوب دينا ، وهي تجلس على مقعدها في منتصف القاعة ، ثم اعتدلت لتتأمل إلى عينيها ، وانحتت تضع على رأسها قبلة صغيرة ، ليلمح حسن دمة تسقط من عين نجوى ، وقال وهو ينهض من مكانه :

ما فيش بوسة لحسن يا طنط؟!

وأخذته نجوى بين ذراعيها ، وهي تقول :

طبعًا يا حسن .. طبعًا يا حبيبي .. انت خلاص ابني ..

وحينما انحتت سلوى لتقبل دينا ، وتأخذ هي وكل زملائها في الشيراتون صورة معها ، قالت سلوى في صخب :

دينا .. اللي واقفة هناك عابدة مش كذا؟!

والفتت دينا حيث اشارت سلوى وابتسمت ، وهي تهرز رأسها بالموافقة حيث رأتها عابدة لتقبل نحوها ..

كانت عابدة ترتدي ثوبًا طويلًا من الشيفون الأبيض عاري الظهر مكشوف الصدر أيضًا ، ومن تحت صدر عابدة الأبيض المستدير تتسدل ثلاثة شرائط من الساتان الوردي ، تصل حتى نهاية الثوب .. شعر عابدة بخصلاته الشقراء الداكنة كان كمادته قصيرًا ، كما اختارت له منذ أعوام في قصة الكاريه الفرنسي .. شعر عابدة كثيف ناعم لا كسرة واحدة فيه ، يقف على نهاية عنقها الأبيض الطويل ..

عابدة أيضًا كان مكياجها مثل مكياج دينا رقيقًا هادئًا .. ظلال من اللون البني فوق خضرة عينيها الداكنتين المستديرتين الكبيرتين ، وشفتاها الصغيرة المكتنزتان كانتا ملونتين بلون شرائط ثوبها الوردية .

في قاعة الأوركيد بدار الدفاع الجوي .. كانت دينا تجلس بثوبها الأبيض الرقيق ، المصنوع من الدانتيل الأبيض المطرز بزهرات الأوركيد العاجية اللامعة .. صدر ثوبها وظهريه كان عاريًا حتى منتصف ظهرها العاجي الجميل . ويمتد ذيل ثوب عرسها خلف ظهرها في دائرة كبيرة ، يصل طولها إلى متر ونصف ، وترقد عليها ثلاث زهرات صغيرة من الأوركيد الأبيض المشغول في خفة وأناقة .. شعر دينا البني الناعم كان مجموعًا فوق رأسها في شنيوه جميل ، يقف عليها تاج من اللؤلؤ وبعض قطع الماس التي تبرز في عيون كل من وقف حولها وذراعيها في ذراعي حسن .. طرحتها البيضاء المصنوعة من الدانتيل كانت متوسطة الطول ، تقف على منتصف ظهرها لتنافس جمال ظهرها العاري ..

بشرتها البيضاء الصافية بدت هادئة وهائلة ، وعيناها البينتان المشروطتان تطلقان ابتسامات صغيرة عديدة .. كانت عيناها تتجول وهما يخطوان على دقوق الزفة إلى داخل القاعة ، وكفها الأبيض بين أصابع حسن ، وفي يدها الأخرى باقة صغيرة من زهرات الأوركيد البيضاء ، المزودة بشرائط من الساتان والدانتيل الأبيض .

كانت نجوى تخطو خلفها في ثوبها الأزرق الأنيق ، وكان عبدالكريم فياض سعيدًا وأنيقًا ..

أقبلت عابدة نحو سلوى ودينا ، وهي تبسم لتظهر غيازة خدها الأيسر العميقة ، حيث صاحت سلوى قائلة:

مين فيكم العروسة!؟ ومن فيكم أحل .. والله مش عارفة .

وابتسمت عابدة في حنان ، وهي تقول بصوتها ، الذي ما ارتفع يوماً :

دينا أحل عروسة ، وصحابها دائماً أحل أصحاب .

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

ضمت دينا عابدة إلى ذراعها ، وأقبل هاشم بقلبه الحزين وعينيه المبتسمتين ؛ ليحتضن «حسن» في حنان ، ويقف إلى جوارهم جميعاً أمام عدسات المصورين .

كان الزفاف رائعاً .. كانت هدى وعبدالمنعم يتقلان مع نجوى بين طاولات المدعوين ، وكان دينا ابتهم .. كل مدعوي نجوى وأقارب مختار والد دينا كانوا يعرفون عبدالمنعم شيرازي وعائلته .. كل المدعوين كانوا يضافحون عبدالمنعم ويبتأونه كأنه والد دينا أو عمها .

رقصت دينا مع حسن ، ورقص معها أصدقاؤه وزملاؤه في شركة البورصة والأوراق المالية ، وضمها عبدالكريم فياض إلى صدره أكثر من مرة ، ورقص بها في وقاره وحنانه ، الذي تذبذب فيه دينا عشقاً ..

حتى هاشم رقص مع دينا أكثر من مرة ، ولكنه كان دوماً يتركها بعد ثوانٍ لذراعي الحسن أو أحد أصدقائه ؛ ليعود إلى ذراعي عابدة ويرقص معها ، أو يتعدى بها ليجلسا إلى جوار هدى أو منعم .

بدأ هاشم وكأنه قطعة من ثوب عابدة دوماً خلفها أو معها أو يبحث عنها بعينه .. عابدة أيضاً كانت تشعر أنها تريد أن تلتصق بكفيه ، وكان كفيه وحدهما عكازها ..

في نهاية الليلة ، وقفت نجوى تبكي في جنون ، وهي تودع دينا و«حسن» وهما في طريقهما إلى غرفتهما بالفندق ليبينا فيها ليلتين ، قبل التوجه إلى لبنان

عايدة تستجدي الزمن أن يزحف في بطنه لتنفس ، وتنسى أيامًا سوداء
قضتها في عزية الشال ..

عايدة تستجدي الزمن أن يقف ، لأنها تشعر أن كل لباليها ستصبح أكثر
سوادًا إن هي فارقتهم ..

عايدة تفضل الموت عن فراقهم!

www.mlazna.com
"RAYAHEEN"

لقضاء أسبوع أو أقل ، حيث اتفق الجميع على سفرهم ، بعد سفر عايدة إلى
لندن لوداعها مع صلاح .

ورغم محاولات عايدة ورجائها الطويل لها ألا يبقيا من أجل وداعها ،
إلا أن دينا و«حسن» بالتصميم ذاته ، أخبراها أنها لا بد أن يبقيا ليكونا معها
يوم سفرها إلى لندن .

وضمت هدى «حسن» إلى صدرها ، وعادت تأخذ دينا بين ذراعيها ،
وهي تطمئننها وتغيرها أنها ستذهب للمبيت مع نجوى في بيتها ؛ ليحضرها
جميعًا في ظهر الغد ، ويتناولون مَنا طعام الغداء في أحد الفنادق القريبة .

كانت هدى تشعر بلوعة نجوى ، ولكنها أيضًا كانت تعلم أن اللوعة
يلبها دومًا الاعتياد ، والاعتياد يصحبه مع الوقت السكينة والهدوء ..

هاشم بدا متعجلًا للعودة إلى البيت .. هدى ستذهب إلى نجوى
وعبد المتعم سيخلد إلى النوم .. أما هو سيبقى ما بقي من الليل إلى جوار
عايدة ، يتحدثان ويستعيدان لحظات الليلة وتقاصيلها ..

هاشم سيبقى الليلة وكل الليالي الآتية مع عايدة ، يحدثها ويسمعها ويخترن
تحت جلده ألف ذكرى ، وألف قصة ليواجه بها أيام الفراق القادمة .

الجميع يتعجل الرحيل!!

إلا عايدة!! عايدة وحدها كانت تستجدي الزمن أن يقف .. كانت
تستجدي اللحظات أن تطول .. الليالي الباقية قليلة، لكنها تمنى لو أصبحت
كل لحظة فيها دهرًا طويلًا .

عايدة تتخشى ليلة قادمة اسمها الليلة الأخيرة .. ليلة ستصحو بعدها على
الفراق ، وهو يندق الباب .

عندما دخلت دينا إلى جناحها بفتدق الدفاعة الجوي ، أغلق حسن خلفها الباب ، وأمسك بذراعيها في حنان ، وعينا دينا ترقبانه في حب كبير ..

كان حسن أنيقاً .. بدلته السوداء وقميصه الوردى الفاتح كان يضفي على بشرته القمحية ظلالاً مضيئة هادئة ..

وبدا حسن في عيني دينا أجمل وأكثر وسامة من كل ليالى عمرها ، التي رآته فيها .

أنفه المعتدل ووجه المربع وشفتاه المكتنزتان كانت ترقص في عينيها .. لقد قبلها حسن كثيرًا ، ولكنها الآن وهي مازالت على باب غرفتها في الفندق ، وقبل أن يخطوا خطوة إلى داخل الغرفة ، تشعر أن شفتيها ترقص هي الأخرى ، وتبحث عن شفتي حسن ليبادلاها الرقص .

وفي حيرة مدت أصابعها إلى طرحة رأسها ، تحاول أن تفك تاجها عنها ، واتحنى حسن في لحظة ليحملها بين ذراعيه ، ويركض بها في انطلاقه وجنونه إلى داخل الجناح الأنيق ، وصاحت دينا ، وهي تقول :

يا مجنون .. الفستان .. الدليل يا حسن حدوس عليه .. نزلني ..

وألغافها حسن يشوبها على فراش سرير الغرفة ، واتحنى فوق جسدها ينظر إلى عينيها في مرح قاتلًا :

خلاص .. الفستان خلص دوره .. حاقطعه يا دينا .. مالوش لزمة ..

وحاولت دينا أن تنهض من تحت ذراعيه لتقول متظاهرة بالغضب :

تقطع إيه يا مجنون؟! فستان الفرح دا هو الفستان الوحيد اللي اتعمل عشانك وليك .. أي هذوم ثانية ممكن البسها لغيرك .. مع غيرك .. ومن غيرك .. لكن دا .. دا مش فستاني .. دا فستانك .. فستان العروسة يا ناصح هي تلبسه لكن يفضل بتاع العريس ..

ودفعت ذراعيه لتخرج من تحتها ، وهي تقول :

حاشيله يا حسن .. لبتك .. تشوف قد إيه أنا بحب أبوها ، وقد إيه عملتله فستان حلو ، وإزاي هاحافظ عليه ..

ونفض حسن ليضمها وهو يخلع طرحتها عن رأسها قاتلًا :

حتحافظي على الفستان ولا على صاحبه يا دينا؟!!

وسقط شعرها البني الناعم على كتفيها العاريين ، لتقول وهي تنظر في عينية باتسامة كبيرة :

حسن ..

ووضع أصابعه على شفتيها ليقول :

ما تقوليش حاجة يا دينا أنا عارف .. عارف ..

وسقط ثوب دينا تحت جسدها ، ومدت أصابعها لتلتقط قميص نومها الوردى ، والذي وضعته لها عابدة على حافة سريرها ، قبل نزولهم إلى قاعة الاحتفال ... التفتته دينا لتركض به إلى حمام الغرفة ، وأغلقت خلفها الباب وهي تضحك في صخب ..

واتحنى حسن يلتقط ثوب زفافها من على الأرض في حنان ، وضمه إلى صدره ، وهو يخطو به ليضعه في حرص على أحد المقاعد الموجودة ، وعاد

يقف أمام المرأة ليبدل ملابسه هو الآخر ، ويضع زخات من قارورة عطر أحضرها..

ويبدأ في عين مرآته وسيباً حثاً .. شعره الكثيف القصير .. وجهه المبتسم الهادئ .. ملامحه التي تفتتح فيها الرجولة بالطفولة والوسامة .. كل شيء كان يرقص ويغني في عروقه ونحت جلده ، والنفت ينظر إلى دينا وهي تخرج من خلف حمام الغرفة مرتدية قميصاً من الدانتيل الوردي .. كان قميصاً رائعاً حائياً يضم جسدها في لفحة ، وانطلق نحوها حسن ، بعد أن ارتدى بيجاما من اللون الكحلي المنقوش بدوائر بيضاء ، وضماها إلى صدره والنفت شفتيهما بين شفتيه في حب ، علا صوته على صوت رغبته وشهوته ، وعاد يحملها بين ذراعيه ، وشفتاه مازالت تضم شفتيهما ليعود بها إلى فراشها .

دينا أيضاً كانت تريد في جنون .. رغم خوفها .. رغم اضطراب أنفاسها .. إلا أن كل شيء مع حسن عبدالكريم له أصابع تقتل الحروف وتززع الحب والطمأنينة .

وتركت له دينا نفسها .. تركت له شفتيهما وخصلات شعرها .. تركت له جسدها وأخذت شفتيه وخصلات شعره ... أخذت جسده في حب وفرحة لا حدود لها .

أغمضت عابدة عينيها ، وهي تلقي برأسها على مقعد طائرة مصر للطيران ، المتجهة إلى مطار هيثرو بلندن ..

حتى دينا وحسن جاءا معها إلى المطار لوداعها .. دينا سهرت معها حتى اللحظات الأولى من الصباح ، ثم عادت إلى حسن ليلتقيا جميعاً عند موعد الطائرة .

وعادت اليلة ترتجف ، وهي تتذكر كيف وضعت هدى في يدها هذا الصباح في غرفتها حوالة بثلاثة آلاف جنيه استرليني ، أخبرتها أن «هاشم» قام باستخراج هذه الحوالة وتحويلها باسمها على أحد البنوك في لندن .. لقد طلبت منها هدى ألا تغير صلاح بأمر هذه النقود ، وأن تفتح بها حساباً باسمها تحسباً لأي ظرف ، قد تحتاج معه نقوداً ..

لقد ضمتها هدى وبكت ، وهي تخبرها أنها دوماً ستكون على استعداد لأن ترسل لها كل ما تحتاج ..

هدى تحبها .. نعم تحبها .. لا شك عند عابدة في هذا أبداً .. لماذا إذاً طلبوا من طلعت أن يأخذها ؟ .. وفتحت عابدة عينيها لتنظر إلى وجه صلاح النائم إلى جوارها ..

صلاح زوجها لكنها لا تعرفه .. شهر تقريباً منذ بداية قصتها معه .. منذ مساء يوم ذهباها إلى المنصورة حين رآته للمرة الأولى .. لم يطل النظر في وجهها مرة .. لم يحاول الانفراد بها .. لم يحاول حتى أن يمسك يدها ، يوم

ذهب بها إلى السفارة الإنجليزية في القاهرة .. لم يحاول أن ينظر إلى عينيها ..
ألا تعجب! لا تعلم ولا تصدق!!

في المدرسة كانت عابدة أجمل فتاة .. في الجامعة كانت أجمل فتاة .. لم تمر
عليها عين زميل أو أستاذ ، دون أن تشهق انتهازًا بجمالها وجمال جسدها ..
صلاح يحيرها .. صلاح يشعرها أنها لا شيء أكثر من امرأة يصطحبها
معه إلى حيث لا تعلم ..

وسقطت من عينيها دموع صغيرة ، وهي تنظر إلى خصلات شعره الملتوية ،
والتي يسقط بعضها على جبهته السمراء .

صلاح يبلغ من العمر اثنين وأربعين عاما .. هل يزهو الرجل النظر
إلى النساء بعد الأربعين ، أو ربما كان صلاح لا يحب المرأة الشقراء؟ ربما
كره الشقراوات من طيلة حياته في لندن؟ ولكن عابدة ليست كغيرها من
الشقراوات .. إن خضرة عينيها داكنة .. حتى شعرها الأشقر داكن ..
وعادت عابدة تهز رأسها في حيرة .. هل تريد أن يعجب بها؟ هل هي حقًا
معجبة به؟

وعادت تنظر إلى قميصه الكاروه والسويتر الأسود القديم الذي يرتديه
.. صلاح ليس جليلاً ولا أنيقاً .. كل من برأها منا لا يصدق أبداً أنها منا ..
ولكن عابدة لا يحبها أبداً كيف يبدو صلاح أو ماذا يرتدي .. عابدة علمتها
هدى وعلمها منعم وعلمتها الكتب ، التي قرأتها كثيراً مع هاشم ، أن الإنسان
يجب أن يحب الكائن الموجود خلف الملامح .. الملامح لا تُعشق!!

لكن «صلاح» جاف .. كلمته دوماً لاذعة ، ولكن ربما كان له قلب رقيق
ولاً ما تزوجها .. حتى يواجه منها لغز لا تعرفه!

كيف أصبحت في ليلة واحدة حياة عابدة كلها أسئلة لا أجوبة لها؟ ..
رموزاً لا حل لها؟ .. حقيقة واحدة باقية .. هذا الرجل الأسمر زوجها ..

يجب أن تصل إلى قلبه .. يجب أن يحبها .. لم يعد لها سواه .. هي الآن تائهة
معلقة بين السماء والأرض ، وحين تهبط بها الطائرة على الأرض ، ستجد
نفسها على أرض غريبة .. أرض لم ترها عينها من قبل .

أصبح كل ما تعرفه في الأرض هو صلاح .

نعم صلاح رفاقي هو بقعة الضوء الوحيدة ، على أرض كاملة من الظلام
والمجهول ..

ورأته يفتح عينه لينظر إليها ، ثم قال:

عابدة .. هي إيه الشظية اللي خدتها من إيد هاشم وإحنا في المطار؟!

وبعد لحظة قالت عابدة ، وهي تحاول أن تبسم:

الهاندباغ؟!

ونظر إليها ليقول في رنة مسخرية:

أيوة ياستي .. الهاندباغ .

وعادت عابدة ترخي عينيها قائلة:

مش عارفة .. هاشم قال لي إنه سطر فيها شوية حاجات حتتفني في
السفر ..

وأدار صلاح رأسه إلى نافذة الطائرة ، وهو يقول:

يمكن اشترى شوية معلبات وأكل .. على الله يعدوا من الجوارك .. أهم
بنفعونا .. الحياة غالية مولعة هناك .

وابتلعت عابدة الكلمات ، وقالت في صوت متردد:

أنت .. قصدي إحنا حنسنك فمين يا صلاح؟

وعاد بنظر إليها قائلاً:

في حنة اسمها «نابن المزة» .. يعني .. حتمجيك إن شاء الله .

ويبد مرعجة وكتلميذة خائبة صغيرة ، مدت عابدة كفها إلى كف صلاح قائلة:

أنا ما عرّش أي حاجة عنك يا صلاح .

وأطلق صلاح ضحكة ساخرة ليقول:

أنا عندي تاكسي وبادفع مية وخمين جنيه استرليني كل أسبوع للراديو .. راديو إيه ؟ .. دي أجرة عشان أعرف وأقدر أسوق التاكسي .. شوفي انتي بقى لازم اشتغل قد إيه عشان أقدر أجيبهم ، وأجيب أكلّي وشربي وفلوس السكن حوالي مية وعشرين استرليني كل أسبوع .

وفي هدوء ، أرخت عابدة عينيها كأنها لا تريد أن يرى خوفها ودهشتها ، إلا أن «صلاح» كان يبدو ، وكأنه اتخذ قراراً بأن يجبرها كل ما لا تود معرفته .. هو يعلم جيداً أنه لا مفر ولا خيار آخر الآن أمامها .. باب الطائفة مغلق وحين ترسو على الأرض ، لن يكون أمامه أو أمامها سوى الحياة ممّا ..

وعاد صلاح يتحدث بصوته للأجش قائلاً:

أوعي تفنكري إن الحياة هناك سهلة .. أو تفنكري إن البلد حلوة أو نضيفة .. الخت الحلوة والنضيفة يا عابدة ليها غنما وليها ناسها اللي تقدر تشتري وتدفع الثمن دا .. أنا سبت المتصورة من عشرين سنة وليومك دا باشقى ، وأحط القرش على القرش وبإدويك عايش .. أنا حتى ماعرقتش أشتري شقة عدلة في عزية الشال .

وعاد يكمل بعد لحظات:

أنا تجوزت عشان محتاج ست تراعيني وتراعي بيبي .. أنا طول النهار في الشارع ، وكناية إني حاضطر أضيع «وقت كبير» الأيام الجاية عشان نعمل إجراءات الجواز والإقامة من أول وجديد هناك .

وبعد لحظة صمت ، وقع صلاح حاجبه ليقول في استعلاء كبير:

أحمدي ربنا إن واحدة زيك حتأخذ الجنسية الإنجليزية .. انتي عارفة الناس يتموت عشان تأخذ تأشيرة ، تحط بيها رجلها في أوروبا مش جنسية . وأغمضت عابدة عينيها من جديد .. مازال جسدها يرتجف .. مازالت خائفة .. بل إن خوفها يكبر كلما فتح صلاح شفّته ، وقال كلمة .. من قال إنها كانت تحلم بدخول أوروبا .. من قال إنها تطمع في الحصول على الجنسية الإنجليزية .

عابدة لم تكن تريد شيئاً سوى بقائها في شارع نهر .. لم تكن تريد أبداً أن ترى صورتها على بطاقة أو جواز سفر .. بل هي لم ترد يوماً أن يكون لها جواز سفر .. كان يكفيها سفرها مع هدى ومنعم وهاشم إلى شرم الشيخ ومارينا والغردقة .

وضغطت عابدة جفّتيها في قوة .. عائلة عبد المنعم شيرازي أصبحت ماضياً يجب أن تساء عابدة .. ماضياً قد لا تعود إليه يوماً ، ولكن من يعلم .. قد تعود .. ألم تظن أنها لن تراهم ، يوم أخذها طلعت إلى المتصورة وعادت .. عادت لنحيا معهم أياً ما لم تذق أياً ما في حلاوتها .. عادت لنشتري لها هدى حقيقتين من الملابس الجديدة ، وليأخذها هاشم إلى العشاء في أجل المطاعم كل ليلة .. عادت لترى «منعم» يتسلل إلى فراشها ويقبلها كل ليلة ، كما كان يفعل أعمام طفولتها .

لا أحد يعلم ما الذي يجتبه الغد ..

لم تصدق عابدة أبدًا ما يفعله صلاح .. لم تصدق أبدًا أنه يعمل حقايقها وحقايقه من المطار إلى محطة الباص .. بل لم تصدق أنها قاما بتغيير عدة باصات للوصول إلى البيت .. لقد سأله قبل أن يخبرها أن هذا هو الباص الأخير الذي سيأخذهما إلى «ناين المُر» حيث يسكن .. سأله عابدة لم لم يأخذها تاكسي أو عل الأقل المترو؟

أجابها بسخرية كبيرة أنه هو سائق تاكسي ، ويعلم كم يأخذ التاكسي .. أخبرها أن المترو سيفضطره إلى دفع ثلاثة جنيهات استرلينية زيادة عما يدفعه في الباصات .. لا تصدق أمن أجل ثلاثة جنيهات فقط يتكبدون كل هذه الصعاب؟! .. هل صلاح فقير إلى هذه الدرجة ، أم أنه يخيل حتى الموت؟ .. لا تعلم .. لم تكن أبدًا تتخيل أن أحدًا ممن يعملون في خارج مصر يتكبد كل هذه الصعاب ؛ ليوفر ثلاثة جنيهات استرلينية بعد رحلة سفر طويلة ، وفي يومه الأول مع عروسه .. نعم .. إنها عروس!!

وابتسمت عابدة في مرارة .. إنها لا شيء .. لا شيء .. حمقاء إن ظنت أنها عروس .. إنها هنا وعلى أرض هذا البلد ليست حتى زوجة صلاح رفاعي .. إنها سائحة .. جاءت بتأشيرة سياحية .. إنها فقاعة صغيرة من الهواء لا تعلم أبدًا أين أو متى تنبدد .

وأفاقت عابدة عل صوت صلاح ، وهو يخبرها أنها وصلا إلى منطقة سكنها وفتحت عابدة عينيها ؛ لتتظر من نافذة الباص التي جلست إلى

هناك دومًا غد بعيد قد لا تراه .. قد لا تصدق حضوره .. ولكن هناك دومًا غد بعيد .. غد جميل وسعيد ..

لا شيء أبدًا في قلبها وروحها أجمل وأسعد من أن تعود إلى ذراعي بابا منعم وعائلته .. لا شيء أجمل من أن تعود إلى دينا وحسن وطلعت نجوى وشارع نهرو .. علمتها الكتب أن الغد ، وإن كان بعيدا سيأتي يومًا .. سيتغير اسم الغد ذات يوم ليصبح اسمه الآن .. يومًا سيصبح الغد البعيد حاضرًا قريبًا!!



www.mlazna.com
RAYAHEEN

جوارها ، واتسعت عينها المستديرتان الواسعتان وهي لا تصدق .. الشوارع مشخة .. وحوائطها أكثر قذارة .. حتى البشر الذين يتجولون أمام عينيها أكثر بشاعة من سكان عزبة الشال في المتصورة ، وعندما حاولت إرغاء جفنيها ، رأت من خلف زجاج الباب فتران تركض إلى جوار الحائط ، الذي وقف إلى جواره الباب ليأتيها صوت صلاح يأمرها بالتهوؤ .

كتمت عايدة صرختها الصغيرة ، ووقفت خلف صلاح تتقدم إلى باب الباب بعد أن زاد خوفها .. عايدة تكره الفتران وترتعد منهم .. هل جاءت عايدة لندن لتحيا في مكان يسكنه بشر كهؤلاء ؟ مكان تتجول فيه الفتران في الشارع ، دون حتى أن تثير خوف أحد أو تسترعي انتباه أحد سواها ؟ !
وصاح صلاح كأنه يفيقها قائلاً :

إيه يا عايدة مالك ؟ ! البيت أهو هناك .. أنا عندي عربية بعجل حاروج أجيبها تحط عليها الشط .

وصاحت عايدة في ذعر ، وهي تنظر حولها :
لا .. ما تسبش يا صلاح .

ولمعت عينا صلاح ، وهو يرى الخوف في عينيها ، لكنه مضى يقول :

إحنا لسه يدري .. دقائق حاجب العربية وأرجع .. ماهو ماحدش يجيب الشط دي كلها ، مش كفاية الفلوس اللي اتدفعت في الوزن .. لا كمان عذاب وشيل وحط .

ونظرت عايدة إليه ، وهو يخطو بعيداً عنها ، وانحنى تجمع الحقائق حولها ، وعلقت يدها اليمنى في الماندباج التي منحها هاشم إياها في المطار .. وتنهتد .. يلومها صلاح لأنها جاءت بثلاث حقائب .. يلومها لأن هدى

اشترت لها ثياباً وأحذية .. يلومها رغم أنه لم يدفع ملياً واحداً في المطار .. وحده متمم دفع ثمن زيادة الوزن ، بل وبها أصر على الدخول إلى صالة المطار ليفعل ذلك .. لم يعترض صلاح ، ولم يقل حتى كلمة يبدى فيها رغبته في الدفع .. لكن هل هو فقير أم هو بخيل ؟ .. وعادت تنظر حولها .

عادت تنظر من جديد إلى الشارع الذي وقف به الباب .. عادت تنظر إلى البيت الذي أشار إليه صلاح بإصبعه .. إنها السابعة مساء .. لقد وصلا مطار هيثرو في الرابعة ، واستغرقت رحلتها من المطار إلى هنا ما يقارب الثلاث ساعات .. الشوارع مرعبة ، وكل من يخطو على ظهرها إلى جوار عايدة يقف بعينه على وجهها الأبيض الجميل في دهشة كبيرة .. وراة رجلاً يحاول الاقتراب منها وأرجفت .. هل هو لص ؟ ! هل هو مخمور ؟ ! وسمعتة يدمدم بكلمات ماجة ، ورفعت عينيها ، تنظر حولها في خوف ؛ لتصبح وهي ترى « صلاح » يأتي من بعيد ، وهو يدفع بكفيه عربة كعرات التسوق أو ريا قام بسرقتها من أحد المحال وصاحت تناديه ، وابتعد عنها المغموم وهو يرى صلاح يتقدم مسرعاً إليها .. وساعدته عايدة في رفع الحقائب .. كانت تريد أن تبعد .. كل ما تريده حقاً أن تختفي خلف جدران .. خلف أبواب .. بعيداً عن هذا الحي الغريب .. بعيداً عن هذه الوجوه المعجبة .. بعيداً عن الفتران !!

لكن قلب عايدة اشتعل أكثر عندما وصلا منزل صلاح .. إنه بيت مكون من طابقين يسلم معلق في الشارع .. صلاح يسكن الدور الأول ، الذي ما أن وصلته عايدة حتى كاد يصيبها الغثيان .. كل شيء تصدر عنه رائحة كريهة .. أوراق قمامة مبعثرة في كل مكان ، ورغاً عنها ورغم حرصها الكبير على عدم التفرغ بعرف واحد تجرح به مشاعر صلاح .. إلا أنها أبداً لم تستطع أن تكتم صرختها ، عندما فتح صلاح باب بيته وأشعل الضوء ..

عرضها 160 اسم ، وبجواره طاولتان أيضًا عليها بعض الصحنون والعلب الفارغة ..

النافذة تطل على شارع خلفي غير ذاك الذي دخلوا منه .. وعلى الحائط المقابل دولا ب كبير ، هو جزء من الحائط ، وفي الحائط المقابل للسريـر يوجد تليفزيون أسود صغير معلق على منتصف الحائط ، وفي أسفله أيضًا فيديـر صغير معلق على رف أسود .

في الحقيقة كل شيء في عينيها بدا أسود .. كل شيء .. حتى وجه صلاح ما عادت تراه عائدة أسمر .. بل أصبحت تراه أسود في لون دقات قلبها . وعاد صلاح يقول:

الحمام عندك الناحية الثانية .. طلعي حاجة تلبسها ويللا خليتنا نام ..

وفي هدوء ، تقدمت عائدة إلى إحدى الحجابتي التي ألقتها صلاح على أرض الغرفة ، وانحنى تحاول حملها .. لكنها لم تستطع ، وفي ملل واضح جاء صلاح من خلفها ليحملها عنها ويضعها ، على شيزلونج أحمر قديم في أحد أركان الغرفة ، وقال وهو يراها تفتح الحقيبة:

بكـرة ابقي رصي هدمك في الدولا ب .. أنا ماعتديش هدم كثير .. الناس العاقلة ما تفضيـش فلوسها في الهدوم .

ولم تسمعه عائدة .. أخرجت قميصًا قطنيًا أزرق ، وحملت على يدها فوطـة زرقاء جديدة ، ومن أحد جيوب الحقيبة أخرجت كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا ، كان فيه أدوات استحمامها ومعجون أسنانها ، ومضت إلى حمام البيت تفتحه .

ورغم الرائحة الكريـة .. رغم ضيق الحمام .. رغم أنه حتى لا شيء فيه .. سوى تواليت متسخ يبدو أنه يومًا كان أبيض .. وحوض صغير وشاور

صاحت عائدة صيحة جريـمة ملبـوحة لا تصدق .. صالة متوسطة الحجم بها سجادة ، لا يمكن أبدًا أن تعرف لها لونًا أو شكلًا ، وفي أحد أركانها طاولة سوداء صغيرة حولها مقعدان ، وما زال عليها صحنون فارغة تحمل آثار طعام .. وإلى جوار النافذة أريكة جلدية سوداء متهاكة ، إلى جوار مقعد أو هكذا كان يومًا .

طاولتان جانبيتان صغيرتان إحداهما مكسورة الأرجل ، كانت في أحد الأركان ، وفي الزاوية المقابلة باب يبدو أنه باب غرفة ، وحين التفتت عائدة تنظر يمينها رأت مطبخ البيت ، وشهقت شهقة أخرى مجروحة .. كانت تظن أن مطبخ شلبية هو أفقر مطبخ رآته عيناها ، ولكن ها هي تعلم اليوم أن مطبخ شلبية هو قصر ياكتهـام ، إن قارنته بمطبخ صلاح رفاعي . وسمعتـه يقول:

إيه فيه إيه .. مش تدخلـي معايا الشنط يا عائدة ، ولا حاشيل كل حاجة لوحدي؟!

ونظرت إليه عائدة بعينيها الزائغتين .. من قال إن صلاح يعمل شيئًا .. وحدها تحمل الخوف والذعر والغيان ، كما لم يحمله قلب إنسان على الأرض .. لو أقسم سكان الأرض يومًا لعائدة أن هناك ، وفي بلد مثل إنجلترا ، يوجد حي ، ويوجد بيت يمثل هذه الفـذارة لما صدقت ، ولكن اليوم علمت أنه يوجد ، وأنه أصبح وحده بيتها وسكنها!

عندما تبعـت عائدة صلاح إلى غرفة البيت الوحيدة ، كانت تعمل في يدها الحقيبة الثالثة والأخيرة .. كانت ثقيلة لكن أفكار رأس عائدة كانت أكثر وزنًا وثقلًا ، وما أن دخلت الغرفة حتى شعرت بأطنان جديدة من الخوف تلقى على صدرها .. الغرفة صغيرة تسع بالكاد لفراش صلاح ، الذي كان عبارة عن علبة خشبية ، ارتفاعها عن الأرض عشرون سنتيمترًا وعلية مرتبة

وأنت حمامها ، وهي تقاوم شعورًا كبيرًا يذق صدرها ورأسها .. في هذا المكان وتحت هذا الماء عابدة لم تغسل .. عابدة لم تحو آثار السفر وغبارها .. عابدة كانت تشعر أنها اتسخت .. كانت تشعر أن حتى ملابسها التنظيف الجديدة التي ارتدتها اتسخت .. وعند عودتها بها رمت بعينها صلاح على سرير في بيجاما حراء ، شعرت عابدة أنها هي بأكملها مستخ من جديد ، عندما يلامس جسدها هذا الفراش .. إلا أنها أغمضت عينها ورفعت رأسها تسحب نفسًا عميقًا من صدرها ، وألقت بجسدها على السرير كأنها تنتحر .. كأنها تلقي بنفسها من أعلى برج القاهرة .. والتفت صلاح ينظر إليها وتسلمت ورائحتها الجميلة إلى رتبته .. كان يرى ذعرها ويشعر بعذابها وألمها ، وكان يفهم سبب كل هذا .. بل كان يعلم أنه سيحدث ، أو ربما توقع أن يحدث ما هو أكثر ..

منذ اللحظة التي دخل فيها صلاح وقافي إلى بيت طلعت ليرى عابدة ، علم أنها شيء آخر .. رأى يومها دموعًا تبلل عينها المستديرتين الواسعتين ، وعندما سألتها ابتسمت وقالت .. إنه لا شيء سوى حساسية تصيبها عند تغير المناخ .. يوم دخل صلاح بيت عبد المنعم شريازي ، علم أيضًا أن عابدة شيء آخر .. رأى يومها في أي بيت نشأت ، وعلى أي مقاعد جلست .. يوم اصطحبها إلى السفارة الإنجليزية ورأهم كيف يجادونها ، وكيف ابتسموا في وجهها ، كما لم يفعلوا معه هو نفسه ، رغم أنه يعمل الجنسية الإنجليزية التي لا تحملها هي .. عرف أنها شيء آخر .. لغتها الإنجليزية القوية الواضحة .. جعلها الأنيقة الراقية .. عرف صلاح يومها أنها شيء آخر .. وعرف أيضًا أن مهمته معها ستكون صعبة ..

صلاح يعلم أنها تلظن نفسها أفضل منه .. يعلمها .. بشهادتها .. بمظهرها .. بجملها .. بأرستقراطيتها التي تكمن في بساطتها وكبرياتها .. لا .. هي

أرضي حوله باب زجاجي به شرح كبير .. إلا أن عابدة أغلقت غطاء التواليت ووضعت ملابسها لتستدير وتغلق باب الحمام ، وتكفي عليه كأنها تكاد تسقط .. لا شيء يقف بينها وبين السقوط على الأرض ، سوى اشترازها الكبير من قذارة الأرض .. لكن مازال بإمكانها أن تبكي .. وبكت .. وبكت عابدة كما كانت تبكي دومًا في حمام عزبة الشال .. وبكت كثيرًا وطويلاً ، وهي تنظر حولها ولا تصدق أنها متحيا هنا .. في هذا الحوض الصغير القدر ستغسل وجهها وأسنانها البيضاء كل يوم .. في هذا الشاور الصغير الصديق ستستحم .. في هذا البيت ، وفي هذا الحلي ومع هذا الرجل أصبحت حياة عابدة ..

لكن مازال في صدرها أمل .. قد يكون صلاح رجلًا طيب القلب .. ليس ذنبه أنه فقير .. ليس ذنبه أنه يعمل ليلاً ونهاراً .. ستحاول أن تساعد .. سترعى له بيته .. ستحاول أن تجعله أكثر نظافة وجالاً .. ولكن هي أبدًا لم تقم بأعمال النظافة .. لم تكن تفعل شيئًا مع هدى سوى إعداد بعض المأكولات وترتيب غرفتها أو غرفة هاشم .. لكنها الآن لا غرفة لها ولا هاشم حولها .. هذا هو ما تحياه ، وهذا هو ما يجب أن تجعل منه شيئًا أفضل ..

ومسحت عابدة دموعها الكثيفة ، وتقدمت في خوف إلى الشاور الصغير لتفتح في خوف مياه الدش .. كانت تشعر أنها سترى فأزًا يهبط من الدش أو ربما قوافل من الصراخ .. لكنها رأت ماء أصفر يتسرب أمامها على أرضية الشاور الصفراء ، وانتظرت حتى عادت المياه إلى لونها الطبيعي ووقفت تتلمع ملابسها ، ثم نظرت إلى المرأة الصغيرة فوق الحوض ..

كان وجهها جميلًا وشعرها الذهبي القصير العالي فوق رأسها أيضًا كان جميلًا ، وسقطت عيناها على صدرها الوردي المستدير .. حتى هذا ما عاد ملكها .. كل شيء الآن بين يدي صلاح ، ومن حقه وعلى أرضه وفي بيته ..

تعلم أنها أفضل منه ، ولكن صلاح سيفهر كل هذا .. صلاح يعشق المرأة الحزينة الضعيفة .. عابدة ورغم هذا الدمع الرقيق ، الذي يراه اليوم في عينيها يعلم أن كبرياءها العتيدة لن تصمد طويلاً .. صلاح ماهر في إطاحة رأس الكبرياء .. وبما كان الأمر صعباً ، ولكن مازال أيضاً الأمر سهلاً ..

عابدة وحيدة .. عابدة يتيمة .. عابدة لا سند لها ولا أهل .. حتى عائلة منعم شيرازي تخلت عنها .. طلعت أخبره أنهم طلبوا رحيلها ؛ لأن هاشم سيتزوج ويقيم معهم ، ولم يعد لعابدة مكان .

سيهزم صلاح كبرياءها وسيستمتع ويتشي بسقوط دمعها أمام عينيها قطرة قطرة .. سيبتني طويلاً وكثيراً بهذا الجسد الأبيض المرمرى الرشيق ، ولكن لن يلمسها أبداً ، إلا بعد أن تذوب كبرياؤها قطرة قطرة بين أصابعه ..

وجاءه صوت عابدة يقول:

صلاح !؟ يمكن بكرة الصبح نشتري أدوات نضافة يعني ..

وقاطعها قائلاً:

الصبح حافهمك .. في يقال جنب البيت .. حقي أسيلك شوية فلوس انصرفي انت .. أنا لازم أنزل الشغل ، عشان أعوض وأقدر أأخذك ونروح نعمل إجراءات الجواز والجنسية .

ورفعت عابدة عينيها تنظر إليه في ذهول .. هل يخرج وحده في الصباح التالي لحضورهما .. وأرخت عينيها بسرعة .. كانت تعلم .. ألم تجرب نفسها .. هي ليست عروسة .. هي لا شيء .. لا شيء .

وشعرت عابدة بكف صلاح ، ترفع وجهها إلى وجهه ، وعندما التقت عيناها ، قال لها صلاح في تلمع كبير:

اطفي الأباجورة اللي جنيك خيلنا ننام!

ويعد أن وجدت مفتاح الأباجورة استدارت تنام ، وهي تكتم أنفاسها .. إن رائحة الوسادة بشعة .. ولكن رائحة هذا الغموض أكثر بشاعة وقذارة ..

واستدار صلاح هو الآخر بجسده بعيداً عنها وكنم آهة في صدره .. إنه يريد بها .. يريد الجسد الجميل .. يريد هذه الرائحة الجميلة .. لكن صلاح رفاعي لا يأخذ امرأة إلا إذا كانت تشعر أنه سيدها وأفضل منها .. صلاح سيأخذها قريباً .. سيأخذها بعد أن يعلمها كيف تبكي أمامه .. كيف تعلن أنه سيدها الذي غمرها بفضله وعطفه ، يوم تزوجها وأحضرها إلى أحد أجمل بلاد العالم .

صلاح رفاعي يوم يعتلي جسد عابدة ، يجب أن تعلم أنه يعتليها لأنه الأفضل ولأنه الأقوى .. سيصبر على لفته إلى جسدها .. سيكنم ظمأه إلى أخذها ؛ لأن نشوته ستبلغ الذروة عندما يحطم كبرياءها ويسقط دمعها أمام عينيها !!



وأعدت لحظتها النقود إلى حيث كانت ، ودخلت إلى غرفتها من جديد ، والتفت الحقيبة الصغيرة لتخرج منها المفروف وتفتحه ، وسقطت دموعها في صمت .. ثنائية ورقات كل ورقة بياضة جنية استرليني ، أي ما يعادل ثمانية آلاف جنية مصري تقريباً .. وزوجها يلقي لها بعشرة جنيهات ، من المفترض أن تشتري بها كل شيء في يومها الأول معه .. وأين في لندن !

وعادت عابدة تخطو نحو المطبخ لتفتح باب الشلاجة الصلدة ، التي تقف في وهن على أحد حوائطه الفلدة ، وشهقت من جديد .. لا شيء .. سوى علب فارغة وقوارير متسخة فيها بقايا عصير ومياه غازية .

لا شيء حتى تفطر به .. بل إنه حتى لم يسألها ليلة الأمس إن كانت جائعة .. كأنه اكتفى بذلك الطعام الذي تناولوه على العائنة .

لن تنهار .. لن تبكي .. ربما كان صلاح معذوراً .. ربما كان حقاً لا نقود معه .. من أجل هذا خرج للعمل .. وربما عندما يعود هذا المساء بعد العمل تسمع منه تفسيراً أو تبريراً .. لن تظلمه ولن تحاول أن تكرمه .. إن فعلت ستموت قهراً .. ستحاول أن تسعده .. ستحاول .. إيا كان .. حياتها معه أرحم كثيراً من حياتها مع شلبية وتعليقاتها اللاذعة .. عابدة ستعلم «صلاح» الحب ، كما تعلمته هي من منعم وهاشم وهدي .. ستفعل بالصبر .. بالحكمة ستفعل .

وفي هدوء وبعد أقل من ساعة ، وضعت عابدة ورقتين من الورقات الثمانية في حقيبتها وغرجت .. كان الجو ربيعياً جميلاً .. ورغم اتساع الشوارع ورغم دماغة الوجوه التي كانت تتجول فيها ، إلا أن الهواء كان نظيفاً والسماء كانت صافية .. ومضت عابدة تتجول في هدوء ، وهي تحاول ألا تنبذ كثيراً عن البيت ، فإن هي ابتعدت قد لا تعرف كيف تعود .. ووقفت بمطعم صغير اشترت منه بعض الفطائر ، التي انتهمتها ، وهي تخطو بحثاً عن مكان

كانت الثامنة صباحاً عندما استيقظت عابدة لتفتح عينها ، وترى «صلاح» يرتدي ملابسه واتسعت عيناها أكثر ، وهي تسمعه يخبرها ، دون اهتمام أنه سيخرج إلى العمل .. قفزت عابدة خلفه لتلحقه ، وهو يخطو في صالة البيت وصاحت :

طب أنا أعمل إيه ؟

والفت ينظر إليها ليقول في سخرية :

أسبب شغلي وأقعد أفهمك تعمل إيه ؟ بتكلمي إنجليزي كويس ، وأدي يا ستي عشرة استرليني .. اتزلي هاتي أكل وكل اللي أنت عاوزاه .. وبعد كذا حادكي المصروف بالأسبوع .. في حوالينا كل حاجة والمنطقة الصبح أمان .. عايزة إيه تاني ؟

وصفق الباب بعد أن ألقي بالنقود ، ومعها مفتاح البيت على الطاولة السوداء البعيدة ، ومضت عابدة تمسك بيها بين يديها وهي تفكر .

إن عشرة جنيهات استرلينية لا تساوي أكثر من مائة جنية ، وإن كانت المائة جنية لا تشتري شيئاً في مصر ، فما عساها تصنع هنا .. وفي لحظة تذكرت ذلك المفروف الذي وضعه منعم شيرازي في يدها ، وهي في طريقها إلى المطار .. لقد طلب منها أن تضعه في حقيبة يدها الصغرى ، وأخبرها عندها أنها قد تحتاج إلى شراء شيء في يومها الأول .. عابدة لم تناقشه كثيراً لحظتها .. كان كل ما يأكل رأسها في تلك اللحظات هو فراقهم ووداعهم .

كانت السابعة مساء حين انتهت عابدة من كل شيء .. لم تدع قطعة في صلاح رفاعي ، دون أن تحاول معها .. لم تدع قطعة واحدة دون أن خاول خلقها من جديد .. ورغم اهتراء الأثاث وتراكم الأوساخ عليه ، إلا أنه كان واضحاً أنه حتى قطع الجهاد في ذلك البيت أحيت عابدة واستجابت لندائها .. كل شيء يبدو أجمل .. كل شيء كان يبدو وكأنها أخرجه من حقايبها النظيفة اللامعة .. حتى الثلاجة بدت كأنها تستعيد قوتها ، وتقف أكثر قوة وصلابة ، رغم قطع الصدا التي تطل برأسها من زواياها .. طاولة الطعام السوداء وضعت عليها عابدة شالاً حريراً ، أخرجه من بين ملابسها لتبدو أتيقة .. وحين وجدت عابدة شمعة قديمة في أحد دواليب المطبخ ، أشعلتها ، وتركت قطرات منها تسيل على صحن زجاجي صغير ، وأسرعت بإطفائها وتثبيتها على القطرات الساخنة ، لتضعها مع صحنها فوق شال الحرير الأحمر لتضفي عليه وعلى الطاولة السوداء بهاءً كبيراً .

كل شيء استجاب لها إلا الحوائط .. حاولت عابدة كثيراً معها .. حاولت بقوة شبابها .. حاولت بكل أمل رغبتها في إسعاد صلاح ونيل رضاه ، إلا أن الحوائط أبت .. كان عمر استساخها طويلاً ، وكأنه نقش على حجارها .. فبقيت وحدها الحوائط متسخة لا أمل فيها ..

وتنهدت عابدة وهي تمضي إلى الحمام لتأخذ حماماً ساخناً ، تُرى هل يكون صلاح رفاعي مثل حائط البيت؟! هل تقش عابدة في إحياء الحب والألفة بقلبه؟!

ما تشتري منه كل ما أرادت ؛ لتجعل من ذلك البيت مكاناً يصلح لأن يحيا فيه البشر .

كان الجميع ينظر إليها في دهشة .. عابدة لا تنتمي إلى هذا المكان .. كان واضحاً أن الحي لا يسكنه إلا المشردون والفقراء .. وعابدة كانت أتيقة جميلة ، يبدو على ملامحها الرقي رغم البساطة ..

لم تنس عابدة أبداً أن تشتري قفازات بلاستيكية سمكية ، لتؤدي بها أعمال النظافة ، وأيضاً لم تنس أن تشتري شريعتين من اللحم ويعض البقالة لتعد لصلاح ولها وجبة عشاء .. لكن عندما وقفت تفكر كيف أن قطعتين من اللحم فقط كانتا بالثني عشر جنيهاً استرالياً ، سألت نفسها في دهشة كيف ترك لها صلاح عشرة جنيهاً وما ظننها تفعل بها؟! لكنها تكست رأسها في صمت لتعود إلى البيت ..

عابدة قررت ألا تنظمه .. عابدة اختارت الصبر والحكمة .. ليس لأنها قوية ولا لأنها اعتادت عليها ، ولكن إن كان كل من في ذلك البلد البعيد رفضها ورفض بقاءها معهم .. فوحده صلاح رضي بها ، وأياً كان سبب قوله يكفيها أنه رضي بها .. يكفيها أنه جاء بها إلى عالمه .. ليس من حقها أن تلومه إن كان عالمه هذا فقيراً أو قذراً .. وفتحت باب البيت ، وهي تهمس لنفسها «مكره أخاك لا بطل» .. عبارة قرأتها يوماً ، وما هي تذكرها اليوم .. اليوم يجب أن نحيا في عالم ما تمت الحياة فيه يوماً ..

مكره أخاك لا بطل!! عابدة لا خيار أمامها ... عابدة علمتها الكتب والسطور أن الحب يغير كل شيء ، وأغلقت خلفها الباب ، وشحذت نفثا عميقاً من صدرها ، وهي تنظر حولها .. أمامها يوم شاق وطويل!!

ووقفت تخلع ملابسها التي حملت كل ما نفثته من أوساخ من بيت صلاح ، ورفعت قدميها البيضاءين الجميلتين لتقف تحت ماء الشاور الساخن واغتسلت .. اغتسلت الهامة البيضاء لتخرج أكثر جمالاً وبريقاً .. خرجت ترتدي بيجاما حريرية جديدة ، اشترتها هدى للعروس منذ أيام ، واتحت تضع ملابس التنظيف داخل كيس أسود كبير ، جمعت فيه كل ملابس صلاح ، وكل ما يحتاج إلى تنظيف ..

عايدة لم تجد غسالة في المنزل ، لكنها تسأل صلاح عن مكان الغسالات العمومية لتخرج في الغد ، وتعود بكل شيء كما كان .

وابتسمت في مرارة هل يعود كل شيء كما كان يوماً؟!

أبدًا .. لن تعود أبدًا عايدة كما كانت .. لا هي عرفت كيف تعود عايدة صابر ، التي كانت يوم دخلت منزل عبدالمعتم الشيرازي ، ولا هي تعرف كيف تعود أبدًا عايدة ابنة هدى وأخت هاشم .. لكنها ستحاول أن تكون عايدة .. عايدة زوجة صلاح رفاعي .. ستحاول ..

ورفعت وجهها تنظر إلى شعرها الأشقر القصير .. إنه جميل ناعم لا كسرة واحدة فيه ، ووجهها الأبيض الصغير الذي يشع خوفًا وأملًا ، وذهبت عايدة في هدوء لتلقي بجسدها الأبيض على الفراش ، وأخذت تتحسس بأصابعها الرشيقة الطويلة ملامة السرير الوردية ، التي وضعتها هدى في الحقيبة مع بقية أجزاء طقم السرير حيث قالت لها .. إن أجمل مستلزمات الأسرة ستجدها في هاروودز ، ولكنها تضع لها هذا الطاقم فقط ليذكرها بلون غرفتها الوردية ..

وعادت تبسم في مرارة .. «هاروودز» .. إنها تنظن أن «صلاح» لم يقف يومًا ببابه بل ، ورغم أعوامه العشرين في لندن ، عايدة لا تنظن أن «صلاح» يعلم ما هو هاروودز ، أو من هو محمد الفايد الذي يملكه .

والنظمت عينا عايدة «الهنداباج» التي منحها لها هاشم يوم سفرها .. ونهضت تحملها من أحد أركان الغرفة لتعود بها ، وتضعها أمامها على السرير وفحتها للمرة الأولى .

وفي هدوء سقطت دموعها ، وهي ترى بداخل الحقيبة حقيبة أخرى صغيرة .. إنها حقيبة «لاب توب» .. وفحتها عايدة ، وهي مازالت بداخل الأخرى الأكبر منها لتشقق شهقة صغيرة .. إنه «فيو - سوني» أحدث لاب توب وردي .. رأت عايدة صورته يومًا في أحد الإعلانات ، وصاحت عندها بأنها عشقت لونه الوردي .. لم تنظن يومًا أنها ستجرؤ على طلبه من منعم أو هدى .. بل هي لم يكن عندها أبدًا لاب توب في غرفتها .. كان هناك كمبيوتر عادي ، ولكن ها هو هاشم يشتريه لها ، وتحت حزامه الصغير كان هناك مفطور أبيض فتحت عايدة ، لتجد رسالة كتبها هاشم باللغة الإنجليزية ..

حبيتي عايدة:

إنها هدية زواجك التي أهديك إياها ، وأتمنى عليك أن تكون أول رسالة تكتبها وترسلها منه هي رسالة ترسلها إلي ، وأدعو الله أن أخبرني فيها أنك سعيدة وأنت بخير .

حبيتي ..

لا شيء سيقول خوفي وشوقي إليك ، سوى أن تكوني سعيدة ..

أرجوك كوني سعيدة ..

«هاشم»

وضمت عايدة الورقة إلى صدرها ، وبكت بكاءً حادًا عنيًا .. آه لو يعلم هاشم أنها علمت ما يريد قبل أن تقرأ .. آه لو يعلم هاشم أنها حقًا تحاول

ورغم الخوف رغم الضعف رغم الوحدة ، ورغم تلاحق اللطيات على رأسها الجميل تحاول .. وهما هي الآن تعلم أن ما في رأسها سيبقى هو ما في رأس هاشم .. لقد نمت رأسها معاً ، فكيف لا يسكنها نفس التفكير ونفس الأحلام .

وكفكت عابدة دمعها ، وأخرجت حبة اللاب توب لنشقه شهقة صغيرة أخرى .. كان تحتها ديوان الشعر الذي أحضره لها «أشهد عكس الريح» .. وكتب أخرى صغيرة ، ووجدت عابدة في قاع الحقيبة زهرة ليلي بيضاء أخذتها في خفة إلى صدرها .. كانت الزهرة ذابلة ، لكنها بدت في عينيها وكأنها حديقة ليلي غناء .. كان هناك أيضاً علة صغيرة من الشيكولاتة التي تحبها عابدة .

وعادت دموعها تسقط من جديد ، وكأن هاشم وضع لها كل ما تحبه .. وحده يعلم كم تهوى الشيكولاتة .. وحده هاشم فقط يعلم كم تحب عابدة بزهرات الليل البيضاء .. وحده هاشم يعلم من هي عابدة ، ولكن ها هي الآن وحدها حيث لا أحد يعلم عنها شيئاً ، ولا تعلم هي عن أحد شيئاً .. لكن عابدة ستبقى صامدة .. لن يرى أحد دموعها أو ضعفها .. سترسم السعادة على وجهها ، وستكتب إلى هاشم كل يوم ، وسيكتب لها كل يوم هو ودينا .

وأعادت عابدة اللاب توب إلى حقيبتها الصغيرة ، ووضعت الكتب إلى جوار فراشها على إحدى تلك الطاوات ، التي تستخدم ، مثل ذلك الكومود الأبيض في غرفتها الوردية بشارع نهرو ، ورفعت وجهها لترسم على وجهها ابتسامة .. من أجل هاشم .. من أجل هدى ودينا ومنعم ستحاول .. لن نُهزم بسهولة .. تعلمت معهم الحب والكبرياء ، وهم ستحاول أن تحيا .

ومالت عابدة بجسدها على الوسائد الوردية .. إن كل قطعة في جسدها متعبة تألم ، بعد أكثر من سبع ساعات من العمل والعناء .

تري متى يعود صلاح .. لم يخبرها .. بل إنها حتى لا تعلم له رقم هاتف .. لم يعاملها صلاح بذلك الجفاء ؟!

أليست عروساً ؟! لم لم يحاول حتى أن يأخذها بين ذراعيه ؟! أن يقبلها ؟! الصبر والحكمة والحب .. إنها طرق طويلة مريرة ، ولكنها حتى تستصل بهم إلى أرض أكثر جمالاً ورحمة .

وأغمضت عابدة عينيها ، لكن قبل أن تغفو ، سمعت صوت صلاح يناديا وانتفضت عابدة تقف من فراشها ؛ لتخرج وتجدد يقف في منتصف الصالة ينظر حوله في دهشة كبيرة ، وابتسمت لآبده أنه سعيد .

وجاءها صوته بعد لحظات يقول:

الجيران اشتكوا من المية اللي انت دلقيتها على السلم ..

واختلط كل شيء في رأس عابدة .. وكأنه ضرب رأسها بفأس من حديد فقالت:

أنا دلقت مية قليلة عشان أمسح قدام باب البيت .

ولم يرد صلاح عليها بكلمة ، لكنه استدار ليدخل المطبخ .. كان مذهولاً لا يصدق ، لكنه كان أيضاً نائزاً غاضباً ..

إنها تخبره من جديد أنها أفضل منه .. إنها هي من حوّلت وعاء الفضلات الذي كان يحيا فيه إلى مكان يشع نظافة وترتيباً .. إن عابدة تخبره أنه من المستحيل أن تحيا معه ، كما كان يحيا قبلها ، بل تريده هو أن يحيا معها كيف اعتادت هي أن تحيا ولكن كيف يلومها .. ماذا يقول لها؟ هل يخبرها أنه

يكره النظافة ، ويمشق تلك الرائحة السنة ، التي كانت نفوح من أركان بيته ؟
سيبدو أحق غيًّا ..

والفت إليها في لحظة ، بعد أن وجد شيئًا أكثر إيلامًا ، فقال:

شفتُ بقي أنا كان عندي حق المحجوز .. هي دي لزمة الستات في الحياة ..
ينضفوا ويراعو البيوت .. عملتِ أكل كيان ؟! طب بللا حضّريه عشان أنا
جعان ..

ومر صلاح من جوارها ليتركها غارقة في الألم .. أخذها هو كل ما يقوله ..
كانت ترى في الأفلام القديمة الرجل يحتضن عروسه إن أعدت له العشاء
.. كان ترى وتقرأ في الروايات أن الرجل يطير فرحًا بامرأة ، يحاول أن يجعل
من حياة زوجته شيئًا أكثر جمالًا ..

ومضت عائدة في سكوت تشعل النار على قطعتي اللحم ، وهي تشعر أنها
ترى قلبها عاريًا ، يتلوى على نار كبيرة من الخوف والإحباط .

لم يسألها صلاح كيف استطاعت القيام بكل هذا؟ لم يسألها كيف اشترت
كل هذه الأشياء التي رآها في التلاجة ، والتي كانت خاوية في الصباح ؟ كان
واضحًا وجليًا أنه علم أن معها نقودًا .. كل ما فعله ، وهو يتناول بعض
قطع الفراولة بعد العشاء أنه صاح ، وهو يرى قوارير المياه المعدنية .. صاح
قائلًا:

إحنا بنشرب مية من الحنفية .. الفلوس اللي معاكلي لو تعابتك أنا
أخذهم .

وبعد كل شيء .. بعد أن عادت عائدة إلى جواره ، وجدته مازال في
بيجامة الحمراء المتسخة يغفو على السرير الوردي النظيف ، ورغم هذا

أغمضت عابدة عينها ، ومدت أصابعها الرشيقة البيضاء ، لترتب على كتفيه
نسأله:

إحنا عندنا إنترنت ؟ أنا ..

والفت صلاح ينظر إليها في قسوة ليقول:

إيه ؟! إنترنت .. اسمعي .. لما نخلص إجراءات الإقامة والجنسية ، ابقى
دوري على شغل ، وهاتي إنترنت ولا أنت باين عليك معاكلي فلوس كتير ..

انزلي أسالي واعلمي اشتراكك .. زي ما عرفت تحببي كل الحاجات دي .. أنا
كفاية قوي الفلوس اللي دفعتها على الفيزا والجواز بتاعك هناك ..

وقبل أن يستدير لينام ، أمسك بوجهها بين كتفيه ، كأنه يحميها بأخذه
وأرخت عابدة عينها في استسلام .. الكتب والأشعار التي كانت تقرأها ،
أخبرتها أن لقاء الأجساد قد يذيب الحواجز .. قد يوحد القلوب ، وهي حقًا
تتمنى لو يحبها صلاح ويتركها تحبه ، ولكن عاد صلاح يطلق وجهها من
كتفيه ليقول في وقاحة كبرى:

نامي .. نامي أحسن ..

واستدار يخلد في الظلام ، بعد أن أطفأت عابدة الأباجورة وهو يفكر
.. لن يأخذها أبدًا إلا بعد أن تأكد عابدة أنها لا تنيره .. بعد أن تأكد عابدة
أنها ليست جبلة في عينه .. سيعتليها صلاح عندها ، وهو يشعر أنه الأفضل
والأقوى!

أكبر خلال وجودها خارج مصر .. أحياناً يكون العقل مأساة .. عقل عابدة
وتعقلها يذهبان هاشم ..

وأغمض هاشم عينيه بعد خروج هدى من غرفته ، لكن رأسه بقيت
مشغولة .. هل حقاً عابدة تنزه في لندن؟ هل هي فعلاً لا تجد وقتاً لمحادثتهم،
أو لإرسال إيميل واحد له أو إلى دينا؟! ربما كانت أمه على حق .

دينا عروس مثل عابدة وهي فعلاً مشغولة .. إن «هاشم» لم يرها منذ
زواجها ومنذ عودتها من بيروت أكثر من مرتين .. وهي تسكن الباب المقابل
له .. لابد أن عابدة أكثر انشغالا منها .. عابدة في لندن .. عابدة الآن تتجول
بين الهايد بارك وقصر باكنجهام ومتحف مدام توسو وألف ألف مكان آخر .
عابدة أيضاً أجمل من دينا أو هكذا يراها هو .. لابد أن «صلاح» يلتهمها
كل ليلة!

وضرب هاشم فراشه بقبضته .. آه .. عابدة بين ذراعي صلاح ، وهو
وحده هنا بين ذراعي القلق والشوق .. لينسها .. نعم .. يجب أن ينسها
.. لقد وعده منعم وهدى أن تكون هدية تخرجه في نهاية العام .. رحلة إلى
باريس لمدة عشرة أيام ..

هاشم سينجح ويذهب إلى باريس ، وسيمر على عابدة في لندن .. يجب
أن يراها بعينه .

يجب أن يرى عابدة وهي بين ذراعي صلاح .. يريد أن يرى قلبه عابدة
لينكسر ويكف عن جلده كل ليلة بألف سؤال وألف قصيدة شوق إليها ..
هل استطاع صلاح حقاً أن ينسها هاشم؟!

هل استطاع صلاح ذلك الجاف المتعجرف أن يملأ وقت عابدة بأكمله ،
حتى أنها لا تجد دقائق تكتب فيها إليه ، أو حتى تفتح هاتفها الصغير لسمع
صوتها؟!

شعر بها هاشم ، وهي تحكم عليه الغطاء في فراشه ؛ ليفتح عينيه ويمسك
بكفها ، ويعتدل في فراشه قائلاً:
مامي .. أننا قلقان على عابدة .

وجلست هدى إلى جواره وهي تنتهد .. عابدة على لسان هاشم كل
صباح وكل مساء ، وعادت تعيد عمل سامعه ما تقوله هي أيضاً كل مساء
وكل صباح:

يا هاشم يا حبيبي هو عشان عابدة مش عارفة تدخل نت لبيتها يبقى
فيه مشكلة .. هو عشان عابدة ما بتكلمناش كل دقيقة يبقى فيه أزمة ..
يا حبيبي دي عروسة .. عارف يعني إيه عروسة؟ يعني مشغولة بتوضب
حياتها الجديدة .. أكيد بتخرج كل يوم وتتفرج على لندن ، وعلى ضواحيها
.. بتتعرف على أصحاب جوزها ويتروح عزومات .. وغير كذا دي عروسة
.. عابدة عاقلة يا هاشم مش حاسبين دا كله ، وتقوله اعلمي اشترك بـ DSL
عشان عابدة ابعت إيميلات لمصر . عابدة عاقلة .. اعقل أنت بقي ..

وتنتهد هاشم في ألم .. ثلاثة أسابيع مرت على سفر عابدة .. ثلاثة أسابيع لم
تخاطبهم فيها ، سوى مرة واحدة من تليفونها المصري . ورغم أن «منعم» أكد
لها أنه سيدفع فواتير هاتفها الشهرية ، إلا أنها دوماً تغلق هاتفها .. جميعهم
يعلمون أنها لا تريد أن يدفع منعم شيئاً ؛ خاصة وهي تعلم أنه سيدفع مبالغ

نعم .. استطاع صلاح أن يفعل ذلك ، وإلا ما نسيتهم عابدة إلى هذا الحد .

عابدة نسيت حتى أن تحدث دينا ولو مرة واحدة طوال الأسابيع الثلاثة ..

وعاد هاشم يضرب وسادته بقبضته البيضاء القوية ، ومد أصابعه إلى الأباجرة ليشعل القسوة ، وينهض عن فراشه ليقلب خلف نافذته ، يرقب حدائق الميرلاند .. ورفع عينيه ينظر إلى السماء .. إنه لا ينام .. هاشم عبدالمعتم تنمق أضلعه شوقاً وخوفاً .. وعابدة الآن تغفو بين ذراعي صلاح رفاعي ليأخذها كما شاء .

وشعر هاشم بدمعة تتجول بين جفنيه .. ليس الشوق وحده الذي يؤله ، ولكن هذا هو ما أسموه الغيرة !!

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

حبشبي عابدة:

لا أعلم متى ستقراين رسالتي هذه .. فأنت منذ سفرك لم تكتبي لي ولا مرة واحدة .. ورغم هذا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الكتابة إليك ..

عابدة:

مر أكثر من شهر على زواجي من حسن ..

مر شهر أيضاً على سفرك ..

لا شيء يساوي سعادتي وحيي لحسن إلا شوقي وخوفي عليك ..

عابدة ..

نحن جميعاً نحبك .. طفت هدى وأكلت منعم وهاشم وأمي وحتى حسن وأنا لا نجتمع يوماً ، إلا ويكون سؤالنا الأول هو هل تحدثت عابدة ؟ هل أرسلت إيميل ؟ هل يعلم أحد عنها شيئاً ..

ودوما تأتي الإجابة بالنفي ..

عابدة ..

أنا أيضاً أركض .. أركض بين البيت والعمل وماما وحسن ، ولكن دوماً أفكر فيك ..

عابدة ..

أرجوك عندما تفتحين هذا الإيميل ، حادثنيني ولو كلمة واحدة .. اكتبني
لي ولوسطراً .

عابدة ..

أرجوك .. لا تركبنا في هذا القلق كثيراً !!!

«دينا»

ماذا تفعل .. ماذا تقول وماذا تكتب ؟!

هل تخبرهم أنها حزينة .. هل تخبرهم أنها ثائثة ضائعة ، لا تعلم ماذا
تفعل ؟!

إنها اليوم أكثر حزناً وأكثر ضياعاً من كل أيام الشهر الذي مر .. في ليلة
الأمس ، حاول صلاح أن يأخذها ، بل لقد أخذ صدرها بين كفه لكنه فجأة
أخبرها أنه لا يريدنا .. صاح في وجهها قائلاً .. إنه يكره نظرة عينها .. قال لها
صلاح .. إن في عينها شيئاً لا يحبه .. شيئاً يجعله يندم على زواجه منها .. شيئاً
يجعله يندم على اصطحابها معه .. ويندم في كل مرة كان يأخذها معه ، حتى
حصلت بالأمس على Resident-visa ، والتي تجعل لها حق مواطني إنجلترا في
العمل والحركة كيف شاءت حتى حصولها على الجنسية بعد عام آخر تقريباً .

أي شيء في عينها يكرهه صلاح .. إن عينها ما عاد فيها شيء سوى
الحزن والحول وبقايا الدموع ، التي تحاول دوماً أن تخفيها حتى لا يراها
أحد .

لا .. عابدة لن تكتب كلمة لدينا .. عابدة لن تكتب حرفاً لهاشم .. لن نخبرهم الحقيقة .. لن تؤلمهم .. سبكي دينا إن عرفت أن عابدة قضت الشهر الأول لزوجها بين المسح والكس وإعداد الطعام ، الذي تشتريه بالنقود التي منحها إياها منعم ، والتي قاربت على النفاد .

سبكي دينا إن علمت أن عابدة مازالت عذراء ، لأن «صلاح» يكره عينها ويكره النظرة التي تطل منها .

عابدة لن تخبر هاشم أنها ما ذهبت إلى الهاید يارك الذي كانا يحملان معاً بزيارته يوماً .. سيحزن هاشم إن علم أنها حتى اليوم ما تر أكسفورد ستريت ، ولم تجلس في ميدان البيكادلي لتداعب حماماته الكثيرة .. سيحزن هاشم كثيراً إن علم أن عابدة لم تخرج من ناين إلز أبداً ، ولم تجرؤ حتى على عبور كوبري تشيلسي ، الذي أغبروها بجمال كل ما يقع خلفه ..

سيكي هاشم إن علم أن صاحب المقهى الباكستاني العجوز عرض عليها العمل عنده بمبلغ مائة جنيه أسبوعياً ، لأنها لا خبرة لها في أي عمل كان!

سيحزن أكثر إن علم أنها تفكر حقاً بقبول العرض .. ماذا ستفعل إن انتهت نقودها التي منحها إياها منعم؟! هل تذهب إلى البنك ، وتبدأ في إنفاق الآلاف الثلاثة التي أخبرتها عنها هدى .. لا .. لن تفعل .. هذه النقود لن تلمسها .. قد تحتاجها عابدة يوماً للهرب من صلاح والعودة إلى مصر .. العودة إلى شارع عمرو!

نعم .. منذ استيقظت عابدة هذا الصباح ، وهي تفكر في العودة إلى مصر .. بدأت تشعر هذا الصباح أنها تنهار .. لقد أخافها كثيراً ما فعله صلاح بالأمس .. قد يطردها .. نعم .. صلاح قد يطردها .. إن انتهت نقودها لم يبقها .. إن كان يكره عينها لم يبقها .. ولكن هل تعود؟! هل تستطيع حقاً

أن تعود .. اليسوا هم من طلبوا وحيلها .. كيف تعود إذن؟!

ومسحت عابدة بكفها الأبيض الرقيق على شعرها الذهبي القصير .. إنها تائهة .. ستذهب إلى الباكستاني العجوز، وتخبره أنها ستعمل لديه .. ولكن ما عرضه من نقود لن يكفي ..

إنها تائهة ضائعة وتبت قدماها من السير في هذا الحي القذر ، الذي تلتهمها فيه الأعين كلها مشت فيه ..

ووقفت عابدة تنظر إلى كوبري تشيلسي .. لماذا لا تعبره .. لماذا لا تعبره وتنظر إلى الجهة الأخرى منه .. أخبروها أن منطقة تشيلسي منطقة ساحرة جميلة .. ولكن ما الجمال وما السحر ، إن كنت لا ترى إلا الحزن ولا تشعر بغير الألم .

وأحتت عابدة رأسها في سكوت واستدارت لتعود إلى البيت .. ستمر على العجوز وتخبره أنها مازالت تفكر .. ستشري بعض العملات المعدنية، وتقف على أي كايينة هاتف لتحدث هدى في طريق عودتها .. ستحادثها الآن لأنها تعلم أن «هاشم» و«منعم» ليسوا معها .. ستخبر هدى أنها بخير ، وستطلب منها أن تخبر دينا و«هاشم» أنها بخير ، وأنها قريباً ستدخل الإنترنت إلى بيتها وترسل لهم رسائل .

قد تكذب عابدة على هدى ، ولكنها أبداً لن تكذب على دينا أو هاشم ، ولن تقوى أيضاً على إخبارهم بالحقيقة ..

الحقيقة قد تخزنهم وتبكيهم ، والكذب سيكيها ويوحدها على حبها لهم . عابدة لن تبكيهم ، ولن تكذب عليهم يوماً لأنها مازالت تحبهم كثيراً .. عابدة ستكفي بالكاء وحدها دوماً!!

لكنه بدأ يعتادها .. نجوى طيبة حانية لا شيء في حياتها ، سوى دينا والتخطيط لمستقبلها ومستقبل أحفادها ..

وابتسم حسن ، وهو يضع مفتاح سيارته بداخلها ليدير محركها متجهًا إلى دينا .

اليوم إجازته الأسبوعية من البورصة ، لكنه يوم عمل عند دينا .. سيأخذها للغداء خارجًا ، ثم يذهبان لزيارة والده ، وينطلق بهاربا إلى السينما أو في سهرة أو زيارة لأحد أصدقائهما .

دينا لن تعترض .. نجوى قالت إنه يجب أن يعود بها لتبذل ملابسها ، وتأخذ حمامها إن كانا سيسهران في الخارج .

هذه هي نجوى ، ولكن دينا دومًا تفعل ما يريد حسن وما يقوله ، دون حتى أن تغضب نجوى أو تناقشها .. حسن وحده يخطئ عندما يحاول إقناعها بخطأ ما تقول ، ولكنه سيتعلم أن يسايرها كما تفعل دينا مادامها يفعلان دومًا ما يرضيهما ويسعدهما في النهاية .

وأوقف حسن سيارته بجوار مدخل الفندق ، وحادث دينا ليخبرها بقدومه لتظهر بعد لحظات ، وهي ترتدي ثوبًا من الحرير الأزرق وعليه زهرات بيضاء صغيرة ، وركضت نحو السيارة لتقول وهي تفتح بابها : أنا حاسب عربي بابتة هنا .. بكرة الصبح توصلني بابو علي ..

ومال حسن إلى حيث جلست دينا ، ليضع قبلة صغيرة على وجنتها الضاحكة ، وهو يقول :

أوصلك يا أم علي .. أوصلك بس ما تقوليش لعلط نجوى إن إحنا سيبنا العربية عشان ...

انحنى حسن يضع قبلة صغيرة على رأس نجوى ، ليقول في صوت هادي : أنا خارج يا طلطط نجوى .. حاعدي على دينا أخذها ، وتروح تغدا برا وتطلع تقعد مع بابا شوية .. تيجي معانا ..

وابتسمت نجوى في هدوء لتقول :

لا يا حسن .. أنا حنفدي مع هدى ومنعم بالليل ، لما هاشم يرجع من الجامعة إن شاء الله .. ياقولك إيه .. ما تتأخروش .

ولوح لها حسن ، وهو يمضي إلى خارج البيت بسرعة ، قبل أن تملي عليه تعليقات أخرى ..

الحياة مع نجوى ليست بالسوء الذي كان يتخيله ، بل ربما بدأ حسن يعتاد حقًا الحياة معها .. حتى تعليقاتها اللاذعة بدأت تصبح منطقية ، ولها دومًا مبرراتها .

نجوى لا يغضبها إلا الغوضى وعدم النظام .. تمامًا مثل عبدالكريم والده .. الفرق بينها أن عبدالكريم لا يبدي استياءه في كلمات قاسية .. عبدالكريم فياض يصدر قراراته ويتابع تنفيذها ، وإن تمت مخالفتها أصدر عقوباته أو غضبه ولومه ، بعد أن أصبح حسن شابًا ..

أبدًا لا تخرج من شفتيه كلمة غاضبة .. وحدها نجوى إن تأخرت دينا أو تأخر حسن في العودة بها ليلًا ، أو ترك بعضًا من أشياءه ملقاة على أريكة المعيشة ، خرجت من شفتيها كلمة تأنيب أو عبارة لوم قاسية ..

وقاطعته دينا قاتلة دون غضب:

ارحم منط نجوى بقى .. قولى حتمزمنى فى؟

وانطلق حسن يقود سيارته ، وهو يقول:

فى أحسن حنة .. الفلوس كتير والعمولات إيه ما أقولكيش .. أنت شاورى وأبو على يدفع .

ومالت دينا برأسها على مقعد السيارة ، وأغمضت عينيها فى سعادة ، ومدت أصابع يدها تبحث عن كف حسن لتأخذه بين أصابعها ، وهي تهمس:

بحبك يا حسن .. بحبك يا أبو على!!

عندما جلس الاثنان خلف أحد نوافذ مطعم «كوريتيجيانو» فى المرغني، تنهد حسن ليقول:

دينا .. كان نفسى نروح تنغدى فى مطعم جراند حياة أو الفورسيزونز ..

وقاطعته دينا ، وهي تنظر فى قائمة الطعام بين يديها ، لتقول:

حسن .. لازم نوفر شوية .. أنت بتصرف بجنون .. ما تعرفش بكرة فيه

إيه؟

وقاطعها صائحًا:

الفلوس كتير يا أم على ..

وألقت دينا بالقائمة على الطاولة ، لتمسك بيده بين أصابعها ، وقالت فى

حنان:

اللى جى أكثر .. حسن .. حيقى عندنا ولاد .. ماما عيانة .. مصاريف

علاجها كتير .. محتاجين شغالة مقيمة .. صعب نسيبها لوحدها الدكتور

يقول خطر .. حسن .. حقيقى أنا معاك سعيدة ممكن ساندوتش صغير يشبعني .. حضنك وحبك هو اللي يسعدني ، مش الطعام واللوكانندات الغالية بس ..

وضغط حسن على أصابعها فى حب كبير ، وقال فى قلق:

بس إيه؟ إيه يا دينا!

وبابتسامة صغيرة قالت:

ارحم نجوى .. ارحم نجوى شوية .. شيلها من دماغك يا حسن .

وقاطعها حسن من جديد قائلاً:

إخص عليك يا دينا .. أنا بحبها والله بحبها .

ونفضت دينا عن مقعدها المقابل له ؛ لتجلس على المقعد المجاور له ليرفع

حسن ذراعه ؛ ويلفه حول كتفيها ليسمعها تقول:

عارفة .. بس فيه فرق بين الحب والرحمة .. ارحمها فى تفسيرك لكلامها

.. ارحمها فى تبريرك لقسوتها أحياناً .. دي مريضة .. وكيان دي أمي .. بللا

يا أبو على قول تنغدى إيه!!



نهضت عابدة تنظر من خلف الباب في خوف ، واصطدم وجهها بوجه صغير ، يظهر من زاوية الباب التي فتحتها عابدة .

إنه وجه طفل يقف في صمت .. شعره أشقر ناعم ، ويسقط على جبهة الصغيرة .. عيناه زرقاوان صغيرتان وشفاه وردتان جميلتان ..

كان الصغير يرتدي بطلونًا كاروه بثًا وقميصًا بيج .. ملابسه نظيفة وحذاءه الصغير لامع جديد .. لكنه أحنى رأسه في صمت ، وصوت الصباح يعلم من حوله أكثر .

وسمعتها عابدة تصيح ، وهي تطالب صلاح بالاحتفاظ به ؛ لأنها مشترك لندن هي وزوجها لتقيم في بلده البعيد .

سمعتها تقول في جنون إنها لم تعد تريد الصغير ، وإنها ما عادت تستطيع الاتفاق عليه أكثر من هذا .

كان صلاح لا يقول شيئًا سوى أنه ينتمى بأقل الصفات ، ويصرخ أمرًا لها باصطحابه خارج البيت .

والتصقت عابدة بباب الغرفة في خوف كبير .. لم تكن ترى «صلاح» أو المرأة التي تصيح معه .. وحده الصغير هو ما تراه عينها ، وعادت تنظر إلى وجهه من جديد .. وجهه أبيض مستدير وأنفه أنفوس جميل ، لكنه كان صامتًا لا يرفع عينيه ، بعد أن نكسها إلى الأرض .

وفجأة رأت عابدة «صلاح» يمسك بذراعه ليجذبه في قسوة ، وهو يقسم أنه سيرمي به إلى خارج البيت ، إن هي تركته ورحلت .

ولم تشعر عابدة بنفسها أبدًا ، وهي تفتح الباب لترفض من خلفه إلى حيث كان صلاح يركض بالصغير في يد ، وبحقيبة أخرى صغيرة في اليد الأخرى ، وصاحت عابدة في صوت مجروح قائلة:

صلاح .. أنت تتعمل إيه؟

نامت عابدة ككل يوم في التاسعة تقريبًا .. نامت بعد أن أعدت لصلاح صحنًا من المعكرونة وتركته له في المطبخ .. لم يعد باستطاعتها أن تشتري المزيد من اللحوم ، وما بقي معها ، على ما يمنحه إياها صلاح بالكاد يكفي ما تفعله وتعدده كل مساء .

نامت عابدة قبل أن يحضر صلاح ؛ لأنها باتت تخشى أن تراه ، وأن يرى عينها التي يكرهها ويكره نظرتها .. لا تريد أن تثبه .. لا تريد أن تغضبه .. هي تعلم أنه ليس لها الآن على الأرض أحد سواه .

في الصباح قد تغبره ، وهي تعد له الإفطار عن موضوع عملها لدى الباكستاني المعجوز .

وشعرت به عابدة ، وهو يلقي بجسده إلى جوارها .. لكنها لم تحرك وحاولت العودة إلى النوم ، بعد أن أطفأ النور وشد بقسوة الغطاء من على جسدها ليحكمه حول جسده وغابت عابدة في النوم ؛ لتستيقظ مرة أخرى على صوت صياح يقتحم أذنيها النائميتين في الخيرة والحزن .. وفتحت عينيهما وهي تحسس بكفها مكان صلاح لتجده خاويًا ، وانتفضت في ذعر ..

الصوت ليس بعيدًا .. الصوت قادم من صالة البيت .. كان صلاح يصيح في إنجليزته الركيكة بكلمات كلها سباب قدر ، ولكن كان هناك صوت آخر يعلم على صوته .. إنه صوت امرأة تصيح بسباب أكثر ذناة مما يقوله صلاح ..

ورأى المرأة قبل أن تخرج من باب البيت ، والتقت عينهما لثراها عابدة .. ولم تتمكن عابدة من رؤية ملامحها بوضوح .. كانت عابدة تنتفض ذعراً وخوفاً ، إلا أنها سمعتها تقول في سخرية كبيرة أنها علمت الآن سر نظافة البيت ولعاته ..

وركضت المرأة على سلام البيت ، وصاححاً يندفع خلفها بالصغير في يده ، إلا أن عابدة عادت تصبح من جديد:

صلاح .. صلاح .. أرجوك رد عليّ .. حتوديه فين؟ ١٩ حتوديه فين بالليل
كدا ١٩!

والثقت بنفسها على ذراعيه لتخلص الصغير من يده ، وتعود به إلى داخل البيت ، وعاد صلاح إليها ليصفق الباب خلفه في جنون ، وهو يصيح:

أنت عابزة إيه يا مجنونة أنت كمان ١٩!

وقالت عابدة ، وهي مازالت تمسك بالصغير بين يديها:

عابزة أفهم .. مين دا وفيه إيه ١٩!

والقى صلاح بالحفية الصغيرة من بين أصابعه ؛ لينظر إلى وجه الصغير ، الذي لم يبلغ التاسعة بعد من عمره ليقول:

دي كانت مراتي ودا بتقول عليه ابني .. والنهاردة جاية بتقول إنها مش عابزة عشان انحوزت وحسنافر مع جوزها .. أنا كمان مش عابزة لأنني مش مصدق إنه ابني ، وحتى لو ابني يوم ما اتطلقنا ، هي قالتلي إنها هي اللي حتكفل بيه .

وفتحت عابدة عينها في جنون أكبر وهي لا تصدق .. وعادت تنظر إلى الصغير في ذهول .. إنه ساكن .. لم يفتح شفتيه بكلمة واحدة .. إنه مستسلم .. ترك نفسه ليتقاذفه جيئاً .. وغطت به عابدة في هدوء لتجلسه على الأريكة السوداء ، وجلس إلى جواره وهي تنتفض ..

لم تعد عابدة ترى شيئاً .. لم تعد ترى «صلاح» أو حتى ترى الصغير .. كل ما كانت تراه عينها هي صورتها ، يوم أخذها معها طلعت إلى هدى .. كانت ترى صورتها يوم خلعت عنها هدى ملابسها ، ووقفت تغسل لها شعرها وجسدها .

كل ما كانت عابدة تراه هو جسدها الأبيض النحيل الصغير ، وهو يتنفض تحت الماء الساخن ، وقلبها الذي كان يعلو ديبه في أذنيها من الخوف والدعشة .

كانت أصغر منه لكنها لا تنسى .. كانت في سكوتها وربما في ملامحه .. لكن أمها هي ماتت رغماً عنها .. أما هذا المسكين فأمه لا تريده .. أمه هي التي أحضرته لتلقي به إلى ذراعي «صلاح» ، وها هو يحاول أن يلقي به خلفها إلى الشارع .

لن تتركه عابدة أبداً .. لن تتركه .. ستفعل ما فعلته هدى يومها .. ستضمه .. ستحتو عليه .. لن تترك «صلاح» يلقي بعابدة ، التي تراها أمام عينها الآن إلى الشارع أبداً ..

ورفعت عابدة عينها ، التي اختبأت خلف دموع كثيفة لم يرها صلاح يوماً أبداً ، لتقول في صوت خفيض كسير:

أنا حارثييه يا صلاح .. أنا حاصله كل حاجة .. أرجوك خليه .

ولم يصدق صلاح عينه ، وهو يراها تنتفض ودموعها تسقط زخات خلف زخات .. وأثارته دموعها وشعر بالزهو .. شعر بالنصر .. شعر بأنه أخيراً رأى عينها خالية من تلك الكبرياء العنيدة التي يكرهها .. أخيراً رأى تبيكي في جنون ، وهي ترجوه وتتوسل إليه .. لكنه كان يريد أن يتيكأ أكثر ليشتي هو من دمعها أكثر ، فقال:

أنت مجنونة .. هو أنا أصرف عليه ولا عليكى؟!

يقعد فين دا وينام فين؟!

وأمسكت عابدة بكف الصغير الساكن إلى جوارها ، في قوة ، وعادت
ترجوه قائلة:

أنا حاشتغل .. شودري صاحب الكافيتريا اللي قرب النهر عرض عليّ
شغل .. حاشتغل يا صلاح وأصرف عليه .. إن شاءه ياكل أكلي .. ينام
جنبك في السرير ، وأنا أنام هنا على الكنبه .. أنام على الأرض يا صلاح بس
بلاش تخشيه يروح فين .. دا ابنك .. ابنك يا صلاح .. أرجوك .. أرجوك
يا صلاح .

كانت عابدة تبكي في جنون .. كانت حقًا لا ترى سوى صورتها ذلك
اليوم .. كانت لا تسمع إلا انفضاض جسدتها من البرد ، بعد أن تركتها هدى
في فراشها لتذهب وتحضر لها بعضًا من ملابس دينها .. لن تتركه .. لن تتركه
أبدًا .. وعادت تردد دون وعي:

أرجوك .. أرجوك يا صلاح .

كان صلاح هو الآخر لا يرى سوى دمعها .. كان في تلك اللحظات
لا يسمع سوى توسلها إليه وشعر أنه يريد بها .. شعر أن هذه هي اللحظة
التي إن أخذها فيها ، سيقتضي عل ما بقي من كبريائها الذي يكرهه .. شعر
صلاح أنه إن أخذ عابدة في هذه اللحظات، سيكسر بداخلها كل ما بطنه
غرورًا وتعاليًا ..

ورفع صلاح حاجبه في زهو كبير ليقول ، وهو يخطو نحو غرفته:

خليه يتلفح ينام هنا ، وقومي تعالي معايا .. أنا عايزك دلوقتي ..

وربشت عابدة بكفها على رأس الصغير الأشقر في حنان ، وقبل أن تفتح
فمها معه بكلمة واحدة ، صاح صلاح بناديا لتذهب إليه حيث أمرها بإغلاق
باب الغرفة .. وعندما جلست إلى جواره على الفراش ، كما أمرها ، عاد صلاح
يجسدها إلى الخلف لتسقط عابدة وهي لا تفهم شيئًا ، لكن «صلاح» أخذ
يذمدم في لغة كبيرة بكلمات عمومة ، انتفضت لها عابدة في ذهول .. أخذت
ترقبه وهو يقتحم جسدها في جنون عارم .. وقاومته عابدة .. قاومته كثيرًا
لكنها قاومته في خوف كبير .. كانت تخشى أن يصرخ بما قد يجنيف الصغير
الجالس خلف هذا الباب .. كانت تخشى أن يغضب ويطردها معًا .

كانت خائفة كما لم تخف إلا يوم دخولها بيت هدى أباطة ، واستسلمت
عابدة استسلمت وهي ترقب وجه صلاح .. كانت كل قطعة في وجهه
سعيدة ترقص .. كان يفترسها بنهم وقسوة وفي لحظات .. في لحظات قليلة
صغيرة ، أصبحت عابدة امرأة بين ذراعي صلاح .. لكنها أيضًا أدركت أن
صلاح سكب بداخلها كرمًا واحتقارًا لا حدود لها .

وانتهى صلاح منها وبقيت ساكنة لا يتحرك فيها شيء سوى دمعات
صغيرة تهرب من عينيها في صمت كبير ، ورأته يتمتم بكلمات أخرى لم
تحاول حتى أن تفهمها .. وبعد لحظات أخرى تحاملت فيها على ذاك الألم ،
الذي كان يشق جسدها .. نهضت عابدة لتضع جسدها داخل قميصها الذي
خلعه عنها صلاح ، وألقاه على أرض الغرفة وخرجت ..

خرجت عابدة بجسدها الممزق وروحها الثائرة لتجد آدم ، كما تركته في
المكان ذاته ، ينظر حوله في ذهول كبير ..

وأحتت عابدة رأسها في ألم ، وجلست إلى جواره لتقول:

أنا عابدة .. أنت اسمك إيه؟!

وفي صوت خفيض أجاب:

آدم .. آدم صلاح .. هو صلاح صاحبك!؟

وفي ذل كبير وباتسامه مريرة ، رفعت عابدة ذراعها لنضعه حول كتفه الصغير ، وقالت:

صلاح جوزي .

ثم عادت بعد لحظات من الصمت تقول:

غير هدموك .. أنا حآخذ حمام وآجي نتكلم مع بعض .. عايز ناكل حاجة!؟

وهز الصغير رأسه بالنفي ، لتنهض عابدة بعيداً عنه .. لن تلمسه قبل أن تظهر جسدها من آثار جسد ذاك المريض ، الذي مزق جسدها دون رحمة ..

عندما عادت عابدة من حمامها ، وجدته كما هو في ملابسه التي حضر بها .. وجدته نائماً مغمض العينين ، وكان لحظات الخوف والصباح التي عاشها أنهكته ، فاستسلم للنوم وهو جالس في مكانه .

وانحنى عابدة ترفع ساقيه الصغيرتين النحيلتين على الأريكة ، وغلعت عنه حذاءه وجوريه في حنان ، وعادت إليه بعد لحظات لتسجي عليه إحدى الملاءات النظيفة وجلست ترقبه لحظات طويلة ، ودموعها تغسل وجنتيها في سخاء كبير .

ونفضت عابدة لتدخل غرفتها وتخرج ، وهي تحمل اللاب توب في يدها لتفتحه وجلست تكتب لأول مرة .. كتبت وهي تعلم أنها رسالة لن تصل إلا في الغد ، عندما تذهب إلى المقهى القريب .. لكنها قررت أن تكتبها الآن .. ستكتب رسالة وترسلها إلى هاشم ودنيا معاً .

هاشم .. دنيا ..

الآن فقط علمت أن حضوري إلى لندن كان له سبب كبير .. الآن فقط أدركت أن زواجي من صلاح كان له سبب كبير .. بل علمت أن موت أمي وأبي ربما كان له نفس السبب .

أنا جئت هنا لأتخذ طفلاً كما أتخذتني ماما هدى يوماً من قسوة شلبية وضمت عني طلعت .. أنا جئت هنا لأتخذ طفلاً من قسوة أمه وغباء صلاح أبيه .

وسقطت دموع كثيفة جديدة من عين عابدة ، وهي تكتب اسم صلاح إلا أنها عادت بعدها بأصابعها الرشيقة الطويلة تكتب:

ما بيكني أنه يشيني .. ما بيكني أني لا أشبه ماما هدى .. لست في قوتها .. لست في ثرائها ، ولا أستطيع حتى أن أكون في حنانها ، ولكن سأحاول أن أكون ..

اليوم أستطيع أن أقول إن سعيدة ..

فلتهدأوا جيماً ولتطمثوا ..

من حرف الغدف وحدد الغاية ، بيناً قلبه ويبدأ أيا كان ضعفه وعلاجه ..

أنا وجدت غايتي وعرفت طريقي .

«عابدة»

صاح شودي في صوته المبحوح بنادي عابدة، وهو يخبرها أن هناك من يريد محادثتها على هاتف المقي الذي تعمل فيه .. وركضت عابدة والدعشة تأكلها، لا أحد على الأرض يعلم رقم هاتف المقي سوى صلاح .. وما تراه يريد منها .. والتفتت ساعة الهاتف لتشهق بعدها، وفي دعر كبير أغلقت الخط، والتفتت تنظر إلى شودي صاحب المقي العجوز، وهي ترجو أن يسمح لها بالانصراف .

مدير المدرسة التي التحق بها آدم يريد لها الآن لأمر عاجل .. وإبسم شودي في وجهها ابتسامة صغيرة .. إنه يجب عابدة، ولا يصدق أن شابة في جمالها وأناقته تعمل لديه .. لا يصدق أبداً أنها تقيم هنا في هذا الحي .. ولا يصدق أبداً أنها زوجة لذلك المصري المغرور، الذي لا يحبه أحد في هذا الحي.

وانطلقت عابدة تسرع بخطواتها في جنون نحو المدرسة .. عمت لو كان معها نقود تستغل بها الباص أو تأخذ تاكسي .. لكن لكل بنس في جيبيها استخدام .. ورغم أن المدرسة ليست بعيدة، إلا أنها شعرت أن قلبها يكاد يقف من خوفها وهفتها .

ما تراه حدث هناك؟!

إن آدم لا يحكي لها شيئاً .. لكنها كانت تراه دوماً يعود من المدرسة وأتار دموع في عينيه .. إنها تحاول كثيراً التقرب منه والدخول إلى قلبه، لكن آدم

أبداً لا يسمح لها بالكثير .. آدم ينهي واجباته المدرسية، ويلهو بجهاز «الجيم بوى» الذي أحضره معه ولا يتحدث .. كم عدد المرات التي أخبرته فيها عابدة أنها من الممكن أن تصعبه إلى أحد المنتزهات الموجودة في الحي، ليتعرف على بعض الصبية هناك .. لكنه كان يشكرها ويرفض ..

آه لو تعلم كيف تصعب صديقتي .. آه لو يعلم هو كم تحتاج صحبته وحنانه ولكن لن تتمتع بالأمور .. لن نرغمه على شيء .. سيشرح يوماً أنها حقاً تحبه وتشفق عليه .. المهم أن يكون بخير .

ودخلت عابدة مبنى المدرسة .. حتى مدرسة ناين إلى متسعة ومبناها يدعوا إلى الخوف والاشمئزاز .. وسارت إلى مكتب المدير الذي فتح عينيه في دهشة كبرى، حين رأى عابدة .. دهشة اعتادها واعتادت رؤيتها في كل الأعين في هذا الحي اللعين .

وزادت دهشة الرجل حين رآها تسألها بلغتها الطليقة عن آدم .. بدت حقاً عاتقة حتى أنه عاد يسألها إن كانت أمه .. آدم يشبهها ولا يشبه «صلاح» الذي أحضره هنا ذات صباح، وقالت عابدة في هدوء إنها زوجة أبيه، ونكس الرجل رأسه ليقول:

مسز صلاح .. احنا عندنا مشكلة كبيرة مع آدم .. آدم زي مانت عارفة جه من مدرسة أكرت ديش، ودي منطقة راقية وهادئة .. يعني حتى الولاد اللي فيها نوعية ثانية تماماً غير اللي عندنا .. نوعية زي نوعية آدم .. لكن للأسف هنا .. الولاد عنف وغدرات .. الحقيقة آدم تعرض لكذا اعتداء في الأسبوع الأخير .. أنا اتكلمت معاه، وعملت «تقرير رسمي» وفعته للجهات المختصة، والنهارة حصلت على موافقة رسمية بنقله للمدرسة تشيلسي يعني بعد الكوبري على طول .. أنا كنت حابعت جواب للبيت النهارة بكنا .. لولا .. لولا ..

وأطرق الرجل للصمت قليلاً، ثم قال في تأثر كبير:

النهاردة برضة واحد من الأولاد اعتدى على آدم بالضرب .

شهقت عابدة في ذعر، وبلا وعي منها سقطت دمعات من عينيها لتصبح في لهفة وتسأله إن كان بخير ..

وعاد الرجل ينظر إلى عينيها الخضراوين الواسعتين في ألم ليقول:

اطمني مسز صلاح .. ما فيش حاجة جامدة .. احنا كنا خايفين على عينه وأنا أخذته بنفسي المستشفى ورجع .. هو قاعد دلوقتي في مكتب مسز ريتشارد .. أنا حندهله دلوقت ..

وبعد لحظات من التردد عاد يقول:

مسز صلاح .. من بكرة وديه مدرسة تشيلسي .. الملف اللي أنا جيته من مدرسته القديمة أصبح هناك دلوقت .. ما تعرفيش قد إيه أنا كنت حزيرين ومتعاطف معاه .. لكن قد إيه برضه أنا مظمن عليه دلوقتي لما شفت حضرتك .. آدم ولد هائل .. كل المدرسين يقولوا عليه حييقي عبقري .

ونهضت عابدة تسأله أين نجد آدم .. لكن الرجل طلب منها أن تجلس، بعد أن حادث أحدهم عبر الهاتف، وطلب إحضار آدم الذي دخل المكتب بعد لحظات ..

كانت هناك ضيافة صغيرة فوق جبهته، وعلى أعلى عينه اليسرى .. كانت هناك أيضا آثار لكدمات زرقاء على وجهه .. كان واضحا أنها لكمة عنيفة تلقاها آدم في وجهه .

ونهضت عابدة تأخذه بين ذراعيها في حنان كبير، وقالت من بين

دموعها:

ليه يا آدم .. ليه ما قلتيش على اللي يحصل؟ ليه يا آدم .. ليه ١٩

كان الصغير خائفاً .. كان يتنفذ .. لم يكن يعلم ما الذي يمكنه أن يقوله والذي يجب أن يخفيه .. كان يخشى أن تغضب عابدة إن أخبرها أن المدير كان يفكر بإرساله إلى مدرسة أخرى بعيدة .. كان يخشى أن تغير «صلاح»، فيثور ويصرخ كما فعل ويفعل دوماً كلما رآه .. إنه لا يعلم حقاً ما الذي يمكن قوله، وما الذي يجب إخفاؤه، ورفع عينيه الزرقاء الصغيرة ليقول في حيرة كبرى: أنا آسف ..

وابتسم مدير المدرسة، وهو يصفح عابدة، واتحنى يقبل آدم قائلاً:

أنت محظوظ لأن كلنا بنهتم بيك .. بس أنت كمان تستحق الاهتمام لأنك مميز .. آدم .. من فضلك عايز أسمع عنك أخبار كويسة .. أنا متأكد أن مدرسة تشيلسي حتضفر بيك .

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

ومرت عابدة في طريقها بالمقهى الذي تعمل فيه .. وطلبت ، في تردد كبير ، بعض الجنيهات من شودري كسلفة ، تخصم مما يمنحها إياه في نهاية الأسبوع .. هي تعلم أن شودري يشفق عليها ويحترمها ولكنها لم تكن أبدًا تفكر في أن تطلب منه ما طلبته اليوم ، لكنها قررت أن تشتري للصغير شيئًا من تشيلسي حين يصلان إليها .

وعبر الاثنان الجسر ، وما أن وصلا نهايته ، حتى صاح آدم قائلاً:
مستحيل .. دا مكان جميل جدًا .. شبه اكستر ديشن ..

وفتحت عابدة عينها لا تصدق .. هل يفصل جسر صغير بين قذارة كالتي كانا فيها ، وبين جنة كالتي يخطوان على أرضها .. كل شيء حولها جميل .. كل شيء نظيف وأنيق .. حتى السماء تبدو هنا أكثر صفاء وازرق .. حتى المقاعد المتناثرة أمام النهر نفسه تبدو أنيقة جميلة .. لا أوساخ .. لا كتابات دنيئة بألوان صارخة على الحوائط أو على المقاعد .

وجلست عابدة على أحد المقاعد المتناثرة في حديقة صغيرة أمام النهر ، وهي تقول في ألم:

أنا كيان كنت عاشية في مكان جميل يا آدم .. كان قدام شباكي جنابن وبحيرة صغيرة فيها بط .. أنا كيان افكرت بيتي .. حلو إنك تفكر الحاجات الحلوة اللي في حياتك .. مش كذا؟!!

وجلس آدم إلى جوارها ، ثم قال بعد لحظات:

بس أنا الحاجات الحلوة اللي في حياتي مش حائر جمع ثاني أبدًا ..

ورقصت دمنعة في عين عابدة .. من قال إن ذكرياتها هي الأخرى ستعود يومًا .. هي وآدم لا طريق آخر أمامها .. وعادت تحاول أن تبسم ، وهي تقول:

حتى لو الحاجات الحلوة خلصت .. ممكن نحاول نعمل حاجات حلوة

عندما مدت عابدة أصابعها البيضاء الرقيقة لتلتقط أصابع آدم الصغيرة بينهم ، شعرت بتردده في أن يتركها كفه فأغمضت عينها في ألم .. لماذا لا يشعر بحبها له؟ لماذا لا يحاول أن يستمتع به؟ لماذا يرفض الحديث عن كل شيء؟ .. لا تعلم ولكن ما تعلمه أنها حقًا تحبه ، وحقًا تفهم خوفه وتردده ولا تغضب أبدًا ..

وسارت عابدة إلى جواره ، وهي تنظر حولها من جديد .. لم يعد يثيرها كثيرًا أن ترى فأرًا يطل برأسه .. أصبحت تكتفي بانتفاضة صغيرة تسري في جسدها .. لم تعد حتى رائحة الأوساخ ، التي تطل من أركان شوارع الحي تزكم أنفها .. اعتادت كل شيء .. اعتادت حتى رائحة صلاح ورائحة جسده الذي لا يفصله إلا مرات قليلة .

وعادت تتنهد .. قد تكون حقًا اعتادت كل هذا ، ولكن هذا الصغير هو الزهرة النقية الوحيدة في عالمها .. وبها لهذا تحبه أكثر .. وبها لهذا تسمى دومًا لأن تمسك بكفه الصغير ، وتتمنى حقًا أن تأتي اللحظة التي يسمح لها فيها بأن تقضه إلى صدرها .. وانحنى عابدة تقول له في حنان:

آدم .. لو أنت مش تعبان .. إيه وأليك تروح المدوسة الجديدة .. نشوفها ونعرف مكانها .. أنا من يوم ما جيت لندن ، وأنا نفسي أعدي كوبري تشيلسي .. إيه وأليك تعذبه سوا دلوقت ..

وفي هدوء واستسلام اعتادتهما منه عابدة ، قال:
أوكي ..

جديدة .. النهاردة جينا مكان حلو ومدرستك حتكون فيه ، وكيان ممكن
تبقى أصحاب ، ودي أحل حاجة يا آدم .. إيه رأيك ؟!

ورفع الصغير وجهه الحائر لينظر إلى عابدة .. إنها جميلة أنيقة .. أكثر جمالا
من أمه التي يحبها ، وأكثر منها هدوءا وحنانا ، ولكنه مازال لا يفهم .
ونكس رأسه في صمت دون أن يبيها بكلمة ..

ونهمست عابدة تستوقف أحد المارة : لتسأله عن مدرسة تشيلسي ، وعندما
أخبرها أنها تبعد حوالي 2 بلوك عن الجسر ، سقطت في حيرتها لتجلس إلى
جوار آدم من جديد ، وهي تقول :

المدرسة بعيدة يا آدم .. مش حاتقدر تمشي كل دا لوحده ، وأنا كيان
ماقدرش أسيبك ، وماقدرش أجي معاك .

ويعد دقائق ، ويعد أن مر إلى جوارها طفل على دراجة ، قالت عابدة :

آدم .. بتعرف تسوق عجل ؟!

وابتمس آدم ليقول :

كان عندي عجلة .. كنت باركبها وأنا رايح المدرسة ..

وقالت عابدة :

خلاص .. أنا حاشترك عجلة .. الصبح أنا حاوصلك لغاية أول الجسر
وأنت تكمل في تشيلسي .. هنا أمان .. وحالكم شودي ساعة الغدا اللي
باخذها حا اخدها في وقت خروجك .. حاستاك عند الكوبري وأروحك
البيت .. يلا قوم نشوف المدرسة فين ؟!

وسار آدم إلى جوارها .. كان ينظر حوله في سعادة .. كان الحى وجماله
يسكبان على روحه طمأنينة .

وفي لحظة مد آدم كفه ليضعه بين أصابع عابدة ، التي رقصت روحها
فرحاً ، وهي تضغط عليه بقوة ، كأنها تخبره أنها لن تتركه أبداً ..

كان الطريق طويلاً لبعض الشيء إلى المدرسة ، ووقف آدم ينظر بظرف عينيه
إلى محل بيع الأيس كريم ، وعادت به عابدة إلى الخلف ، لتشتري له كويلاً
صغيراً من الأيس كريم .. كانت تمنى حقاً أن تذوقه ، لكنها خشيت إن
فعلت أن تنتهي قروشها .. ستذهب إلى البنك .. ستذهب وتأخذ بعضاً من
النقد التي أخبرتها عنها هدى .. ستشتري له دراجة ، وربما ستدعوه إلى الغداء
.. ساندوتش برجر الذي يحبه الأطفال ، وربما بيتزا صغيرة وقطعة حلوى ..

هي لن تأكل أو ربما أكلت معه قطعة صغيرة من البيتزا .. وتنهتد وهي
تذكر صناديق البيتزا ، التي كانت تدخل بيت عبدالمنعم الشيرازي .. هي
وماشم وحتى دينا كانوا يعشقون البيتزا .

ونظرت عابدة إلى وجه آدم في دهشة .. إنها لا تذكر البيتزا لأنها اشتاقت
إليها ، بل تذكرتها لأنها تمنى لو كان بإمكانها أن تطعمها له .

وبعد أكثر من عشرين دقيقة ، وصل الاثنان مبنى المدرسة ، وصاح آدم
فرحاً .. المبنى كان جميلاً نظيفاً يشبه مدرسة الحى القديم .

ودخلت عابدة معه ورحب بها مدير المدرسة ، الذي أخبرها أنه لا يصدق
أنها يسكنان حى الـ "ناين إلز" .. وأخذ آدم من يده الصغيرة ، وهو بعده
أنه أبداً لن يواجه في هذا المكان شيئاً مما واجهه هناك .. أخذه ليريه فصله
الدراسي ، ويتعرف إلى زملائه ، بعد أن أخبرته عابدة أنها يجب أن تعود به إلى
البيت ، وأنه سيحضر في الغد مع بداية اليوم الدراسي .

عابدة لم تنس أن تسأل عن مكان بنك في تشيلسي ، وأيضاً عن مكان
تشتري منه دراجة وأيضاً سألت عن أسعارها وأنواعها ، وأخبرت آدم أنه
وحده سيختار لونها وشكلها !!

كل شيء استقر واستقرت ملاعقه في حياة عايدة .. إنها تتحرك بجنون لكنه جنون هادئ ثابت .

في الصباح تستيقظ مع آدم وتصلطبه حتى نهاية جسر تشيلسي ، ثم تعود لعملها في مقهى شودري الذي بدأ يأتونها على كل شيء فيه .. وفي الرابعة تذهب مرة أخرى إلى حي تشيلسي ؛ لتستقر آدم على المقعد ذاته ، أمام النهر بجوار الجسر لتعود معه وقرب البيت تركه ؛ لتعود إلى عملها مرة أخرى ..

آدم مازال يرفض اللعب في حي ناين إلتر ، وعابدة لا تلومه وأبدًا لا تشجعه .. هي أيضًا لا تتحدث إلى أحد في الحي ، بل تكتفي باللقاء تحية هادئة على من بدأت تألف وجوههم .

هدأت روحها وسكنت .. كل يوم تكتب إلى هاشم ودينا .. عايدة اشترت بطاقة لجهاز محمولها فقط ؛ لتشعر بالطمأنينة على آدم إن احتاجها في أمر مهم ..

هدى تحادثها على محمولها كل عدة أيام هي ومنعم .. هاشم لا يفعل .. هاشم حادتها مرة ثم كتب إليها إنه لن يفعل .. أخبرها أنه يرى دمًا في صوتها .. أخبرها أنه يسمع دمًا في صوتها كلما حادتها ؛ لذا قرر أن يكتفي بالإيميلات اليومية .

عايدة هدأت .. حتى ثوراتها مع صلاح بدأت تهدأ .. عندما تضح الصور تستقر الرزوس .. عايدة تعلم جيدًا الآن أن «صلاح» رفاعي ما هو

إلا فلاح جاهل مغرور ، يريد أن يسحق كبريائها تحت حذائه ؛ لأنه يعلم أن هناك مسافة كبيرة تفصلها عنه .. عايدة يكفها أن كليها معًا علم الحقيقة ، ولكن كليها أيضًا أصبح مؤمنًا بحتمية بقائه في حياة الآخر .

عايدة لم يبق لها سوى هذا البيت ، وآدم أصبح عاملها ورسالتها .. وصلاح أيضًا يعلم أن عايدة تجعل حياته أسهل ، فهي لا تطلب منه شيئًا ، ولا تمنع في أي شيء يفعله .. هي ترعى البيت وترعى آدم ، وتضع كل ما تكسبه على الفروش القليلة ، التي يمنحها إياها لتنفقها عليه وعلى آدم .. هو أيضًا لا ينسى أبدًا تقيعها ولومها كل آن وآخر ..

صلاح يشعر أن صفقته كانت ناجحة وأكثر نجاحًا مما تصور .. لا شيء يؤلمه ، سوى أنه مازال يرى في عينها أطراف كرامة لا تغيب .. حتى عندما يأخذها .. حتى عندما تقاومه عايدة ، يشعر أنها تنظر إليه في ثبات بارد ، كأنها تحبّه أنه ما أخذ إلا ما سمحت وحدها به .

كل شيء هادئ ثابت ، رغم أن كل شيء حزين قائم .. حتى الوجوه التي تراها عايدة كل يوم في المنزل ، الذي تنتظر فيه وصول آدم تقريرًا هي نفسها .. في الرابعة والربع ، سيظهر ذاك الرجل الأثني الذي تشعر عايدة أنه يبحث عنها بعينه كل يوم .. وحين يظهر سينظر حوله جيدًا حتى يراها ، ويتوجه إلى الجلوس على المقعد الملاصق للمقعد الذي تجلس عليه ، بعد أن يلقي عليها التحية .

لقد اعتادت وجوده ، بل إنها في بعض الأحيان تنظر إلى ساعة يدها إن تأخر دقائق ..

وابتسمت عايدة ابتسامة صغيرة ، وهي تنظر في ساعة يدها .. لقد تأخر اليوم خمس دقائق كاملة .. إنه حدث عظيم .. منذ بدأت الحضور إلى هنا ،

ومنذ أكثر من شهرين ، لم يتأخر يوماً جس دقاتك ، وعادت تنظر حولها في
قلبي .. هل أصابه شيء ؟!

ورمت عايده بعينيها إلى النهر في دهشة ..

هل يتأهبها القلق على غريب لا تعرف حتى اسمه ؟!

هل تريد أن تطمئن على رجل ، لم تسمع حتى صوته في كلمات أكثر
من النحية الصغيرة ، التي يلقيها على أنفها ، كلما جاء ليجلس على المقعد
الملاصق لمقعدها ..

إنها حتى لا تعرف ملاحه جيداً .. عندما يجلس يصبح ظهره لها .. لكنها
اعتادت رائحة عطره الجميل .. اعتادت حقاً أن تشعر به يجلس خلفها ..
والفتت دون وعي تنظر إلى المقعد الملاصق بظهر مقعدها .. كان عليه امرأتان
تحدثان ، وشعرت عايده بالغبط .. أين يجلس إن جاء ؟!

وعادت تنظر إلى النهر وإلى ساعة يدها ، وهي تسأل لماذا تحنو على الغرباء ؟
لماذا تعلق على كل من تعرفهم ومن لا تعرفهم .. إنها حتى أحياناً تشفق على
صالح ، وتشعر بالقلق إن غاب هو الآخر ..

صالح !! ونفست رأسها في هدوء .. إلا صالح .. لن تفكر فيه .. لن تفكر
في أي شيء مما يفعله .. لو فعلت ستكرهه .. وهي تريد أن تستبقي شعورها
نحوه بالإشفاق .. إنه مسكين .. من لا يعرف الحب هو كائن مسكين !

عادت عايده ترفع عينيها تنظر بحثاً عنه ، ورأته يتقدم بخطواته ورأها ،
وشعرت أنه شعر هو الآخر أنها تبحث عنه ، واقترب منها ، وعل وجهه
إبتسامة صغيرة ليلقي عليها النحية ، ثم قال في أدب كبير :

اتعودت أقعد على الكرسي اللي وراكي .. لكن الظاهر إن كل الناس تحب
تقعد جنبك يا آنسة .. أتأخرت دقائق وتأخيري قته إني التحرم من القعدة
وراكي ..

وشعرت عايده بحرج كبير ، رغم إبتسامتها ، ولم تعلم أبداً ماذا تفعل أو
تقول ، إلا أنها نهضت وانحنت تلتقط حقيبتها ، ثم قالت :

اتفضل مكاني .. أنا ماشية ..

ومد كفه يصفحها قائلاً :

توني والتر ..

ونظرت عايده إلى عينية الخضراوين الصغيرتين وشعره الأشقر ، الذي
غزته شعيرات بيضاء كثيرة .. إنه في نهاية الخمسين ، أو ربما كان في أوائل
الستين .. إلا أن الرجل كان وسيماً أنيقاً ، ومدت عايده أصابعها الرشيدة
الطويلة ، لتقول في إبتسامة صغيرة ، وهي تصافحه :

عايده ..

لم تنتظر عايده لحظة واحدة .. غادرت المنزل بأكمله ، رغم أنها كانت
تبقى فيه أكثر من عشرين دقيقة كل يوم ، حتى ظهور آدم وجلسه إلى
جوارها أكثر من نصف ساعة أخرى ، يتوجهان بعدها إلى ناين إلز ..

شعرت بالخوف .. شعرت بالخيرة .. إنها غريبة وحيدة .. إنها لا تعلم
شيئاً عن هذا المكان أو هذا البلد بأكمله .. عايده لا تحدث الغرباء ..

لكنها عادت تتذكر إبتسامته الواسعة ونظرة عينيه الواثقة الثابتة .. الرجل
لا يعني شيئاً .. الجميع هنا يتبادلون النحية والأحاديث السريعة ..

لكن ربما لأنه حقاً وسيم وأنيق .. ربما لأنه حقاً كان ينظر إليها في ود
وإعجاب حقيقي ..

عايده نسبت كيف يكون الود وكيف يكون الإعجاب !!

وشعرت بكفه يمز كفها ، وانتفضت عابدة في ذعر ، وهي تنظر إلى اليد التي تميز كفها ، فوجدته آدم وهو يصيح قائلاً:

عابدة .. مالك؟!

وانحنى عابدة تقبل رأسه في حنان ، وهي تقول:

آدم .. لازم أرجع .. عندي النهاردة شغل .. مش حينفع .

وسار آدم إلى جوارها ، وهو يمسك بالدراجة في يده ، وأخذ يخبرها عن يومه وعن كل ما حدث في المدرسة ، وكيف أن معلم الفصل طلب منه أن يقرأ الموضوع الذي كتبه ، وكيف امتدحه أمام كل زملائه ، وأخبرهم أن هذا هو أفضل موضوع قرأه منذ أعوام .

وابتسمت عابدة وهي تقول:

عارف يا آدم؟! أنا كنت باكتب قصص من وأنا قدك ، وفي الجامعة اتقدمت لمسابقة وكسبت جائزة .. طول عمري بافكر اكتب رواية ..

وصاح آدم قائلاً:

أنا كمان يا عابدة .. عايزاني اقرا الموضوع بتاعي .

وضمته عابدة إلى جسدها ، وهما يسيران ، وهي تقول:

ياريت .. بجدي ياريت يا آدم .. هو الموضوع كان عن إيه؟!

وابتسم آدم ابتسامة صغيرة قائلاً:

عن أكثر شخصية بتحبها وليه ..

وقالت عابدة ، وهي تحاول أن تكون في مزح الصغير:

كتبت عن مين يا آدم؟!

ورفع آدم عينيه الزرقاوين الجميلتين ليقول:

كتبتك عنك يا عابدة .

وتوقفت عابدة عن السير .. لم تصدق أذنيها .. لم تكن تعلم أبداً أن عينه بدأت تراها وتشعر بها .. لم تصدق أبداً أنه كتب عنها ، وقالت في حنان:

وليه أنا يا آدم؟!

ورأت عابدة أطياف دمعة في عينيه ، وسمعته يقول:

لأني بحبك .

وضحكت عابدة رغم الدمعة التي ظهرت في عينيها .

ثم عاد آدم يكمل قائلاً:

... لأنك عرفت تخليني أحبك يا عابدة .

وللمرة الأولى وقفت عابدة تنظر في عينيه ، ثم ضمته إلى صدرها في حنان بالغ ، وهي تقول:

عندك حق .. مافيش سبب أكبر من الحب يخلي الإنسان أفضل إنسان في عيون اللي بيحبه .

آدم .. أنا كمان بحبك جتداً .

قبلاني لآدم ولكِ وقبلات حسن وماما لك وله ..

عابدة ..

ليتك معي يا صديقتي ..

«ديننا»

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

عابدة ..

كلما رأني أُمِّي أُنْجَلُ أُمَامَهَا ، سألني في جنون كيف أصبحت حاملاً ..
في كل مرة تبكي ، وفي كل مرة أذكرها أنني تزوجت ، وأن هذا الرجل الذي
يحيا معنا هو حسن زوجي ..

حسن يعتقد أنها دوماً تنساه ، وتنسى كل ما يتعلق به ؛ لأنها لا تحبه ،
ولكن وحدي أشعر أن حالتها تزداد سوءاً على سوء كل يوم ..

لا أدري ماذا حدث لنا .. طنط هدى وهاشم وأنكل منعم وماما وحسن
جميعنا في قلوبنا غصة وفي عروقنا حزن .. فراقك يا عابدة ومرض أُمِّي وعزلة
هاشم وعصية حسن وضغط الحمل والعمل يقتلون كل يوم ..

عابدة:

أيام والد .. سأعجب ذكراً .. سأسميه مختار كاسم بابا رحمه الله .. هو
أيضاً كان يحبك كثيراً ..

أنت أصبحت أمّاً لآدم ، وأنا سأصبح أمّاً لمختار ، وأحلم بيوم يلتقي فيه
الصبيان ويصبحان مثلنا أصدقاء .. أحلم يا عابدة بلقائناك ..

لو كنت هنا .. لو كنت معي ما أصبح أحذنا بهذا الحزن يوماً ..

كانت نجوى تطرق على باب عبدالنعم شيرازي طرقات كثيرة متواليه في جنون ، وهي تنتفض في خوف كبير .. وعندما أطلت هدى من خلف حبة خادمة المنزل لتستطلع الأمر ، اندفعت نجوى ، وهي تدفع حبة بكفها بعيداً عن طريقها ؛ لتلقي بجسدها المرتعش بين ذراعي هدى قائلة :

منعم فين يا هدى .. هاشم هنا ؟!

وضمتها هدى بين ذراعيها في حنان ، وهي تسأل :

فيه إيه يا نجوى .. فيه إيه ؟!

وعادت هدى تنظر خلفها إلى باب بيتها ، وهي تقول :

مش عارفة .. مش عارفة يا هدى .. صحيت من شوية ، لقيت أصوات غريبة في البيت .. باين فيه حرامي يا هدى .. الحمد لله أن دينا نزلت الشغل .

وأطل هاشم من خلف هدى ، وهو في طريقه إلى الخروج ، وقال بعد أن سمع كلمات نجوى :

ماليش حاجة يا طلط نجوى .. دا أكيد حسن ولا يمكن غنار بيعيط ..

وقبل أن ينس أحدهم بكلمة ، فتح حسن باب البيت ، وهو يتدفع في جنون كأنه يبحث عن شيء ما ، ووقف يلتقط أنفاسه حين رأى نجوى تنف مع هدى وهاشم قائلاً :

ياخير يا طلط خضيتني .. حضرتك وحتى فين ؟!

وفي دهشة كبيرة ، نظرت نجوى إلى وجه حسن ، ثم عادت تنظر إلى هدى وهاشم من جديد ، كأنها تطلب تفسيراً ، وأرخت هاشم عينيه ليقول في حزن :

حسن يا طلط نجوى .. جوز دينا وأبو غنار ..

ورفعت نجوى عينيهما في ذعر لتقول :

غنار .. غنار جوزي ؟!

وتقدم حسن نحوها في حنان ليضمها بين ذراعيه ، ونظر إلى هدى وهاشم كأنه يعتذر ، ثم قال :

لا .. غنار حفيديك يا طلط .. نايم جوا .. تعالي .

ودخلت نجوى إلى البيت وتبعتها هدى ، بعد أن ودعها هاشم ؛ ليضي إلى طريق جامعته ، واستأذن منها حسن ليكمل ارتداء ملابسه هو الآخر ليحلق بعمله ، وجلست هدى يقيص نومها القطني إلى جوار نجوى ، تربت على كتفيها في حنان لتسمعها تقول ، من بين دمعات صغيرة سقطت على وجتيها :

حتى حفيدي نسيته .. حتى جوز بتي مش عارفاه .. طب ويعدين يا هدى .. حييجي يوم ما أعرفكيش وما أعرفش دينا .. حييجي يوم ما أعرفش أنا مين ؟!

ضمتها هدى إلى صدرها في حنان بالغ ، وهي لا تعلم ماذا تقول لها .. وأقبلت صباح خادمة دينا المقيمة ، وهي تعمل كوربين من الشاي أمرها حسن بإعدادهما ؛ لتقول لها هدى في لوم كبير :

كنت فين يا صباح لما نجوى هاتم خرجت من باب الشقة ؟!

وأجابات صباح في صوت خفيض :

غنار كان بيعيط .. وأنا كنت بأغير له يا هاتم ..

وأطل حسن من غرفته ليضع قبلة على رأس هدى ونجوى ، قائلاً في حجب:

غلطتي أنا يا منط هدى .. دينا قفلت الباب بالمفتاح ، بس أنا فتحتة عشان كان الجرنال لسه ما جاش ونسيت أقفله ..

وأرخت هدى عينها في حزن ، وهي تنظر إلى وجه نجوى الباكي .. أصبحت نجوى كالأطفال .. أصبحوا يغلطون باب البيت ويوصلونه بالمفتاح ، خوفاً من أن تنسى وتخرج ، دون أن تخبرهم أو تخرج وحدها ، وتنسى كيف تعود .

مدت هدى أصابعها تلتقط أحد أكواب الشاي .. أعطته لنجوى ، وقالت:

هاتي غنار يا صباح مادام صاحي .. هاتيه أصبح عليه أنا ونجوى ..

وحلت هدى «غنار» الصغير بشهور عمره القليلة بين ذراعها ، وهما يتبادلان القصص والذكريات .. نجوى تصر أن «غنار» الصغير يشبه «غنار» حقاً وهدى تداعبها ، وهي تقول إنه يشبه «حسن» لتغضب نجوى وتهدأ ، ثم تثور من جديد ..

ونظرت هدى إلى وجه غنار الصغير في حنان .. تستعفي الأيام .. تستعفي الأعرام ، ولكن هل ستكون هدى بكامل وعيها ، عندما يصبح لهاشم ابن مثل غنار .. ليس الموت ما يخيفها .. هدى أحياناً تخشى أن يصيبها الزهايمر كالذي أصاب نجوى ، فتصبح بلا ماضٍ أو ذكريات ..

ضمت هدى «غنار» إلى صدرها ، وأغمضت عينها ، وهي تدعو الله أن يحفظ لها كل من تحبهم ، ويحفظ دوماً قدرتها على أن تعرفهم وتذكرهم ، وتغلق حولهم ذراعي حبها وحنانها طوال العمر !!

جمع هاشم كل كتيبه الدراسية في صندوق صغير من الكرتون .. انتهت امتحاناته جميعها ، ومن الغد سيدأ في الذهاب إلى مكتب الدكتور عبدالمعتم صادق .. من الغد سيدأ في الانتظام بمكتب أبيه .. بعد ظهور النتيجة ، سيصبح الأستاذ «هاشم صادق» .. هو يعلم أنه سينجح .. هو يعلم أنه سيحصل أيضاً على تقدير مُرضٍ .. وبها لن يكون «امتياز» ، ولكنه أيضاً لن يكون «مقبول» .. سيتمكن من استكمال الدراسات العليا .. لن يغذل هدى أو «منعم» أو عايدة ..

عند ظهور النتيجة ، سيسافر في رحلة إلى باريس ، وسيعرج على لندن لزيارة عايدة .. نعم سيزور اليامه التي اشتاق إليها .

مازال يحبها وسبقى ..

هدى كانت تظن أنه سينسى قصة عشقه بعد زواجها وسفرها .. لكنه لم ينس ولم يحاول .. ولم يحاول؟! نحن قد نحاول أن نجد حلاً لمشكلة .. نحن قد نحاول أن نجد نهاية لأم .. ولكن عايدة في قلبه لا هي مشكلة ولا كانت يوماً إلماً ..

إنها حلم .. إنها حب ينير دروب أيامه .. كل ما فعلته هدى أنها حولت ذلك الحب الكبير إلى حب أكبر .. لكنه حب بلا مستقبل .. بلا أمل ..

هاشم لا يحتاج الأمل .. هاشم يرى المستقبل بوضوح .. سيصبح أستاذاً في القانون .. سيدرس في الجامعة .. سيمارس مهنة المحاماة مع والده .. سيتعامل مع كل الشركات الكبيرة ، والتي يدير عبدالمعتم شئونها القانونية .

هاشم سينجح .. هاشم سيلمع اسمه إلى جوار اسم عبدالمتعم صادق ..
هاشم يرى المستقبل وسيبقى يبعثها ، ويكتفي منها بهذه الإيميلات الرائعة
التي يتبادلانها معاً كل يوم .. هذا يكفي .. وهذا كل شيء .

نهض هاشم ينظر من خلف زجاج نافذته إلى حدائق الميرلاند ، وأطرق
برأسه قليلاً كأنه يسأل نفسه .. هل هذا حقاً كل شيء؟!

هدى لن تهدأ .. هدى تريد أن يتزوج .. تريد أن ينجب .. منذ ولادة
ديننا وهدى لا تترك يوماً يمر عليهم ، دون أن تقول إنها تمنى أن تحمل
ابنه هو الآخر بين ذراعيها .. هدى في كل يوم تسأله عن الفتيات .. كل يوم
ترشح له أسماً ، وفي كل يوم تطلب منه أن يلبي دعوتها لزيارة عائلة فلان أو
فلان ليرى بناتهم ، ويختار إحداهن للزواج .

وانطلقت آهة كبيرة من صدره ، استدار هاشم بعدها ليخرج من غرفته
ويتوجه إلى غرفة عابدة وأشعل ضوءها ، ثم وقف يرقب فراشها في حنان
.. اشتاق إليها .. كما لم يعرف قلب الشوق يوماً .. مازال يشتد رانحتها في
هذه الغرفة .. مازال وجهها الأبيض الرقيق يطل من عل الوسادة ليلوح له
في حنان ..

وجلس على حافة فراشها يرقب الوسادة .. كان هاشم يعلم أن يجمع
رأسبها وسادة واحدة يوماً ما ، ولكن أصبح لعابدة وسادة أخرى تضع
رأسها عليها .. وسادة اسمها صدر صلاح .

ترى هل هي سعيدة بوسادتها .. لا يعلم .. عابدة لا تتحدث أبداً عن
صلاح .. هي فقط تتحدث عن آدم .. عن الدكتور توني ، الذي تعرفت إليه
في منزله تشيلسي .. تتحدث عن عملها .. عن شوقها إليه وإلى هدى ومتعم
ودينا وطنط نجوى وحسن .. لكنها أبداً لا تتحدث عن صلاح .

هو أيضاً لا يحب الحديث عنه .. هاشم مازال لا يعترف به .. هاشم مازال
لا يصدق أن هناك رجلاً تغفو على صدره عابدة كل ليلة .. هاشم لا يصدق
أبداً أن شفتي عابدة الوردية المكتنزة تضمها شفتا ذاك الأسمر الغليظ القلب
والشفاه .

وانطلقت آهة أخرى كبيرة من صدر هاشم .. يجب أن يصدق .. لا شيء
ولكن لأنها الحقيقة .. يجب أيضاً أن يبدأ في التفكير بالزواج .. نعم .. يجب
أن يتزوج هو الآخر .. الزواج شركة يقيمها طرفان يقتسمان بعدها السكن
والأطفال والفراش .. شريكان يقتسمان كل شيء .. كل الأشياء التي لم
يستطع هاشم أن يقتسمها مع عابدة .. يجب أن يقتسمها مع امرأة أخرى .

شيء واحد لن يقتسمه مع سواها .. شيء واحد لن تراه المرأة التي
سينتزوجها ولن تشعر به .. شيء واحد لم يعد حتى هو نفسه يملكه ليقدمه إلى
سواها .. دونه يمكن أن يتزوج هاشم ، ودونه أيضاً يمكن أن يجا وينجب
ويسعد هدى و«متعم» .

دون هذا الشيء ، أكمل هاشم ما يجاوز العام على رحيل عابدة دون خسائر
.. دون هذا الشيء ، أنهى اختبائهما ، ودونه سينجح وسيكمل حتى الدكتوراه
.. شيء صغير ستحتفظ به عابدة وحدها ، دون حتى أن تعلم أنها سيدته
الرحيدة .

نعم .. سيبقى هذا الشيء من حق عابدة وحدها .. عابدة صابر ستيقي
سيدته قلبه حتى اللحظة الأخيرة من عمره!!

بالدمع يومها ، وهي تشكره لأنها أودت زماناً أن تشتري لأدم البيتزا ولم تستطع .

عايدة تعلن أنها لا تستطيع ، ولكنها أيضًا أعلنت في وضوح حاسم أنها أبدًا لن تقبل المزيد .. ابستمت عايدة يومها من خلف أطياف الدمعة ، التي رقصت في عينها ، وهي تخبره أنها يوم تحصل على عمل له أجر كبير ، استدعوه هو وأدم إلى العشاء في المكان الذي يختاره هو .. ولكن اليوم لن يتركها ، إلا بعد أن تقبل دعوته لما هي وأدم لحضور حفل عيد ميلاد حفيده بيتر في الغد .

ورآها تقبل نحوه كعادتها كل يوم .. كانت ترتدي بولونيك في لون زيتونة يونانية شهية .. كانت ترتدي بنطلونًا من الجينز الأزرق الفاتح ، وفي يدها حقيبتها البيضاء .. إنها جميلة .. شعرها الأشقر الداكن الناعم الذي يرتفع فوق رأسها ، ثم يقف على حدود عنقها الأبيض الطويل رائع .. عايدة دومًا جميلة ورائعة .

وانفسح لها توني لتجلس إلى جواره ، بعد أن ألقت عليه التحية ، ثم قالت :

عامل إلى الهاردة يا توني ؟

وابستم ، وهو يضع ذراعه حول كتفها في حنان :

هايل .. عندي خبر حلو ، عايز أقولك عليه بس لما أدم يوصل .

ومدت عايدة يدها إلى حقيبتها ، لتخرج منها الكتاب الذي أدخلته منه منذ أيام ، وهي تقول :

شكرًا .. أنا خلصته امبارح يا توني .. مش قادرة أقولك قد إيه جميل .

هل كل نساء الشرق مثل عايدة ؟ .. هل لهن جميعًا هذه الرقة وهذا الختان ؟ .. هل تسكن رؤوسهن جميعًا عقول متفتحة لما ثقافة عايدة ؟ .. هل حقًا هن جميعًا بهذه الكبرياء ؟

لا يعلم ولا يصدق .. كان له خبرات مع نساء ، جئن من الشرق في أعوام شبابه البعيد .. لا يذكر توني من ملاحظتهن الكثير .. ولكن أبدًا ما كانت إحداهن مثل عايدة ..

وعاد توني يتسم ، وهو يرقب عهر التاييمز ، الذي يسير أمام المقعد الذي يجلس عليه في هدوء .

جاء اليوم مبكرًا .. ولكنه دومًا يأتي .. منذ بدأت بينها تلك الصداقة على هذا المقعد وهو دومًا يأتي .. أحدهما ينتظر الآخر .. هذه الشابة الرقيقة رائعة الجمال أخذت قلبه بحنانها وطهارتها .. حتى آدم أصبح قطعة من قلبه .. أصبح توني يحبه حقًا ، مثلما يحب بيتر حفيده الوحيد ..

مد توني أصابعه التحيلة يتحسس قطعة الشيكولاتة الكبيرة ، التي غباها في طيات ملابسه .. إنه يشتريها لأدم من وقت لآخر .. عايدة أخبرته إنها لا تحب الشيكولاتة ، وأخبرته أنها لا تتناول سوي الساندوتش الصغير ، الذي تخرجه من جيبها لتأكله كل يوم ، قبل عودتها إلى المقهى الذي تعمل فيه .

كم مرة دعاهما إلى تناول الغداء معه .. لكنها دومًا ترفض في رقة .. مرة أحضر لها ولأدم صندوقًا كبيرًا من البيتزا ليأكلوه جميعًا .. تفرقت عيناها

ومد توني كفه التحيل ليقول:

عايدة .. ممكن تحفظي به لو عايزة .. أنا عندي روايات سيدتي شيلدون كلها .. يعني ممكن ..

لكنها قاطعتة قائلة:

من فضلك .. عشان أقدر أقولك ثاني ..

وقبل أن يجيب توني بكلمة ، صاحت عايدة قائلة:

عارف .. أنا بكرة حاجيبك ديوان شعر لنزار قباني أو كامل الشناوي ، وأقرأ وأترجملك عشان تعرف قد إيه إحنا عندنا شعراء هائلين .

وأقبل في تلك اللحظات آدم ليهبط عن دراجته ، ويقبل توني وعائدة ، ثم جلس إلى جوارهما ، حيث منحه توني الشيكولاتة ليفتحها في لفحة كبرى .. ورغم نظرة عايدة العاتية ، إلا أنها لم تستطع أن تقول شيئاً سوى أن تشكره .

وفجأة ودون مقدمات ، قال آدم كأنه لا يطيق الانتظار:

عايدة .. هو أنا ليه مسلم؟

ورغم أن السؤال فاجأ عايدة كثيراً ، إلا أنها قالت في هدوء:

لأن باباك مسلم .

وعاد آدم يقول في صوت خفيض:

أنت مسلمة يا عايدة مش كذا؟

وأومات عايدة رأسها بالإيجاب ، وقال الصغير:

أنا مش عايز أكون مسلم ، ومش عايزك أنتي كمان تكوني مسلمة .. مش

كدا يا توني؟

ونظر توني إليها في دهشة .. كلمات آدم فاجأته كثيراً ، وهو يعلم أن الحديث في الأديان حديث شائك .. إلا أنه قال في صوت هادئ:

ليه يا آدم؟ ليه مش عايز ديانة أبوك وديانة عايدة؟

وقسم آدم قطعة من الشيكولاتة ، ثم قال بعد تردد قصير:

كل أصحابي يقولوا المسلمين وحشين .. أمي كمان كانت بتقول إن صلاح وحش لأنه مسلم .. أنا مش عايز أكون مسلم .. عايز أكون زيك وزي أمي وكل أصحابي .. مش عايز أكون أبداً زي صلاح يا عايدة ..

وعاد توني ينظر إلى وجه عايدة الذي تلون .. إنها المرة الأولى التي يتحدث فيها الصغير معنًا كرايته لأبيه ولديانة أبيه .. المرة الأولى التي يعلن فيها أن زوج عايدة وديانته شيء يكرهه آدم ، رغم أنه يتحدث عن والده وعن ديانته هو أيضًا .

ورمت عايدة بعينها إلى النهر لحظات ، ثم قالت:

طول عمرنا في مصر وفي العالم العربي كله بتقول إن العربيات الرولز أحسن وأقوي عربية .. أنا كنت أسمع إن اللي يركب رولز مش ممكن يحس بمطب أو يجاراله حاجة بسهولة .. لكن رغم كدا يا آدم في ناس كتير ماتت بحوادث ، وهي راكبة عربيات إنجليزي .. ياترى يصح نقول إن الرولز هي السبب ، أو نقول لو كان راكب عربية أمريكياني مش حيموت؟ أبداً العيب مش في العربية .. العيب في اللي سايقها .

صلاح والمسلمين اللي بيكذبوا ويسرقوا ويقتلوا كمان هما اللي أنت مش لازم تكون زيهم .. لكن الإسلام زيه زي المسيحية .. كلها أديان ربنا .. كلها يا آدم رسائل حب وسلام للأرض والبشر .. الإسلام دين مافيهوش غلظة ويطلب منا نبتعد عن الغلط .. وبرضه لما يغلط ، يقول توبوا وربنا

حياسعكم لو كانت ذنوبكم أكبر من النهر دا .. كون صلاح ما فهمش دا
ما يقاش عيب في الدين .. لا دا عيب في الشخص نفسه .

وعاد آدم يقول:

لا .. صلاح بيكذب على طول ويشتم ، ومستر عدنان ظلمني النهاردة
وعاقيني لأنني مارشست أفنن على صاحبي ، ولما قتلته إن الفتنة غلط قالي إن
الغلط الأكبر إني أخبي الحقيقة على المدرس .. عاقيني .. عارفة ليه ؟ مستر
عدنان دا أصله مسلم .. الإسلام هو اللي خلاه يظلم ويكذب زي صلاح ..

ومدت عابدة ذراعها لتحضن آدم في حنان قائلة:

أنا عمري كذبت .. عمري يا آدم .. صحابي اللي حكيتك عنهم عمرهم
كمان ما عملوا حاجة وحشة .. ماما هدى اللي ريتني بعد أمي ما ماتت
مسلمة ، وعملت كذا عشان الإسلام بيطلب متنا نساعد بعض .

صدقتي يا آدم الإسلام هو اللي انتظم بالمسلمين ..

وأطرق آدم برأسه لحظة ، ثم قال:

يعني أنت يا عابدة قعدتيني معاك عشان الإسلام .

وابتسمت عابدة ابتسامة صغيرة ثم قالت:

لا .. أنا قعدتلك وكنت مستعدة أخرج وراك ، لو صلاح مارشيش عشان
بيحك .. بس الإسلام هو اللي علمني الحب .. هو اللي عرفني قيمته .. آدم
من بكرة حاول تصلي معايا .. عارف إيا كل يوم حاعلمك آية من القرآن
وحاشر حها لك وشوف أنت كلام ربنا يقول إيه .. دا كل كلمة فيه كلمة
حب .

وبعد لحظات عاد آدم يقول:

يعني ربنا في الإسلام مش يقول للناس يقتلوا ويكذبوا ؟!

وعادت عابدة تقول بعد لحظة:

لا .. نصدق بقي يا آدم إن ربنا في الإسلام حلل الكذب .

وعقد توتي حاجبيه ، وهو يسمع كلمات عابدة ، التي عادت تكمل في
صوتها الرقيق قائلة:

ربنا حلل الكذب وطلبه من المسلمين في حالة واحدة .. لو حد حياذي
مسلم أو يقتله عشان هو مسلم .. ربنا يقول الكذب قول إني مش مسلم قول
إني كافر ومش بحب ربنا .. عارف ليه ؟ عشان يعيش .. عشان ما يتأذيش
وعارف ليه برضه ؟ عشان ربنا بيحبه .. بيحبه أكثر ما يحب إنه يقول إنه
مسلم .. ربنا دا حكاية حب كبيرة ، والإسلام هو سطورها وحروفها ..
من بُكره أنت تحصلني معايا ، ومن بُكره كل يوم حاقرا معاك سورة أو آية في
المصحف وأشرحها لك .

وابتسم توتي في فرحة صادقة .. إنه سعيد بعابدة .. سعيد بتقائها .. سعيد
بحبها لديانتها وثقتها فيها ، وقال في حنان:

دانا كمان يا عابدة عايز أسمع مع آدم .. كل يوم تقريلنا شوية من القرآن
وتشرحي .. على فكرة يا آدم ، أنا عندي كتاب بيتكلم عن الإسلام وعن
القرآن حاديهولك تقرأ .. أنا نفسي معجب بالإسلام جدًا .. زمان ما كنتش
معجب بالمسلمين ، لكن من يوم ما شفت عابدة وشفتك بقيت بحبهم .

وعادت عابدة تمسح على شعر آدم الناعم لتقول:

لو صلاح غلط هو وناس كتير مش فاهمة الإسلام صح .. واجبك انت
إنك تفهم وتخلي الناس تحبه .

من بُكره يا آدم اتفقنا ؟!

وقيل أن يجيب آدم ، صاح توني قائلًا:

بُكره لا يا عابدة إلا بُكره .. بُكره انتي وآدم معزومين عندي في البيت .

ورفعت عابدة عينها الخضراوين ، وقبل أن تعترض صاح توني:

أوعي تقولي كلمة .. بُكره عيد ميلاد بيتر حفيدي يا آدم اللي كلمتكم عنه .. كريستين مرالي كمان عابزة تشوفك .. زي دلوقتي ختلاقي هنا السواق بتاعي مستيتكم .. لاني حاكون في البيت .. اسمه بيل .

ورغم الحيرة التي كست وجه عابدة ، إلا أن سعادة آدم لم تدع لها كلمات سوى القبول ..

لم تكن تصور يومًا أنها ستدخل بيت توني ولكن لم لا .. إنها حقًا تحبه وتثق فيه .. مضت شهور طويلة على صداقتهم ، فلم التردد إذن .

وعاد آدم يتحدث مع توني ، يسأله عن بيتر وعن الحفل ، وإن كان هناك أطفال آخرون سواء ، وهل بإمكانه أن يلعب معهم .. كانت عابدة تسمع كلماتهم ولكن لم تكن تشارك بالحدث .. كان رأسها مشغولًا بأسئلة أخرى لا يعلمها توني أو آدم ..

عابدة كانت تفكر من أين تأتي بنقود تشتري بها هدية لبيتر .. وأيضًا كانت تفكر في قضية أكبر .. عابدة كانت تسأل هل تحب «صلاح» أم تكتم عنه الخبر .. إنها لم تحب «صلاح» يومًا عن توني ولا حتى آدم أخيره .. هناك اتفاق صامت قام بين عابدة وآدم .. اتفاق يقول إنه لا مكان لصلاح أبدًا في قصصهم .. في أحاديثهم واتفاقاتهم .. آدم لا يتحدث مع صلاح إلا نادرًا ، وصلاح لا يجاوبه إلا إذا كان يصرخ في وجهه ، إن وجده بداخل الحمام يومًا ، أو رآه يشاهد التلفزيون في عطلة نهاية الأسبوع .. وحدها عابدة التي تطلب منه أن يريه واجباته وتقاريره الدراسية ليوقها صلاح بنفسه .. كانت

تتمنى لو يشعر صلاح بتفوق آدم الدراسي ، علّه يفخر به ويخبره عليه ، إلا أن أمانيها ذهبت أدراج الرياح .. صلاح ألقى منذ شهور تقرير المدرسة الرائع في وجهه ، وأقسم أنه سيمزقه في المرة القادمة .. صلاح لا يهتم كثيرًا أو قليلًا أن يرى أو يكتب أي شيء له علاقة بآدم .. قال له يومها إنه يكفي عابدة لتكتب ولتقرأ معه ما شامت ، وليتعدوا جميعًا عن طريقه .

صلاح يزداد فدانة معهم كل يوم .. وكأنه يجن أكثر ، كلها رأى عابدة تلتصق بآدم وتحبه أكثر ..

كأنها ليست زوجته ، وكأنه ليس أبدًا ابنه الوحيد!

وأفاقت عابدة على صوت آدم ، وهو يقول:

عابدة .. أنت مش سامعة توني يقول إيه؟

ابتسمت عابدة كأنها تعتذر لتسمع توني يقول:

لازم أرجع المستشفى حالًا .. في حالة طارئة ..

عابدة أنا مش عارف أشكرك قد إيه .. أنا حقيقي استمتعت جدًا بكلامك عن الإسلام!

وقبل أن يمضي ، عاد يقول:

بُكره الساعة اتنين الظهر بيل حبيبي ياخداكم من هنا ..

ما تتأخروش!!

ومضى توني وعادت عابدة تفكر!

ولم ترد عابدة، إلا أن «صلاح» أخرج لها بعض الجنيئات ليلقيها على المائدة قائلاً:

مصروف الأسبوع .. حاولي تأكليتنا كويس .. أنا نازل .

قبل أن يمضي التفت لينظر إلى وجه آدم مرة أخرى ، ثم سأله:

هي أمك ما ظهرتش؟!

ورفع آدم وجهه لينظر إلى صلاح ، في ألم ، لتقول عابدة في رنة لوم:

حتظهر إزاي بس يا صلاح .. هو فيه إيه؟

ومضى صلاح إلى باب البيت ، وهو يتمتم بكلماته اليومية الغاضبة ، والتي كثيراً ما تشكر عابدة ربه ؛ لأنه دوماً يقولها بالعربية ..

ونفضت عابدة عن مقعدها ، بعد أن صفق صلاح الباب خلفه لثمضي وتجلس إلى جوار آدم ..

كان آدم مازال حزيناً بعد كلمات صلاح .. كان دوماً يشعر أن «صلاح» يبين أمه ، ويتحدث عنها بطريقة دنية . ورغم أنه لا يفهم كلماته العربية ، لكنه كان يشعر بذلك ويشعر به أكثر عندما يرى عابدة تتألم .. وشعر بلراعي عابدة يلتفتان حول كنفه الصغيرين ، ولم يستطع أن يقاوم .. سقطت دموعه ليلقي برأسه على صدرها قائلاً:

ماما وحشتني جداً يا عابدة .. تفتكري حاشوفها ثاني؟!

وانحنحت عابدة تقبل رأسه الصغير قائلة:

أكيد يا آدم .. ما فيش أم تستحمل بُعد ابنها .. أكيد حترجع ..

ورفع الصغير عينيه ليقول:

عابدة .. أنا أمي ماسافرتش وسابتي .. ماما بتحبني .. أنت ما تعرفيش الحكاية .

نظرت عابدة في هدوء إلى وجه صلاح ، الذي كان يرتشف كوب الشاي ، وهو يرمقها بعينه .. كان واضحاً أنه يشعر أن لديها شيئاً ما تريد قوله .. حتى آدم كان يرقبه من على الأريكة ، التي يجلس عليها ، وكان شيئاً ما يدور في رأسه ، ويعد لحظات من الصمت قال:

إيه .. حتمعلوا إيه النهاردة؟!

وابتسمت عابدة ابتسامة صغيرة ، نظرت بعدها إلى وجه آدم قائلة:

آدم معزوم على عيد ميلاد وأنا حاوديه .

وحلق صلاح في وجه آدم ، الذي أرخى وجهه ليعيث في جهازه الصغير ، الذي لا يفارق أصابعه ، مادام صلاح في البيت ؛ ليسأله صلاح في تهكم:

بقالك صحاب ويعزموك .. دا فين دا؟!

ورفع آدم وجهه ينظر إلى عابدة كأنه يستغيث بها .. هو لا يعلم ما الشيء الذي يمكن أن يقوله ، دون أن يثير غضب صلاح ، وعادت عابدة تقول:

في تشيلسي .. أنت عارف معظم الولاد اللي معاه ساكتين هناك ..

وألقي صلاح بكوب الشاي من يده على المنضدة السوداء ليقف قائلاً:

كل ويك ليند تخرجوا وكمان أعياد ميلاد .. والله فلوسك كترت يا عابدة .. هو شودري رفع ماهيتك!

وفي هدوء ، أرخت عابدة ذراعها من حوله لتنظر في عينيه ، وقالت في ذهول :

إيه 19 مانتك لسه هنا في إنجلترا .. إيه الحكاية يا آدم ..

كان آدم أفاق على أسئلة عابدة .. كأنه أفاق وتذكر ما قاله ، والذي ما كان من المفروض أن يقول .. فأرغى عينيه من جديد ليقول :

مش حافدر أقول حاجة .. أنا وعدتها .. مامي حترجع باعابدة .. حترجع وتاخذني من هنا ..

وضمته عابدة في لفة .. يؤلمها أن تعود .. يؤلمها كثيرًا أن يرحل آدم .. يؤلمها .. ولكن عابدة اعتادت أن تكون أكثر الأشياء التي تؤلمها هي أكثر الأشياء التي يتناها ويسعى إليها كل من تحب ، وفي هدوء قالت :

آدم .. لو في أي وقت عايز تقوللي أو حتى عايزني آخدك عندها أو أكلمها .. تأكد أني مش متأخر .. أنا عايزاك تبقى سعيد ، وعارفة إن مافيش حاجة تسعد قد حضن الأم ..

وأغمض آدم عينيه من جديد .. إنه لا يعلم .. إنه ممزق يتمنى لو يغير عابدة ، ولكنه أبدًا لن يخلد ماري أمه .. لن يحنث بقسمه لها .

ماري ستعود .. وعاد آدم يفتح عينيه ، لينظر إلى عيني عابدة الجميلة في خوف واضح .. لبتة لم يجبها كل هذا الحب .. إن عودة ماري تعني فراق عابدة .. هو لا يريد أن يفارق عابدة ، ولكنه أيضًا لا يريد أن يجرم من ماري .

ورأت عابدة في عينيه الخوف ، كأنها فهمت ما يدور في رأسه الصغير .. كأنها شعرت أن ذلك الألم يشق صدرها ممتًا .

فقالَتْ بابتسامة صغيرة مكسورة :

تعال نسي كل حاجة دلوقتي .. قوم نشوف حنبلِس إيه ، مش عايزين تتأخر على توني .. يلا يا آدم .

بعد أن أنهت عابدة أعمال المنزل جميعها ، أخبرت آدم أن الموعد حان ليستعدا .

ونفض آدم ليتبع عابدة ، وهي تدخل غرفة البيت الوحيدة حيث وقفت تعبت في ملابسه .. إنها جميلًا نظيفة لكنها بسيطة .. كم تمنى لو تشتري له ثيابًا أغل ما يملك ، ولكن ما عاسها تصنع .. إنها أقل حيلة منه .. واختارت له عابدة بنطلونًا من الجينز الأزرق وتي شيرت بيضاء .. مازالوا في أوائل يوليو ومازال الجو دافئًا ، رغم نسائم المساء الباردة ، ووقفت عابدة لحظة تفكر في كلمات آدم عن والدته .. هل تنوي ماري العودة حقًا لأخذ .. واستدارت تنظر إلى آدم في لوعة ، تمنى لو تعلم منه الحقيقة .. لن تحتمل فراقه أبدًا ، لكنها عادت ترخي عينها في صمت .. هي تعلم أنها إن أخت قد يجرها ، ولكن يجب أن تساعد على الاحتفاظ بوعده الذي قطعه لأمه .. لا داعي أبدًا ، لأن تتعجل عابدة الألم .. فليأتها الألم في موعده .

وأخرجت لنفسها ثوبًا أسود ، عليه دوائر صغيرة بيضاء وفي نهايته شريط من الكروشيه الأبيض الرقيق ، وطلبت من آدم أن يرتدي ملابسه ، ثم عادت تخلع ملابسها لترتدي الثوب ، الذي وقف على كتفها بقصة صدره المربعة .. الثوب لا أكمام له ، ويقف على جسدها بشريط عريض من الكروشيه الأبيض كذلك الذي يلف حول ذيله ، والذي يقف على حدود ركبتيها البيضاء الجميلة .. ومشطت عابدة شعرها الناعم ، ثم وضعت مسحة من لون وردى على خديها ، ومرت بقلم شفاهها الوردي على شفاهها المكتنزة .. إنها جميلة .. وفراعاها البيضاءوان العاريتان أيضًا جميلتان .. لم لا يرى صلاح جمالها أو يقره .. لا يمكن أبدًا أن تكون مرآتها كاذبة .. إنها حقًا جميلة ..

شهقة صغيرة خرجت من شفتي عابدة، عندما رأيت بيل يفتح لها باب البتلي السوداء .. كانت تعلم أن توني ثريًا .. عمله كجراح كبير في أحد أكبر مستشفيات تشيلسي يجعل منه ثريًا .. ملابسه الأنيقة والتي تحمل دومًا علامات وحروفًا صغيرة لبيوت أزياء كبيرة أيضًا كانت تعلن ثراه، ولكنها لم تكن تتخيل أنه يمتلك البتلي، وأن يكون لديه أيضًا سائق مثل بيل، الذي كان يبدو في قمة الأناقة والرسمية .

وأشار بيل بيده الموضوعة في قفازات بيضاء نظيفة إلى آدم بالدخول إلى جوار عابدة من الباب الخلفي، إلا أن آدم قفز من الباب ذاته الذي دخلت منه عابدة، ليغلق خلفها بيل الباب في ابتسامة صغيرة .

كانت عابدة ترقب بعينها الشوارع التي أخذت السيارة تطويها .. كل شيء أنيق جميل .. حداثق كثيرة أمام كل البيوت التي مشت أمامها السيارة ..

أشجار كثيفة عالية وأزهار ملونة جميلة .. كل شيء في تشيلسي يقول إنهم حقًا في إنجلترا .. إنهم حقًا في أوروبا .. مضى أكثر من عام على عابدة في لندن، ولم تخرج فيه من حي ناين إنز المرير، إلا إلى حي تشيلسي في المتنزه الذي تنتظر فيه آدم كل يوم .. إنها حقًا تتمنى لو تذهب إلى كل الأماكن، التي قرأت وسمعت عنها، ولكنها دومًا تفكر في النقود التي ستحتاجها للمواصلات إلى أي مكان .. إن قروشها قليلة وأعباءها كثيرة، وصلاحي أصبح ينفذها كل أسبوع بشاتين جيتيها فقط، تضعهم عابدة على المائة

عينها العميقتان، والثلاث تظل من داخلها دومًا دهشة كدهشة نظرات الأطفال .. حاجباها معتدلا الكثافة .. جيتيها الملالية وغاية خدها الأيسر العميقة .. هل يرى صلاح كل هذا قبحًا، يبيع له قسوة معاملته لها .. لا .. إن لقسوة صلاح أسبابًا أخرى .. وشعرت بكفه تهر كفه كعادته، وعادت تنظر إلى وجه آدم الرقيق الجميل، وتنهدت عابدة كأنها تلوم نفسها .. إن كان صلاح لم ير أو يشعر بجمال هذا الصغير، الذي هو قطعة منه، فكيف كان يمكنه أن يشعر بعابدة أو جمالها .. وانحنت تخرج سبادريل أبيض، وضعت عابدة قدميها فيه، وأخرجت لأدم حذاءه الجلدي الأسود، الذي جاء به مع أمه .. وحين اختفى آدم بعيدًا ليرتديه، عادت عابدة تنظر إلى المرأة، وهي تمشط شعرها، الذي يعلو فوق رأسها، ثم يقف على نهايات عنتها .

إنها بحاجة إلى زيارة كوافير، ولكن مازالت لاتعلم كيف توفر ثمنه .. بالأمس استدلت جيتيها من شودري ليخصمها من حساب الأسبوع القادم، واشترت بها لعبة صغيرة لبيتر .. وعادت عابدة ترتدي قرطًا من جبة لؤلؤ صغيرة، على كل أذن، ورشت زخات من قوارير عطرها القديمة .

وسحبت من صدرها نفسًا عميقًا، وهي تنظر إلى آدم الذي عاد يقف أمامها وهي تبسم .. إنه أجمل منها وهي أيضًا أجمل منه، ولكن كلاهما في صدره خوف وحزن لا يعلمها أحد ..

وأخرجت حقيبتها، التي خبأت فيها هدية بيتر، وأمسكت بكف آدم بين أصابعها البيضاء الرقيقة، وأغلقت مفتاح الضوء، وسارت معه إلى جسر تشيلسي استعدادًا لموعده توني وحفيده بيتر .

التي يمنحها إياها شودي ، وبالكاد تكفي طعامهم وشرابهم وثمان تنظيف
ملابسهم الأسبوعي .

أفاقها صوت آدم ، وهو يمز كفها كعادته قائلاً:

عايدة .. وصلنا .. شوفي توني عايش فين؟!

وأسرع بيل يفتح لها باب السيارة ، لهبط منها عايدة ، وهي تنظر حولها
في ذهول .. البيت كبير ويكاد يكون قصرًا .. وحوله حديقة كبيرة حتى
السيارات القليلة ، التي تقف أمام يابه لا تقل جمالًا عن سيارة توني .

إنها لا تصدق أن توني بهذا الثراء أبدًا .. ورفعت عينيها تنظر إلى بيل ،
وشكرته في عبارات رقيقة كثيرة .

ابتسم لها بعدما بيل في صفاء ، وهو يقودها إلى داخل الحديقة ، التي
كانت تضج بصياح أطفال وهوهم .. وفي الطريق ، كانت عايدة تنظر من
جديد إلى ملابس آدم البسيطة ، وإلى الهدية الصغيرة التي كانت تضعها بين
أصابعها ، وشعرت بخجل شديد يجتاح رأسها حتى أنها فكرت أن تعود ،
ولكن كيف تشرح لأدم ما يدور برأسها .. وأفاقها آدم بصياحه:

توني .. هاي .

وأقبل توني يضم آدم في حنان ، وهو يصيح:

بيتر .. بيتر تعال .. آدم وصل .

وأطل بيتر .. تعلم عايدة أنه في حوالي الثانية عشرة من عمره .. لكنه
بدا في عيني عايدة في سن آدم .. جسده النحيل ونظاراته المستديرة الصغيرة
وشعره الأشقر الناعم .. فيه الكثير من جمال آدم وبراءته .

وقف بيتر يصافح آدم ، واقتربت عايدة منه في حنان ، وهي تراه ينظر إليها
من خلف نظارته الصغيرة في ذهول كبير ، لا تعلم سره إلا أنها مدت يدها

إليه بتلك السيارة الصغيرة الرخيصة ، التي استأثرت ثمنها من شودي ،
وقالت في صوتها الرقيق:

كل سنة وأنت طيب يا بيتر .. أنا وآدم جينا حاجة صغيرة .

وقبل أن يجيب وقبل أن يفتحها .. انحنت عايدة عليه تضمه إلى صدرها ،
وشعرت به يضمها ويشكرها في أدب كبير ..

وصاح آدم مشيرًا إلى بعض الألعاب الموضوعة في فناء المنزل ، وأخذته
بيتر بعيدًا عن عايدة ، التي أمسك توني بيدها ، وسار بها إلى داخل البيت
الكبير ، وهو يقول:

شكرا يا عايدة إنك جيت آدم وجيتي .. تعالي .. تعالي .. أعرفك
بكريستين .

هذه المرة كانت شهقة عايدة أكبر .. كانت شهقة لم تستطع أن تكتمها في
صدرها ، عندما وقفت في بيو البيت ، تنظر وتنتظر استدعاء توني لزوجته ..
البيت رائع .. كل ما فيه من الخشب الإنجليزي القديم ، حتى أرضياته من
خشب الأرو وكل أقمشته من اللون الأبيض .. واجهة الرئيسين كلها من
الزجاج الملعل على حديقة البيت الخلفية ، والتي يتوسطها حمام سباحة كبير
جداً ، يطله الكثير من شجر رائع ، تشل منه زهرات صغيرة بيضاء كأزهار
الشمس التي تعشقها عايدة .

وقالت في خجل ، وهي تراه إلى جوارها من جديد:

بيتك حلو قوي يا توني ..

وقبل أن يجيب ، ارتطمت عينا عايدة بطاولة مستديرة عليها بعض من
إطارات فضية رأت بداخلها صورًا وقفت عيناها على إحداها في ذهول ..
إنه وجه لشابة تشبه عايدة إلى حد كبير .. وقبل أن تسأل عايدة أو حتى تفتح

شفتيها بكلمة ، سمعت صوتًا يصبح قائلًا:

عابدة .. مش كذا؟

والثفت عابدة تنظر لتجد سيدة أنيقة ، ترتدي بظلوًا حريريًا من اللون الكريم ، وعليه قميص من لون أحمر داكن .. إنها جميلة وشعرها أنيق مصفف بعناية كبيرة .. إلا أن المرأة وقفت ترقب عابدة ، وغللال دمعة ترقص في عينيها .. وقال توني في هدوء:

كريستين مراي!

واقتربت كريستين بكفها من عابدة تصافحها ، ثم قالت وهي تنظر إلى حيث كانت عابدة تنظر ، ثم قالت:

توني قال لي أنك تشبهي سيلفيا كثير ، بس ماكتش الخيل إنه للدرجة دي .. وصافحتها عابدة ، وهي تحاول أن تفهم ، إلا أن توني عاد يعمل الصورة ذاتها ، التي كانت عابدة ترقبها بين يديه ، ثم قال:

أنا ما حكتش لعابدة .. دي صورة سيلفيا بنتي الوحيدة .. تخيل أنت من الشرق .. من آخر الدنيا وتشبهها قد إيه .

وايشتت عابدة في خجل ، وهي تمسك بالصورة بين يديها .. الشابة جميلة وجهها يشبه حقًا وجه عابدة ، وبها كانت عيناها لها لون آخر ، وبها كان أنفها ليس دقيقًا كأنف عابدة ، ولكن شيئًا ما في الوجهين يقول إن هناك تشابهًا ما .. وبها كانت النظرة العميقة .. وبها كان الشعر الداكن القصير ، ولكن لا أحد يخطئ الشبه .. وعادت عابدة تقول في رقتها:

أنا سعيدة جدًا بمعرفت كريستين ، وسعيدة كما إنني شبه سيلفيا .. هي

في 19

ورفعت كريستين عينيها إلى توني في لوم ليقول بسرعة:

سيلفيا ... سيلفيا ماتت يا عابدة ، وهي بتولد بيتر .

وفي ألم كبير ، قالت عابدة ، وهي تري كريستين تغمض عينيها في ألم:

أنا أسفة .. أسفة جدًا .. أنا السبب في إني فكرتكم ..

وانحنى تعيد الصورة إلى مكانها ، وشعرت بذراع كريستين تلتف حول كتفيها في حنان لتقول:

ما تتأسفش .. لا عمرنا نسيان ولا عمر الألم فارقنا .. بالعكس .. توني من ساعة ما عرفك ، وهو بيتكلم عنك بفرحة وحماس .. أنا ما كنتش أعرف أبدًا إنه عنده حق .. تعالي .. تعالي ..

وتحولت عابدة في المنزل ، وتحدثت إلى الكثيرين من ضيوفه ، ورأت على البعد آدم ، وهو يلعب بمرح كبير مع بيتر وأصدقائه ، وشعرت بالدفء .. شعرت للمرة الأولى منذ عام أنها في بيت .. بيت كبيت عبدالمعتم شيرازي .. بيت يضم قصصًا وذكريات .. بيت له جذران دافئة .

وأطرقت عابدة برأسها تفكر ، عندما غابت عنها كريستين لتضع اللمسات الأخيرة على بوفيه الطعام الكبير .. أطرقت عابدة برأسها تفكر .. من قال إن الغرب لا قلب له .. من قال إنهم بلا مشاعر أو حب .. من قال إن بيوتهم لا حنان فيها ولا ذكريات .. إن كريستين ذكرتها بهدي وتوني يذكرها بمنعم .. حتى زوارهم يتبادلون الأحاديث والمشاعر في دفء كبير .. الغرب ليس قطعة جليد .. لو كانوا حقًا لما أصبحوا بهذا النجاح .

الحب والدفء وحدهما يصنعان النجاح .. الجليد بدأ يغزو بيوتنا نحن ، ولغنا أيضًا بدأ يغزوها الفشل والانحلال .

هل رأيت حُبًا كهذا في بيت عمها طلعت .. هل رأيت دفنًا كهذا في بيت
صلاح رفاعي .. هل تدور بينهم أحاديث وقششات ونكات كهذه التي
سمعتها هنا؟

أبتًا .. الجليليد بدأ يمزو رؤوس العرب ويبتهم ، ولذا هجرها الحب
وفارقها النجاح!

اتحنى هاشم يفلق حقيقته في تعجل كبير ، وقبل أن يعتدل واقفًا ، سمع
أمه هدى نجيش في البكاء ، واستدار ينظر إليها في لغة كبيرة ، ثم قال في
عتاب:

ليه كذا؟!

أسرع نحوها يضمها إلى صدره في حنان ، ثم عاد يقول:

دول عشرة أيام .. طب مش قتلتك تعالي معايا .

وضغطت هدى على ظهره بلذاعبها بكل قوتها ، وهي تهمس من بين
دموعها:

ساعني يا حبيبي .. ساعني .. سافر واتبسط ، وطنمي على عائدة يا هاشم
.. أنت برضه مش عايزنا نقولها إنك رايح .

ويهدوه عاد هاشم يهدى ليجلسها على فراشه ، ثم قال في حنان:

باروح هاشم وقلبه .. إهدي أنت الأول بس .. عايز أعملها مفاجأة .. أنا
مش فاهم انت ليه مارضيتش تبيجي معايا بس ..

ونظرت هدى إليه ، وقالت ، وهي تحاول أن يخرج صوتها أكثر هدوءًا:

من أول ما دخلت الجامعة وأنت عايز تسافر أوروبا لوحلك ، وإحنا
وعندناك نكون الرحلة دي هدبة نخرجك .. إن شاء الله في الشتا نروح كلنا
نقضي رأس السنة في باريس ، ونعزم عائدة وجوزها كيان زي ما اتفقنا
بس برضه زي ما اتفقنا .. تكون أنت كيان استقريت في شغلك مع باباك

وسجلت ماجستير وخطبت .. خطبت يا هاشم .. مش أنت واقفت برضه
عل شهيرة بنت كمال يه؟!

وابتمس هاشم في هدوء ، بعد أن أوما رأسه بالإيجاب لسمعها تقول:
خطبت السي دي بتاع حفلة التخرج بتاعتك في الشنطة يا هاشم .. آه
والسي دي بتاعة مختار ابن دينا .

وقبل أن يجيب ، قالت هدى ، وهي تغمحه مظهرًا صغيرًا:

قل لعابدة ألف جنيه أسترليني مني والألف الثانية من منعم .

أوعى تكون نسيت الحاجات اللي دينا اشتريتهم ليها ولأدم؟!

هاشم عشان خاطري خذ بالك من ووحك .. اسمع ..

ووضع هاشم كفه على شفتيها ليقول:

اسمعي انتي .. كل حاجة خدتها وكل حاجة تمام .. انتي بس ما تقلقيش
وما تخافيش .. وعد؟!

وعادت تلقي رأسها على صدره .. كيف تعده؟!

كيف يمكن أن يحيا إنسان وقلبه بعيد عن صدره .. كيف يمكن أن
تستكين أم وروحها تعلق وحدها بعيدًا في أرض بلد بعيدة ، ولكن «هاشم»
لم يعد طفلًا؟!

منذ لحظة إعلان نتيجة الجامعة ، ومنذ تلك اللحظة التي دخل عليها فيها
شعلًا نجاحه وحصوله على تقدير «جيد جدًا» ، وهي تحلم به بمسك بلذراع
شهيرة .. لقد وعددها بأن يلدهوا لحببتها بعد عودته من رحلته .. وعددها
هاشم وهي تعلم أن «هاشم» لا يتخلف وعدًا أبدًا .. وتنهدت هدى ، وهي
تقبّل صدره بشفتيها الملقة عليه .. هدا كل شيء .. شفي هاشم من ذاك
الوهم الكبير .. وإلا ما كان نجح بتفوق .. شفي هاشم وإلا ما قبل الزواج

.. نعم شفي هاشم ، وقربنا سترى أبناءه ، وقالت في حنان:

هاشم .. إنت قبلت أجواز عشانى ولا عشان خلاص .. يعني الموضوع
القديم .. موضوع ..

وأبعدها هاشم عن جسده في رفق ، ووضع كفه الأبيض تحت ذقنها
ليقول في هدوء ، رغم المראה التي كست وجهه :

أنا نجحت لأنى لازم أنجح .. ونزلت مكتب بابا ، وحارّج أكل شغل
فيه لأن دا مستقبل .. وحاجوز لأن دي الحياة .

وفي تردد وكأنها تطرق بابًا تكره أن تطرقه ، لكنها تمنى أن تفعل ، ولو
لمرة واحدة أخيرة ، قالت هدى:

موضوع عابدة القديم .

قاطعها هاشم قائلاً:

القديم يا مامي .. القديم .. خلينا في الجديد أحسن ..

وقالت هدى:

عندك حق .. الجديد أحسن .. الجديد هو الأستاذ هاشم شيرازي ..

الجديد هو شهيرة .. الجديد هو الصبح .. هو الحياة .

وبعض هاشم ليحمل حقيته قائلاً:

يللا .. عشان ما نتأخرش .. أنا حارّج أسلم على دينا وحسن وأبوس

«مختار» ..

وضمته هدى في حنان لتغمض عينها ، وهي تحلم بأن يعود هاشم

ويتزوج شهيرة ؛ لتحمل هي أيضًا حفيدًا منه بين ذراعيها ، قبل أن ترحل
أو تنفقد وعيها .

وفي جفائه الذي اعتادته ، وفي وقاحة كبرى ، أزعج صلاح الغطاء عن جسده لينهض ، وهو يصرخ قاتلاً :

لأمش بممكن .. الست الي ما تعرفش تدبر أمورها نجوع أحسن .

ونفضت عابدة عن الفراش لتقول قبل أن تتجه إلى خارج الغرفة :

أنا مش عايزة حاجة .. أنا عشانك وعشان آدم .

وقبل أن تصل إلى باب الغرفة ، أمسك صلاح بذراعها في قسوة ليقول :

أنا مش حاتسم في البيت اليومين دول .. خلاص ارتحت يا عابدة ..

وأطلقت عابدة ذراعها من كفه بصعوبة ، ودون أن تنبس شفاهاها بكلمة انتهت إلى آدم ، الذي كان واقفاً في انتظارها ، وهو يحمل حقيبته المدرسية لتأخذه وتخرج معه ليسيراً معاً حتى بداية الجسر ..

كانت عابدة تأنه حزينه .. أكثر من عام ، وهي تحاول مع صلاح .. عام وهي مازالت لا تعترف لنفسها بكرهه .. عام وهي تغير نفسها كل يوم أنها يجب أن تشكره .. صلاح جمع رفاقها من تحت أقدام عصا طلعت ، ولكن ألم يبعد صلاح في هذا العام شيئاً واحداً يجعله لا يقسو عليها .. شيئاً واحداً يجعله أكثر رحمة بها .. وابتلعت دموعه شعرت بها تصارع للهرب من عينيها ، وشعرت بكفه تهز كنفها وسمعته ، يقول :

نفسى أتعلم عربي يا عابدة .. عشان أعرف «صلاح» بيزعقلك كل يوم ليه ..

وابتسمت عابدة ابتسامة صغيرة ، وهي تقول بصوتها الداعم :

انت بتعلم يا آدم .. أنت بقيت بتقرا الفاتحة والإخلاص .

لكنه عاد يقول :

فيه إيه يا عابدة .. كان بيزعق ليه إيه ؟

نظرت عابدة إلى وجه صلاح النائم في حزن كبير .. يجب أن توقفه ، قبل أن تخرج بآدم إلى المدرسة .. يجب أن تخبره أنه لا يوجد طعام في البيت ، وأنه لن يجد شيئاً عند عودته .. لم يعد باستطاعتها أن تستدين من شودري ..

هل تذهب إلى البنك لتأخذ من النقود الباقية ؟ لا تعلم .. بل هي تعلم لكنها لا تريد .. يجب أن تنسى تلك النقود .. تلك النقود للطوارئ .. للأموال الكبيرة .. أليس هو رجل البيت .. يجب أن تخبره .. فليمنحها أي مبلغ صغير أو فليحضر شيئاً يأكله هذا المساء .. شيئاً صغيراً له ولآدم .. عابدة يمكنها أن تكتفي بقطعة الجبن المقلقة على رف التلاجة .. بل قد تأكل اليوم الوجبة الصغيرة التي يمنحها شودري لمن يعملون معه في المقهى .

وانحنحت تجلس إلى جوار صلاح ، لتمد كنفها تربت على ظهره ، وعندما بدأ يفتح عينيه ، قالت في صوت خفيض متردد :

صباح الخير يا صلاح .. أنا نازلة أوصل آدم المدرسة .. صلاح .. الفلوس خلصت ، وأنا حاقبض بعد بكرة ..

وفتح صلاح عينيه ليقول لها :

يعني إيه ؟

وفي حجل كبير ، قالت :

ما فيش أكل النهاردة يا صلاح .. أنا مش عازفة أعمل إيه النهاردة وبكره .. لو ممكن .

ونظرت عابدة إلى ساعة يدها ، ثم قالت:

ما فيش يا آدم .. ما تشغلش بالك إنت .. يلا عشان ما تأخرش .. اركب العجلة وعدي الكوبري ، ولا أقولك أنا كيان حاعدي معاك .. حاروح مشوار في تشيلي .

مازال امامها بعض الوقت .. لا مفر .. يجب أن تذهب إلى البنك .. ستحضر عشرين جنيهًا استرليًا فقط .. لن تستدين ، ولن تدع آدم أبدًا يشعر بما يحدث .

في نهاية الجسر وقفت عابدة لحظات تنظر إلى آدم وإلى السماء .. إنها تشعر بشيء غريب لم تشعر به من قبل .. عابدة تشعر بعاصفة كبيرة توشك أن تهب .. تشعر بصوت يحاول أن يصرخ بداخلها .. صوت له فحيح لم تعهده بين جنبات ضلوعها من قبل .. عابدة تشعر أنها تريد أن تبكي .. أن تصرخ بل هي تشعر أن أنفاسها تضيق ، وقلبها يهتق في صدرها .

اتحتت تقبل آدم لتخبره أنها لن تكمل معه في تشيلي ، لأنها تذكرت شيئًا مهمًا ، يجب أن تعود من أجله إلى ناين إلز .

واعتل آدم دراجته ليلوح لها بكفه الأبيض الصغير ، على وعد اللقاء في المنتزه مع توني بعد المدرسة .

لوحث له عابدة وهي تتعجل رحيله .. تريده أن يذهب .. تريده أن يغيب عنها .. لا تريد آدم أبدًا أن يشعر بما يدور في داخلها .. ويخطئ مترنحة خائفة سارت عابدة إلى المنتزه لتجلس على المقعد ذاته المواجه للنهر ، وأرخت رأسها كأنها تحاول أن تتسلل بعينيهما إلى جوفها .. كأنها حقًا تحاول أن تصغي إلى الفحيح الذي يدور في ضلوعها .. الصوت يصيح في جنون يسأها:

لماذا تذهب إلى البنك .. الصوت يسأها : لماذا تهتم بآدم وترعاه ، وهي تعلم أنه سيركها ، وأن أمه ستعود يومًا لاصطحابه؟

الصوت يسأها لماذا تعمل بكل هذا الصبر ، وهذا التفاني في مهنة شردري العجوز؟

الصوت يصرخ .. لماذا تحمل هذا الفلاح الجاهل ، الذي يعاملها كخادمة طوال النهار ، وكعاهرة متى شاء في المساء ..

الصوت يصيح ويغيرها أنها حقاء غبية .. الصوت يبكي ، وهو يسأها كيف ترضى أن تكون زوجة ، وهي تشعر أنها ما زالت عذراء ..

نعم امرأة لم تحس شفاهها .. امرأة لم تحتضنها ذراعان .. امرأة لم تشعر بجسد رجل ، هي عذراء يفتصبها أحق في الظلام .

لماذا تحمل؟ لماذا تصبر؟

ووضعت عابدة كفيها على أذنيها في جنون .. لا تريد أن تسمع .. لا تريد أبدًا أن تصغي .. لا تريد أن ترى طهارتها تتحول إلى شر .

عابدة تصبر لأن الصبر فضيلة .. عابدة تحمل لأنها نقية .. عابدة تنفق قروشها التي تعمل بها على آدم لأنها تحبه .

لا ، هي تفعل لأنه يحبها .. نعم .. يحبها .. عابدة تعمل عند الباكستاني العجوز ، وفي مقهاا التهاالك بكل هذا الإخلاص لأنه وثق بها .. لأنه معها وحدها يصبح أكثر هدوءًا واحترامًا .. عابدة تحمل «صلاح» لأنه جاهل كبير .. جاهل لا يعلم ما تعنيه كلمة الحب .

عابدة لن تصبح مثله .. عابدة نشأت على الحب ، ومن أجله ستبقى كما كانت ، وكما تحب أن تكون .. هل تحزن على النقود .. هل هي تبكي على الأوراق؟ الأوراق لا تتأزرر .. الأوراق لا تساند .. الأوراق لا تمنح الدع أو تحفقه .

حب آدم يفعل .. ثقة شودي تفعل .. صداقة توني لما تفعل .. واحترام
سكان الخي لما أيضًا يفعل .

وعادت تنظر إلى النهر من خلف دموعها الكثيفة .. لن يميزها الصوت
.. الأمل قادم .. ستحاول الحصول على عمل بأجر أكبر .. عندما يحدث هذا
قد يبدأ الجميع .. حتى صلاح قد يبدأ ويسعد .. قد يحبها .. قد يضمها .. قد
تشعر يومًا أنها حقًا أصبحت زوجة وامرأة .

ونظرت عائدة إلى ساعتها .. مضى الوقت .. ستعود إلى عملها ، وعند
عودها لاصطحاب آدم ستذهب إلى البنك .. ستحضر أكثر من عشرين
جنيهاً .. ستدعو آدم إلى تناول شيء يجه ، وستعود أيضًا بشيء صغير إلى
صلاح .. لن تدع الصوت يميزها .. بالصبر والحب ستهمز هي كل الشرور .



رفع شودي عينه السماوين الضيقتين لينظر إلى عائدة ، وهي تلقي
عليه التحية في هدوء .. إنه يحب هذه الشابة الأنيقة الطيبة .. لكنه حزين
عليها .. يشعر أنها حقًا تستحق شيئًا أفضل كثيرًا عما هي فيه .. وابتسم
شودي ابتسامة صغيرة مريرة .. هو أيضًا كان يستحق شيئًا أفضل عما هو
عليه .. يوم جاء إلى إنجلترا منذ أربعين عامًا ، كان يظن أنه سيحقق شيئًا
أفضل مما هو عليه ، ولكن ها هو ينتهي في مقهى صغير متهالك في حي قديم
مويو ، يحيا شيخوخته وحيدًا لا زوجة ولا أبناء .

وعاد شودي يرقب عائدة بعينه في حنان .. هل ينتهي بهذه الشابة العمر
هنا مثله ؟

هل هذا هو حقًا مصير كل الأتقياء .. ولماذا هذا هو دومًا مصيرهم ؟
في الثالثة ، كانت عائدة تقف أمام امرأة حمام المقهى تنظر إلى وجهها ..
ما زالت آثار صراع الصباح بادية على ملامحها .. وأغمضت عينها كأنها
تدعو الله ألا يحدث ما حدث هذا الصباح مرة أخرى .. صعب .. صعب ..
جدًا أن تشعر بالغضب من نفسها .. صعب جدًّا أن تشعر بالراءء على نقانك
.. صعب جدًّا أن تشعر بالرفض يولد في أعماقك .. من قال إن الكراهية
أسهل من الحب والتسامح .. الكراهية أمر صعب لا تريد عائدة أبدًا أن
تسلك طريقه ..

وعادت عابدة تنظر إلى المرأة ، وهي تشد قميصها الأحمر على جسدها ..
ونظرت إلى بنطلون الجينز الأزرق الذي ترتديه .. رغم بساطة ما ترتديه إلا
أنها أتقة .

ووضعت أصابعها في خصلات شعرها الذهبية الناعمة تمسحها .. يجب
أن تبدو عادية ، وهي تستعد إلى الذهاب لأدم .. هذا الصغير يجب أن يشعر
بالأمان دوماً .. أليس هذا هو هدفها ورسالتها .

وسمعت شودي يصيح من خلف الباب ، وهو يطرقه يدعوها إليه ..
خرجت عابدة ، وهي تضع عل وجهها الابتسامة الخائنة ، التي لا تتمدد
حنانها أو رقتها لتجده يرقمها بعينه قائلاً:

فيه حد ييسأل عليك برا يا عابدة!

وخرجت عابدة تنظر حولها فلم تجد أحداً ، وقبل أن تستدير لتسأل
شودي سمعت صوتاً يناديها باسمها ، وأدارت رأسها حيث مصدر
الصوت لتراه يقف وخلفه باب المقهى .. واتسعت عيناها في ذهول ، وهي
تراه يشتم ..

كم مرة أغلقت عينيها وفتحتها لتأكد مما تراه .. لا تعلم .. لا تعلم أبداً
سوى أنها ركضت في جنون .. ركضت في ذهول .. ركضت حتى شعرت
أنها حقاً كادت تقع به على باب المقهى الزجاجي ، عندما ألقت بنفسها بين
ذراعيه ، وهي تبكي قائلة:

هاشم ١٩ هاشم ١٩ أبوه هاشم ١١

وضمها هاشم بين ذراعيه .. لم يستطع أبداً أن يستقي الدمعات التي
هربت من عينيه ، والتي كان شودي يراها بوضوح ؛ حيث كان واقفاً يرقب
الشاب الأنيق الذي سأله عنها منذ لحظات .

كانت عابدة تنفض على ذراعي هاشم ، كأنها حقاً يرأمة عادت إلى أرضها
.. وكان هاشم يستقيها على كتفيه ؛ حتى لا ترى دمعته ، الذي كسا وجهه
الأبيض الجميل .

بعد لحظات قصيرة استعاد فيها بعضاً من سيطرته على نفسه ، قال لها ،
وهي مازالت على كتفيه:

جيت في ميعاد الغدا بتاعك عشان تروح نجيب آدم سوا .. مش صح
برضه ؟!

وهزت رأسها على صدره وسمعت يقول:

يللا .. التاكسي برا مستي .

ورفعت عابدة رأسها لتقول:

لا .. لا يا هاشم مشي وتعال نمشي زي أنا ما بأعمل كل يوم .. روح
مشي ..

وخرج هاشم لتذهب عابدة إلى شودي ، وقبل أن تقول كلمة ، قال
لها:

لو مش عايزة ترجعي يا عابدة النهاردة ، مافيش مشاكل .. خدي بقية
اليوم إجازة .

ويلا وعي ضمته عابدة إلى صدرها تشكره ، وهي تشرح له أنه أخوها
الذي لم تره منذ عام ..

وابتسم شودي في حنان ..

كل الشقيقات يقلن عنن يعشقن إخوتن!

.. كل شيء له رائحة نفية .. ورفعت عينيها تنظر إلى عيني هاشم الخضراوين وضمت إلى صدرها ، وهي تقول:

مش ممكن يا هاشم .. غيرت كل حاجة .. كل حاجة يا هاشم .. افعد ..
كمل .. احكي .. احكي ثاني يا هاشم .

ولم تشعر عابدة بتوني عندما دخل المتزّه .. لم تشعر به أبداً عندما وقف يرقبها ، وهي تتحدث وتضحك وتلوح بكفها الناعم الرقيق .. كانت سعيدة وكان «هاشم» أخرج من جيبه سعادة كبرى سكبها على ملاعها .. وقف توني يرقبها ، كأنه يرى طفلة صغيرة ما رآها قبل اليوم .

وشعر به هاشم يرقبها ، وقال وعابدة لا تسمعه ، حيث عاد يمسك بكفها قائلاً:

عابدة .. عابدة .. مين اللي واقف دا؟ هو دا توني؟!

ونظرت عابدة لترى توني يقترب في حذر ، لتلف وهي تصيح:

توني .. تعال .. «هاشم» يا توني .. هاشم أخويا وابني وكل حاجة .. توني يا هاشم توني .

واقترب توني ليصافح «هاشم» في ود كبير قائلاً:

أنا واثق إنك تعرفني زي ما أعرفك .. لكن اللحظة دي غلطني أعرفك أكثر .. إنت معجزة .. عمري ما شفت عيون عابدة بترقص كدا .. حدا لله على السلامة .

وفي اللحظة ذاتها ظهر آدم لتصبح عابدة من جديد ، وكأنها في كل مرة تريد أن تسمع روحها أن «هاشم» حقاً . هنا صاحت لتقول:

هاشم يا آدم .. هاشم ..

هذا الصوت .. هذأت كل الأصوات .. لا شيء في رأس عابدة أو قلبها سوى هاشم الذي يخطو إلى جوارها ، وهي تحكي وتسال وتخبره عن آدم .. عن توني .. عن مشوار كل يوم .. عن جسر تشيلسي .. عن دينا وهدي ومنعم وخمرجه وإعفائه من التجنيد ..

آلاف الأسئلة التي ربما لا تنتظر الإجابة عنها ، لتلاحقه بألف سؤال آخر .. عن غنار .. عن دينا .. عن عدد الأيام التي سيبقي فيها في لندن .. عن الأماكن التي تحلم برفقتها معه .. عن كل لحظة وكل دقيقة مضت ، وهي عنهم بعيدة .

هاشم يحاول أن يلاحقها بإجابات .. يحاول حتى أن يكمل إجابة واحدة، لكن عابدة كانت كعصفور سجين خرج لثوه من سجن طويل ، فأخذ يرفق الخنا كثيرة متداخلة ، كأنه فقط يغني ليشعر أنه عاد حراً طليقاً .

كانت يلدها في يده .. كانت تشعر أنها حقاً تطير ، وكأنها ما كانت شاحبة قاتمة منذ لحظات ، وفي لحظة كانا قد عبرا جسر تشيلسي ، وجذبت عابدة يده إلى المتزّه ، وأمام المقعد ذاته وقفت ، وهي تصيح:

دا الكرسي اللي باقعد عليه كل يوم يا هاشم استنى آدم وتوني .. بص شوف .. شوف النهر قد إيه جميل .. شوف لندن قد إيه جميلة .

وسكتت عابدة لحظة كأنها رأت وجهها هذا الصباح ، وهي تهز بين كفيها علها تفيق من فحيح ذاك الصوت الكريه ، ولكن الآن كل شيء جميل

خرجها، عندما سألتها هاشم عن بعض النقود من الفئات الصغيرة ليكمل بها
أجرة التاكسي .. شعر هاشم أن حقيبتها خاوية من أي بنس واحد .. والآن
يعد أنها نجا حياة صعبة قاسية .. وقال هاشم في بساطة:

أنا حاشرب مية يا عابدة على ما تغيروا هذوكم ..

ونفض إلى المطبخ كأنه يريد أن يتركها تتحرك بحرية أكثر .. واتسعت
عينها هاشم ، عندما فتح الثلاجة المهترئة .. لا شيء بها سوى قطعتين من
الجبن وقارورة ماء زجاجية .

وأغلق الثلاجة بسرعة .. لن يدعها ترى أنه رأى ما رآه .. وعاد هاشم
بسرعة إلى مكانه ؛ لتظهر عابدة بعد لحظات ، وقد ارتدت ثوبًا أبيض يعرفه
هاشم جيدًا وسمعها تسأل في لهفة:

شريت يا حبيس 19

وقال هاشم في هدوء:

لا .. مش عطشان قوي يا عابدة ..

وعاد الثلاثة يتحدثون ، وهاشم يمنح كل منهم هداياه التي أرسلتها
هدى وديننا، وصاح آدم من الفرح ، وهو يرى ملابس وحلوى وألعابًا جميلة
أرسلتها ديننا ، وقالت عابدة في حنان:

دينا وهاشم دول إخواني .. عيلتي وعيلتك إنت كمان يا آدم ..

وانزوى آدم لينتهي واجباته المدرسية ، وقبل أن يصل صلاح أخبر هاشم
عابدة أنه سيلقأها صباحًا في تشيلسي .. لقد أخبرته عابدة أنها لن تذهب إلى
المقهى أبدًا وهو هنا .. حتى إن غضب شودري أو طردها ، لا يهملها أبدًا
.. لن تتركه لحظة، وفي الغد استدعوه إلى العشاء .. استطوع له كل ما يحبه
.. لهذا أخبرته أن يلقأها صباحًا في تشيلسي بعد عودتها من البنك ، إلا أن

مرت الساعة التي يقضيها توني مع عابدة وآدم كل يوم في لحظات ..
قصص يروها هاشم عن عابدة ، وقصص يروها توني عن سيلفيا وعن
كريستن ويتر ، وقصص يسمعها آدم ليلتصق بعابدة أكثر وليسعد بهاشم،
وهو يرى عابدة تتحول إلى طفلة سعيدة ، تلعب ضحكاتها الرقيقة في منزله
تشيلسي .

ونفض توني ليعود إلى عمله ، بعد أن قدم دعوة عشاء لهاشم في مساء
الجمعة مع عابدة وآدم .. ثم تركهم ليذهب إلى عمله من جديد .

وبقيت عابدة مع هاشم وآدم ، بعد أن أخبرها بأنها لن تعود إلى العمل
ليخرجوا معًا إلى شارع أكسفورد حيث Y-hotel مكان إقامة هاشم والتفقا
على قضاء اليوم معًا .

رعدة صغيرة سرت في جسد عابدة ، عندما أخبرها هاشم برغبته في
العودة إلى منزلها ولقاء صلاح في المساء .. إلا أنها لم تحاول أن تفكر في أسبابها،
أو حتى في الحرب منها .

كان كل ما يعتنيها هو السعادة التي اجتاحت وجه آدم أيضًا ، وهم
يتجولون للمرة الأولى في شارع أكسفورد .. اشترى هاشم أشياء كثيرة
صغيرة لآدم ، الذي تردد كثيرًا في قبولها ، إلا أن عابدة أخبرته أن يقبلها .

في الثامنة دخل الثلاثة فندق هاشم الذي غاب عنهم دقائق ليعود ، وفي
يده أكياس كثيرة ليستقلوا أحد تاكسيات لندن الشهيرة ، ليأخذوا طريقهم
إلى بيت عابدة .

عندما دخل هاشم البيت ، أرخى رأسه في هدوء ، وهو ينظر حوله بعد
أن اختفت عابدة وآدم من الغرفة قليلًا .. البيت ليس أفضل حالًا من الخي
الذي تسكنه عابدة .. عابدة نجا حياة صعبة .. هاشم شعر بها وهي في قمة

«هاشم» وقبل دخول صلاح بلحظات أخرج من جيبه مظلونا ، وضعه في يدها قائلاً:

عابدة .. دا من مامي ..

وفتحه عابدة لتطل من طياته الجنيهاً ، وفي اللحظة التي حاولت أن تضعه بين كفه مرة أخرى ، كان صلاح يفتح الباب ليلتقط المظروف بعينيه ، والذي أسرع عابدة بطيه بين أصابعها ، وهي تنهض من جوار هاشم لتقول في تلثم:

مفاجأة مش كدا يا صلاح ..

وقطب صلاح حاجبيه ، وهو ينظر في وجه هاشم وكف عابدة ، الذي يظهر من بينه شيء لا يعرفه ، وتقدم بصافح «هاشم» دون أن يضمه قائلاً:

حمد الله على السلامة .. وصلت إمتى؟!

وضمه هاشم وهو يقول:

النهاردة الصبح .. ازيك يا أبو صلاح؟!

ورمى صلاح بجسده على أحد المقاعد ، وأخذ يرقب وجه عابدة .. شيء ما في وجهها تغير .. شيء ما لم يره أبداً في وجهها ، منذ اللحظة التي رآها فيها في منزل طلعت بعزيمة الشال .. شيء جعل وجنتي عابدة وردية .. جعل عينها ترق في جمال .. شيء يجعلها ترقص كفراسة ، حتى وهي تبدو أمامه مرتبكة حائرة ، تحاول أن تخفي شيئاً في كفها ..

وشعر صلاح بغيط كبير .. بريح سوداء تنز في أذنيه ، فالتفت ينظر إلى هاشم ليقول في قسوة:

إيه هي عابدة قالتلكم إني مجوعها فبتديها فلوس؟!

وشق هاشم في ذعر من كلمات صلاح ، إلا أنه قال في هدوء:

إيه اللي بتقوله دا .. هي لما م تبت لبنتها فلوس يبقى فيه مشكلة .

وغابت عابدة كأنها تهرب من مواجهة ما يحدث ؛ ليكمل هاشم في مرح حاول رسمه بصعوبة كبيرة على كلماته قائلاً ، وهو ينحني ليمسك بكيس كبير أبيض قائلاً:

دي هدية صغيرة من ماما وبابا لانيهم وجوز بتهم ..

وابتسم صلاح ، وهو يلتقط الكيس من هاشم ، ثم عاد ينظر إلى كل الأشياء المبعثرة حول آدم ، وشكره دون حراة ، ثم نهض ليقول:

عابدة .. عندنا شاي؟! تشرب شاي يا هاشم .

وقبل أن يجيب ، ظهرت عابدة لتقول ، وهي تنظر إلى هاشم في حيرة وعجل:

أيوه .. باين .. حاشوف .

ونفض هاشم ليقول:

لا .. أنا عايز أروح ارتاح .. بكرة نتعشى ونشرب شاي إن شاء الله .

لم يقل صلاح كلمة ، ولم تستطع عابدة أيضاً أن تنبس بحرف .

قبل هاشم آدم في حنان وضم عابدة ضمة سريعة ، غادر بعدها البيت دون حتى أن يوصله صلاح إلى الباب .. وعادت عابدة وحدها بعد أن أغلقت الباب ؛ لتجمع الأشياء التي أحضرها هاشم في هدوء ، حيث سمعت «صلاح» يسأفا:

هو أنت عزمته على الفدا ولا العشا؟!

وأجاب عابدة في صوت خفيض قائلة:

العشا ..

ووقف صلاح ليتجه إلى غرفته ، وهو يمسك بهدية هاشم بين أصابعه
قائلاً:

آه الفلوس حنظهر ولا كنت عارفة إنه حيدكي فلوس !؟

ورفعت عابدة عينها تتبع بها «صلاح» في غيظ وألم ، رأها آدم في عينيها
حيث شعر أنه يفهم كل ما دار ، رغم أنه كان باللغة العربية .

على نهاية جسر تشيلسي ، وقبل أن يركب آدم دراجته إلى المدرسة ،
صاحت عابدة عندما رأت «هاشم» يتظرها .. أخبرته أنها يجب أن تعود
إلى شودري لتخبره بتغييرها الأيام الخمس ، التي سيقاها هاشم في لندن ..
أخبرته أنها يجب أن تشتري أشياء كثيرة ، وتذهب لإعداد طعام العشاء لهم
جميعهم قبل أن تعود لاصطحاب آدم إلى البيت .. لكن «هاشم» رفض ..
هاشم أخبرها أن تحدث شودري على الهاتف .. أخبرها أنه سيأخذها هي
و«صلاح» وآدم إلى العشاء في مطعم في منطقة «توتوز» .

أخبرها أنه يريد أن يقضي كل لحظة معها .. أخبرها أنه سعيد ، لأنها لم
تشاهد شيئاً من كل تلك الأماكن التي كانوا يجلبان برؤيتها .. أخبرها أنه
سعيد لأنها سيريأها للمرة الأولى مثلاً .

وانطلق الاثنان إلى الهايد بارك .. انطلقا يتنزهان في حدائقه الرائعة ويقفان
أمام بحيراته الجميلة .. كان هاشم سعيداً بسعادتها .. حزناً أيضاً بكل ما رآه
وسمعه في بيتها .. ووضع هاشم ذراعه حول كتف عابدة ، ثم قال في حنان:

عابدة .. أنت مبسوطة مع صلاح !؟

وشعر هاشم برعشة في جسدها ، بعد أن سمعت سؤاله لتستدير بظهرها
بحناً عن أحد المقاعد ، حيث سارت لتجلس على أحدها ، ورفعت عينها
ترقبه ، وهو يأتي ليجلس إلى جوارها ، ثم قالت بعد لحظات:

آه طبعاً .. صلاح طيب يا هاشم .. يمكن كلامه أوقات يبقي جاف ..

يمكن .. يعني .. لكن الحمد لله إحنا كويسين يا هاشم .

ووضع هاشم كفه على يدها ليقول في صوت خفيض:

ماما طلبت مني أسألك ليه ما خلفتوش لغاية دلوقت ..

ورفعت عايدة عينها لترغيها من جديد قائلة:

مش عارفة .. بس .

ليتها تعلم أن حديثه عن إنجابها يذبحه .. لييتها تعلم أن مجرد تخيله لها بين
زراعي صلاح يسحق ضلوعه .. لكن هاشم عاد يقول:

شو في يا عايدة .. ماما ويابا .. كلنا حنروح باريس في راس السنة وماما
حتعزمك أنت وصلاح .. لو فيه أي دكتور أو علاج أو حاجة ممكن تعجل
أو تساعد في الموضوع دا .. ماما .

وقاطعت عايدة قائلة:

هاشم .. مافيش حاجة .. إحنا كويسين .

وبآهة خرجت من صدره ، عاد هاشم يقول:

عايدة .. مامي اللي طلبت مني أقولك كدا .. اسمعي هو صلاح حيروح
معانا بكركه عند توني؟

ووضعت عايدة أصابعها الرقيقة في طيات شعرها ، وأطرقت برأسها
لحظات طويلة ، لتأخذ نفساً طويلاً من صدرها ، قالت بعده:

شوف يا هاشم .. أنا مش حاقوق لصلاح إن إحنا رايعين عند توني لأنه ما
يعرفش حاجة عنه ، وكمان مش حاقوق له إن حاضرك معاك كل يوم .. أرجوك
ما تسألش ليه .. بس صدقتي كدا أحسن .

وصمت لحظات وعادت تقول ، كأنها تحاكي ضميرها ، وتبرر له ما طلبته
من هاشم:

دول كلهم خسة أيام .. صلاح لو عرف يمكن يتضايق ، لأنه مش حيقدر
يكون معانا طول الوقت ..

وضع هاشم كفه على كفها .. هو أيضاً لا يريد أن يرى «صلاح» .. هو
أيضاً يريد أن يكون إلى جوارها وحده ..

وعاد هو الآخر يمز رأسه ، كأنه يشرح لضميره ويرر له .. هو لا يفعل
هذا لأنه يريد أن يخلي بها ، أو لأنه بكركه رؤيتها مع زوجها .. أبداً وإلا ما كان
يسعد بصحبة آدم ، وإلا ما كانت دعوة توني أسعدته كثيراً .

صحبة صلاح غير مرغبة لأن «صلاح» نفسه لا يحب «هاشم» .. صلاح
نقل له هذا الشعور بوضوح .. فلم يلوم نفسه على رفضها صحبة من
لا يحبه ..

ونظر إلى بحيرة الهايد پارك ، وإلى بجعاتها الجميلة ، وابتمت ابتسامة
مريرة كأنه يقول إنه كاذب .. هو يحب آدم لأن عايدة تحبه .. سيذهب إلى
منزل توني لأن عايدة أيضاً تحبه .. هاشم لا يريد شيئاً من هذا البلد إلا بقاءه
إلى جوارها .. لا يريد سوى راحتها التي تقلل أنفاسه .. إنه يكذب .. نعم
يكذب .. لكننا أيام قليلة .

وحاول أن يخرج من أفكاره فصاح قائلاً:

ياخير .. تعالي نكلم دينا .. أنا وعدتها ..

وقالت عايدة:

دلوقتي؟؟ دينا في الشغل وتليفونها أكيد مقفول .

وابتسم هاشم وهو يقول:

دينا تليفونها مفتوح على طول يا عابدة ، عشان نختار بتكلم ماما وعلقت
نجوى مرة كل ساعة .

احنا اتغيرنا يا عابدة .. اتغيرنا .. كلنا اتغيرنا .

إنها المرة الثانية التي يجتمع فيها الجميع في بيت توني في الليلة ، التي تسبق
ليلة سفر هاشم .. أصرت كريستين على دعوتهم قبل سفر هاشم ..

جميعهم سعداء كأنهم حقاً يجتمعون في بيت عبد المنعم شيرازي .. لكن
في هذه الليلة هناك خط كبير وعميق من الألم، يشق وجهي عابدة وهاشم
.. عابدة عينها غارقة في طبقة كالدمع ، تطفو كلها نظرت في وجه هاشم ،
وتذكرت أنه سيرحل في فجر بعد الغد .

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

عابدة تألم لأن صلاح يطاردها بكلماته اللاذعة عن هاشم ، وعن
اشتمزازها من دعوة العشاء التي ذهب معها إليها .. دوماً يخبرها أن «هاشم»
كان يعتمد اصطحابهم إلى ذاك المطعم الراقى ؛ لأنه كره تناول الطعام في
بيوتهم .

عابدة تتألم كلها تذكرت كيف دار الحوار بين صلاح وهاشم ، وكيف كان
صلاح يرفع حاجبه في استعلاء ، كلها شعر أنه لا يعرف بإذا يجب أو عن
ماذا يتحدث .

حاول هاشم أن يفتح معه ألف حوار .. حاول أن يجادته في وضع مصر
والعالم العربي .. حاول أن يجادته عن أوروبا والأزمة الاقتصادية الكبيرة ..
حاول حتى أن يجادته عن المتصورة .. حاول ، ولكن في كل مرة «صلاح»
لا يعلم ماذا يقول سوى أن يتحدث عن شجاعته في مواجهة كل شيء ، وعن
قدراته ونجاحاته التي لا ملامح لها أو وجود .

عايدة تأملت كثيراً عندما أدركت أن «صلاح» ضئيل ، وتضائل آلاف المرات لأنه يرفض حتى أن يعترف بجهله أو بساطته .. ليس عينا أن نجهل ، ولكن اللعب الكبير حقاً أن ندعي أننا أكثر علماً عن حولنا .

وعادت عايدة ترفع عينها لترشق «هاشم» ، وهو يحاور توني عن أمور كثيرة في هدوء .. في ثقة .. في تناوب بينها في الحديث .. مرة يصغي ومرة يتحدث .. مرة يضيف ومرة يتعلم .. الثقة الحقيقية وحدها هي التي ندرك فيها أننا لا نعلم كل شيء ، ولكن نحاول أن نتعلم كل يوم وكل لحظة .

وجاء بيتر إلى عايدة ، يطلب منها أن تحكي له القصة التي حكته لآدم منذ أيام ، وضمت عايدة إلى صدرها في حنان، لتستأذن توني وكريستين في الخروج مع آدم وبيتر إلى الحديقة .. وسألها توني قائلاً:

قصة إيه يا عايدة!

ومع ابتسامة صغيرة قالت:

مش فاكرة .. بس أنا حاحكيلهم حكاية جديدة .

وقال هاشم في حنان:

عايدة طول عمرها تألف قصص .. أنا ودينا لغاية مارحنا الهاي سكول وإحنا نحب نسمع حواديتها ..

فاكرة يا عايدة الرواية اللي كتبتيها في الجامعة وكسبت جائزة .

والفت توني بنظر في عين كريستين ، في حزن كبير ، ثم قال بعد لحظات:

عايدة .. سيليا بتي كانت برضه بتكتب .. بدأت «كتاب» قبل ولادة بيتر ، وكانت ناوله مخلصه وتطبعه في عيد ميلاده الأول .. لو فعلاً عايزة تكتبي ، أنا ممكن أساعدك .

ورفعت عايدة عينها تنظر إليه في ذهول ، ليكمل توني قائلاً:

أساعدك يعني إيه .. يعني أعرض اللي حكتييه على دار نشر كبيرة صاحبها صديقي .. هو اللي يحكم صديقي أئمن من قلبي إنك تكتبي ، وأئمن من قلبي إنه يلاقها تصلح للنشر .. ما تعرفيش دا حيليني قد إيه أحس إني عملت حاجة لسليليا .

وخيم صمت كبير ، عندما رأى الجميع دمعات تراقص في عيون توني وزوجته .. حتى بيتر كان في عينه دموع ، وقالت عايدة:

أنا طول عمري بأحلم أكتب رواية ، لكن ..

وقال هاشم في حماس:

لكن إيه إيه؟ لكن إيه يا عايدة .. أنت في بلد حر .. في بلد العمل الجيد يفرض نفسه ويباخذ فرصه ، وعرض توني دا هدية يا عايدة ..

واقترب آدم من عايدة ، وهو يصيح:

اكتبي يا عايدة .. اكتبي ..

وضمت عايدة إلى صدرها وأغمضت عينها كأنها تحلم .. حلم عمرها كان أن تكتب .. ولكن هل تستطيع حقاً .. كانت في مصر تعلم ألا أحد سيساعدها .. لا أحد سيتحمس لحلمها ، خاصة أنها كانت تريد الكتابة بالإنجليزية .. فعريبتها ليست بالقوة المطلوبة .. وهمست وعيناها مازالنا مغمضتين:

حاكتب .. حاكتب يا آدم ..

وقال بيتر:

اترو صحيح خترو حوايكره مدام توسو .. ممكن آجي معاك يا آدم؟

وفتحت عابدة عينها لتتظر إليهم في دهشة .. لقد أخذها الحلم بعيداً ،
لكن واقع وجودهم حولها مازال هو الآخر جيلاً ، وسمعت هاشم يقول:
توني من فضلك .. ممكن ناخذ بيتر يُكره الصبح بدري نروح قصر
باكتهام ، نتفرج على الاستعراض ، ويعدين نروح متحف مدام توسو .

وفي هدوء قالت كريستين:

مافيش مانع .. يُكره أجازه .

وقاطعها توني قائلاً:

خدوا العربية والسواق .. أنا ماعتديش حاجة غير المستشفى .. اعملوا
كل اللي اتتوا عايزينه ، وبالليل نتمشى برا كلنا .

وقال هاشم فوراً:

لا .. بالليل مش حابض أنا أسف .. لازم أحضر شطفي .. أنا حاسافر
الفجر .

ونظرت عابدة إلى عيني هاشم في ألم كبير ولوعة ، شعرت معها كريستين
بالحزن هي الأخرى .



كان يومًا رائعًا .. ذهبوا جميعًا لمشاهدة الاستعراضات الرائعة التي تتم
أمام قصر باكتهام ، ثم أخذهم بيل إلى متحف مدام توسو لينتقط هاشم
صورًا كثيرة لعابدة وآدم وبيتر مع كل الشخصيات الرائعة ، التي تقف على
أرض المتحف وكأنها حقيقية .

آدم أخذ أكثر من صورة إلى جوار ديانا سبنسر .. أما بيتر فلقد عشق
فيثيان لي وثوبها الجميل ، الذي ارتدته في فيلم «ذهب مع الريح» .. كانوا
جميعًا سعداء ، يقفزون حول عابدة وهاشم ، وكانت عابدة تضم الصبيين
كل لحظة وأخرى ، وتجبرهما أنها حقًا تحبها .. كانت عابدة مازالت ترى في
عيني آدم وبيتر عينها الدامعتين .. إنها يتامى مثلها .. وعابدة أكثر من يعلم
حاجة اليتامى إلى لمسة حب وضمّة حنان ..

كان هاشم حولهم يتفق في سخاء ، ويسمع في اهتمام ، ويركض خلفهم
كأنه يتيم مثلهم ، ولكن الفارق الوحيد هو أنه يعلم أنه سيفارق صدر أمه في
قصر الغد ..

كان هاشم يسترق النظر إلى عابدة ، ويتمنى لو يعلم كيف يبقى إلى
جوارها أو كيف يأخذها معه .

إن قلبه حائر .. يكره أن يتركها ويعلم أنه يجب أن يتركها .. عابدة لا تشعر
بعبء .. عابدة مازالت تشعر به كأدم أو بيتر ، ولكن شيئًا ما في صدره يجبره أن

ورمت عابدة بنفسها عل أحد المقاعد لحظة ، وهي لا تصدق أنها ليست سعيدة بما أخبرتها به هدى .. لا تصدق أن صوتًا يدر بداخلها يصيح رافضًا ما قالته هدى .. إنها خائفة .. لا .. عابدة تشعر بالذعر .. لماذا أغضبها ما قالته هدى .. لماذا تمنى ألا يحدث .. وبلا وعي ، نهضت عابدة لتقترب من هاشم ونظرت في عينيهِ الحائرتين وسألته:

هاشم .. أنت صحيح حتجوز؟!

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

شيئًا في نظرات عابدة له تغير .. شيئًا في عناقها له يصارع فكرة بدأت تطرق رأسها .

ونفخ هاشم رأسه في ذعر .. إنه يتوهم .. عشقه يصور له هذا الوهم .. هاشم لن يستسلم للوهم .. حتى إن كان الوهم حقيقة ، فالاستسلام له كارثة كبرى .

عابدة زوجة .. عابدة أم لطفل ليس له سواها .. لقد رأى كيف يعامل صلاح آدم .. بل لقد رأى بعينه إلى أي حد لا يرى صلاح آدم ولا يشعر به .. حتى بيتر بدأ يركن إلى ذراعي عابدة كثيرًا .

وأطلق آهة كبيرة من صدره ، وهو يقرب عابدة تركض خلف بيتر ، وهي تضحك .. حتى هنا يا عابدة .. حتى هنا البيامة جمعت حولها قلوبًا أصبحت هي قلبها .

وأخرج هاشم هاتفه الصغير من جيبه ليحدث هدى ، التي شعرت بشيء ما في صوته .. شيء كالآلم .. شيء كالخزن ، وعندما أخبرها هاشم أنه مع عابدة طلبت أن تحدثها ، وصاح هاشم بمنع عابدة الهاتف لتبتعد به قليلًا عن صياح آدم وبيتر ، وحدثت هدى دقائق ، عادت بعدها إلى هاشم لتمنحه الهاتف في صمت كبير .

كان هاشم يركض خلف الصبيين ، والتقط منها الهاتف ليضعه في جيبه بسرعة .. لكنه التقط عيني عابدة التي أطل منها شيء كالسؤال .. شيء كالخوف وعاد إليها يسألها في هفوة:

مالك يا عابدة .. هي اما قالت حاجة .. بابي كويس؟! دينا كويسة هي وحسن؟! ..

بكره .. مش حتأخر .. أرجوك .. أنا حضرت العشا وأدم .. آدم حينام .

وعاد صلاح يزار على الهاتف قائلًا:

هو إيه ما عندوش دم؟!

وسقطت دموع عابدة لتقول من جديد:

صلاح .. دا مسافر بكره .. أرجوك ..

وأغلق صلاح الهاتف ، دون أن يجيبها بكلمة ، وبكت عابدة في جنون .. إنها تكذب .. إنها مع هاشم كل يوم .. إنها حتى لا تذهب إلى المقهى .. إنها حتى لم تغيره أن «هاشم» دعاه معها .. إنها لا تريد أن يذهب معها .. إنها لا تريد سوى أن تلقاه وحدها .. إنها حتى حاولت أن تقول إن «هاشم» ابنها وأخوها كما اعتادت .. لكنها لم تستطع .. ما الذي يحدث .. ما الذي يدور في عروقها .. لماذا تكذب؟! لماذا حزنت عندما أخبرتها هدى أن «هاشم» سيخطب عند عودته .

ورفعت عابدة عينها تنظر حولها في جنون ، لترى آدم يقترب منها ، ويضع كفه الصغير على وجهها قائلًا:

ماتقافيش يا عابدة .. أنا مش حفتح لحد .. انزلي اخرجي مع هاشم .. لما صلاح يرجع أنا حاحضر له الأكل .. دا مسافر بكره .

وضمت عابدة إلى صدرها في جنون ..

نعم ستذهب .. في الغد ، ويعد سفر هاشم مستنظر عابدة بداخلها .. في الغد ستبحث عن أسباب حزنها ورفضها .. أمامها شهور طويلة تتخلص فيها من هذه المشاعر المجنونة التي تدق رأسها .. أمامها شهور طويلة تعود فيها إلى الصواب والعقل .. لكن يجب أن تذهب إلى لقائه .. إنها الليلة الأخيرة .. إنه العشاء الأخير ..

في الخامسة عاد بيتر إلى بيته ، بعد أن بكى بين ذراعي هاشم ، وهو يودعه .. وعادت عابدة مع آدم إلى ناين إلز .

كانت عابدة حائرة ثائرة .. كل قطعة في جسدها ترتعد .. لقد أخبرها هاشم أنه سيمر عليها في الساعة ليأخذها إلى العشاء .. قال لها إنه يرجوها أن تقبل .. قال لها إنه العشاء الأخير .. بل قال في تردد إنه إن شاءت سيحدث صلاح لبدعوه معها .. عابدة لم تقل لا ، ولكنها أيضًا كانت خائفة لا تعلم ماذا تفعل .. قد يعود صلاح إلى البيت في المساء ، قبل أن تعود .. لكنها أبدًا لا تستطيع أن ترفض دعوة هاشم .

إنه .. إنه العشاء الأخير!!

وبعد أن أعدت طعام صلاح ، وبعد أن ارتدى آدم بيجامته ، شحذت عابدة نفسًا عميقًا من صدرها لتخرج هاتفها الصغير ، وتطلب رقم صلاح ثم قالت:

صلاح .. أنا في البيت لسه راجعة من الشغل .. هاشم كلمني من شوية وعزمني على العشا .. هو حيمدي ياخذني ويرجعني .

وصاح صلاح في جنون:

إحنا مش حنخلص من الحكاية دي ..

وعادت عابدة تهمس في ضعف ، كأنها توسل إليه:

أرجوك .. أنا ما شفتوش من ساعة ما خرجنا سوا يا صلاح .. دا مسافر

كل شيء رائع رائته عابدة مع هاشم ..

ميدان البيكاديلي .. حدائق الهايدپارك .. شارع أكسفورد .. لندن جلاس ..
والآن الهيلتون .. الآن هذا المطعم الرائع .. آه لو يعلم هذا الساقى الأنيق
أنها تحمل أطباق المأكولات والعصائر إلى سكان وزوار ناين إلز كل يوم ..
لو يعلم ما وقف ينظر إليها في هذا الانبهار ، ولما اتحنى بكل هذا الاحترام ،
وهو يضع قائمة الطعام بين يديها .

ومدت عابدة كفها بقائمة الطعام إلى هاشم ، وهي تقول:

أنا مش حاختار حاجة يا هاشم .. أنا أصلاً مش جعانة .. أنا مبسوطة
يا هاشم .. سعيدة جداً وحزينة جداً ..

وأمسك هاشم بكفها وهو يقول:

أنا كيان قد ما أنا سعيد قد ما أنا حزين ..

وعادت تنظر إليه ، وهو يتحدث إلى ساقى المطعم من جديد .. لماذا تسمع
ذاك الصوت يعلو في صدرها من جديد .. الصوت يقول أن «هاشم» ما عاد
ذاك الطفل .. هاشم يثير في قلبها نبضاً جديداً .. هاشم يحرك في عروقها
دعاء تصيح .. ولكن هاشم مازال يراها عابدة .. عابدة التي تكبره بأعوام
.. عابدة أخته التي حملته على ذراعيها .. عابدة التي كانت تحكي له القصص
والحكايات حتى دخوله المرحلة الثانوية .

أليس هذا ما قاله لتوني .. ولكن لماذا تشعر بشيء في عينيه .. شيء يقول
إنه هو الآخر يراها كما أصبحت هي تراه ..

ورمت عابدة بعينيها إلى الزجاج من جديد .. لا .. لن تستلم للوهم ..
استسلامها للوهم فيه حسرة كبيرة!

في الساعة كان هاشم ينتظرها أسفل بيتها في أحد تاركسيات لندن الجميلة،
وهبطت عابدة إليه لتدخل السيارة إلى جواره .. كانت ترتدي جوب سوداء
تنتهي بعد ركبتها بحوالي عشرة سنتيمترات ، وبها فتحة طولها أكثر من خمسة
عشر سنتيمتراً ، تظهر منها ساقها وجزء كبير من فخذه الأبيض الرائع ..
كانت ترتدي قميصاً أحمر داكناً من القطن الرائع .. حذاؤها الأسود بكعبه
العالي كان جبلاً ، وهي ترتديه على جوربها الأسود الشفاف .. شعرها
الذهبي ، الذي اصطحبها هاشم إلى الكوافير بالأمس لقصه كان رائئاً ..
عالياً فوق رأسها من الخلف قصيراً على بداية عنقها الطويل ، وأطول قليلاً
على جنبات وجهها الأبيض الرقيق .

حتى سائق التاكسي نظر إليها في إعجاب كبير ، وهي تخطو لتدخل إلى
السيارة .. كأنه لا يصدق أن امرأة كهذه تخرج من بيت كهذا ، أو تسكن حيّاً
مثل ناين إلز ..

ووقف التاكسي أمام فندق الهيلتون المطل على حدائق الهايدپارك ، وتقدم
أحد العاملين بالفندق ليفتح لها باب التاكسي ، وشكرته عابدة ليمسك هاشم
بكفها بين يديه ويدخلان الفندق معاً .. كان واضحاً أن كل عين تقف على
وجهيها تتسم كما تتسم ، كل الشقاء في وجوه العشاق ..

وجلس هاشم أمامها على طاولة مطعم الفندق الشهير ، ونظرت عابدة
إلى النافذة الزجاجية الكبيرة التي على يسارها ، لترى حدائق الهايدپارك لأول
مرة في المساء .. لقد رأتها في الصباح معه للمرة الأولى أيضاً ..

السيارة لتدخل الفندق .. مازال بإمكانها أن تبقى معه لحظات أخرى ..
مازال بإمكانها أن تعد له حقيته ، كما كانت دومًا تفعل .. عابدة ستصعد إلى
غرفة هاشم لتبث نفسها أنها واهمة ، وأن «هاشم» مازال طفلها وأخاها .
أليس من حقها أن تبقى مع أخيها الصغير ، الذي جاء من خلف كل هذه
الأميال لحظات أخرى؟!

أليس من حقه عليها بعد كل هذه السعادة التي منحها لها ولأدم أن تعد
له حقيته السفر؟! وخرجت من المصعد في الدور السابع ، حيث أخبرها
هاشم يومًا ووقفت تنظر حولها ..

ورآته قادمًا سرعًا بخطواته ، وهو يعمل بين كفيه كيسًا ورقيًا بني اللون
أنيقًا ، ووقف هاشم كأنه تجمد حين رآها تنظر إليه من بعيد .

واقتربت عابدة بخطواتها نحوه في هدوء لتسمعه يقول:

مالك .. فيه حاجة؟!

ورفعت عابدة عينها تنظر إليه قائلة:

مافيش .. إنت أتأخرت .. قلقت عليك .. ننزل؟

وبصوت بالكِ كأنها ترجوه ، عادت تكمل:

أنا مشيت الناكسي يا هاشم!!

قائلها كأنها تستغيث به .. قائلها كأنها كانت تتمنى لو كان أقوى منها ..

لكن ماعناه غريق يصنع لغريق ، فقال هاشم:

طب تعالي يا عابدة .. تعالي تقعد شوية .

ودخلت عابدة غرفة هاشم .. واقتربت من نافذة الغرفة تنظر إلى شارع

في الحادية عشرة خرجا معًا من باب الفندق ، ووقفت عابدة تنظر إلى
هاشم في حيرة كبرى ، وهو يفتح لها باب الناكسي .. هل يعود بها إلى البيت
.. هل انتهت الليلة الأخيرة بانتهاء العشاء الأخير ..

ودخلت إلى جواره في صمت .. سكنت في لحظة كل القصص .. كل
الذكريات .. كل الأحاديث .. سكنت كل شيء في لحظة كبيرة ، اسمها لحظة
الفراق ..

وسأله قائد السيارة عن وجهتها ، وفي صوت خفيض ، قال هاشم:

ناين إلز ..

وأدارت عابدة عينها إلى النافذة .. ستعود .. ستركها ..

وبعد لحظة سمعت عابدة «هاشم» يصيح قائلاً:

يا خير يا عابدة .. أنا نسيت أديكي الـ «سي» دي .. بناعة مختار ابن دينا .

ودون أن ينتظر منها كلمة ، عاد يطلب من السائق التوجه إلى شارع
أكسفورد ، وعندما وصل إلى باب الفندق ، قال لها:

دقايق يا عابدة .. أطلع أبيهم .

واختفى هاشم لتبقى عابدة وحدها .. وبلا وعي .. بلا تفكير ، فتحت
عابدة حقيبتها السوداء الصغيرة لتمنح قائد السيارة أجرته ، وهبطت من

أكسفورد الطويل .. إلى مصايحه الجميلة .. إلى أشجاره الرائعة ، ثم استدارت لتقول ، من خلف دمة صغيرة:

هاشم أنا مش عايزاك تسافر ..

واقترب هاشم ليقف خلفها ، وينظر هو الآخر إلى شارع أكسفورد ، في حزن كبير ، ثم قال:

كلها أربع خس شهور ، ونقابل كلنا يا عابدة ..

وفي مصايح الشارع البعيدة ، رأت عابدة ظلال كل ما حاولت نسيته في الأربعة أيام الماضية .. رأت نفسها في مقهى شودي من جديد .. رأت نفسها وحدها تغطو في تناقل على جسر تشيلسي .. رأت نفسها بين ذراعي صلاح وتحث جسده ..

رأت نفسها دونه .. دونه .. عابدة لا تريد أن تحيا من دونه أبدًا .

ومد هاشم ذراعيه ليلف بها جسد عابدة قائلاً في حنان:

خدي بالك من نفسك يا عابدة أرجوكي ..

ولم تستطع عابدة أن تتألمك نفسها .. أجهشت في بكاء حاد عتيف ، لتعود برأسها على صدره ، ثم استدارت لتواجهه بعينيها ، ورأت في عينيه أطياف دمع ، عاد معها ذاك الصوت يبتف بها .. إنه يحبها .. إنها تحبه .. هاشم ليس أخاها وما كان يوماً .. هاشم رجل وعابدة امرأة .. امرأة لأنها تنفث إلى جوار رجل يشعرها أنها حقاً أنثى ..

ودفت وجهها في صدره كأنها تحاول الهرب من أفكارها .. من جنونها .. وشعر هاشم أنه ينهار وضع أصابعه الرشيقة بين طيات شعرها ، وعاد برأسها إلى الخلف ليقول ، وهو يكي:

ماتيكيش يا عابدة أرجوكي .. أرجوكي ..

والتقطت عيناه شفتيها الورديتين المكتنزتين تنفضان ، وهي تحاول أن تسكت نحيبها وبكاءها .. التقطت عيناه عينيها المغضتين ، وشعر أنه لا يستطيع .. وانحنى بشفتيه يقترب من شفتيها ، وشعرت عابدة بشفتيه تقترب وسكت بكاءها .. سكت في أقل من لحظة كأنها ما كانت تبكي .. كأنها ما كانت أبدًا ترتعد كعصفور .. شعرت عابدة بأنفاس هاشم تقترب ، وشعرت بعصفور آخر يغني في عروقه .. هاشم يحبها .. هاشم سيقبلها .. هاشم سيأخذ شفتيها العذراء بين شفتيه .. ليس وهماً أبدًا .. هاشم يحبها .

ولست شفتاه شفتيها ، إلا أن هاشم ، صاح في ألم ، كأنه يصفع وجه فليه .. صاح بعد أن وضع قبلة سريعة على شفتيها كتلك التي نضعها على شفاه الأطفال .. صاح يقول:

كفاية يا عابدة .. كفاية يا حبيبي ..

وابتعد عنها هاشم لفتح عابدة عينيها في ذهول .. ثم قالت في خجل كأنها تعلمم كبرياءها:

ساعني .. مش قادرة اتقبل إن أخويا وابني وحبيبي حيسافر .

وأمسك هاشم بكفها قائلاً:

يللا يا عابدة تخرج من هنا .. يللا عشان ما تتأخرين .



وعاد هاشم إلى السيارة في صمت ، وأغلق بابها لتنتقل دموعه في حزن
مجنون ، وأخذ ينظر من زجاج نافذة السيارة ، وهي تغادر حي ناين إلز ، ثم
قال بعد لحظات:

وأنا كيان .. فوق ما تصورون !!

في طريق العودة تسلفت عابدة بكفها إلى كف هاشم لتضمه في هدوء ..
ما قالت كلمة واحدة .. وما وقفت دموعها أيضًا لحظة واحدة ..
كان هاشم يشعر بغضب كبير في عروقه .. لماذا تركها .. لماذا لم يأخذها ..
لماذا حتى لم يقبلها !!

خشي أن تكون لحظة ضعف .. خشي أن تفيق عابدة فتلومه .. خشي
أشياء كثيرة ، ولكن هو غاضب غاضب .. لكنه أيضًا يعلم الآن أن عابدة
تحبه والنفث ينظر إليها ليجد يدها اليمنى تعبت بسلسلة ، كانت غثبة خلف
قميصها الأحمر ورأها تخرجها بأصابعها وتضمها ، وشهق هاشم شهقة
صغيرة ..

إنها ذاك الهلال الذي أهداها إياه .. لم يكن يعلم أنها مازالت ترتديه ..
كان دومًا يرى السلسلة ، ولكنها للمرة الأولى التي يراها تخرجها من خلف
ملابسها ؛ ليعلم أنها تضم هديته إلى صدرها ، وستبقى العمر تفعل .

ودخل هاشم بها باب المنزل الذي تسكنه .. لن يتركها أبدًا تخطو وحدها
ولو خطوة واحدة في ناين إلز .. ونظرت إليه عابدة من خلف دموعها ،
وكفها مازال بين كف ، وقبل أن تصعد السلالم ليعود هاشم إلى التاكسي ،
الذي كان يقف في انتظاره ألقت برأسها على صدره ؛ ليعلم صوت مكانها
من جديد وقالت كأنها تنن .. كأنها تصرخ:

أنا بحبك يا هاشم بحبك ..

ومسحت عابدة دموعاً أخرى كثيفة ، سقطت على وجنتها ، وهي تقف أمام باب البيت الحشبي المتسخ لتنهز رأسها في عنف .. عابدة تحب «هاشم» .. نعم .. تحبه .. ولكن هل هو يحبها .. لم ابتعد عن شفتيها إذن .. هل كانت لحظة ضعف ، أفاق منها قبلها ليعود بها إلى الحقيقة .. قد تكون عابدة لا شيء في قلب هاشم ، سوى تلك الفتاة التي فتحت عينيه على وجودها في بيته ، إلى جوار أمه وأبيه .

وأخرجت عابدة المفتاح من حقيبتها ؛ لتضعه في ثقب الباب ، وهي تهز رأسها في عنف .. إن لم يكن هاشم يحبها ، فهي اليوم علمت أنها تحبه .

نعم .. هي تحبه !!

وانتفض جسدها ، وهي تدخل إلى البيت ، لترى «صلاح» يجلس على الأريكة السوداء ، وينظر إليها في غضب كبير ، صاح بعده قائلاً :

خلاص .. سافر حبيب القلب !؟

كان صعباً أن تستطيع إخفاء دمعها .. كان صعباً أن ترفع رأسها .. فراق هاشم قطع رأسها من جذوره ..

ونظرت عابدة إليه لتقول في انكسار كبير :

أسفة إني أتأخرت .. هاشم حيسافر بكرة الصبح .

وعاد صلاح يصيح في جنون ، كأنه لا يبالي بأدم النائم إلى جواره على الأريكة قائلاً :

الصبح .. إحنا بقينا الصبح يا هاشم ، وإيه إيلي في إيدك دا ..

ومدت عابدة يدها بالكيس الورقي الصغير ، الذي منحها إياه هاشم

لتقول :

الآن فقط علمت عابدة كيف يكون شعور المحكوم عليهم بالإعدام .. الآن وفي هذه اللحظة التي تخطو فيها على سلام البيت بعيداً عن هاشم ، علمت عابدة أن الخطوات التي يخطوها المحكوم عليه بالإعدام نحو المشقة هي أكثر ألماً من لحظة الموت نفسها ..

الآن علمت أن ابتعادها عن هاشم وصعودها على سلام البيت .. إلى صلاح .. إلى حياتها التي ظنت أنها اعتادتها قبل حضور هاشم ، هو الألم بعينه .

وعادت تنظر خلفها .. هل تبهط مرة أخرى .. قد يكون هو الآخر مازال في التاكسي .. بل ربما يعجز سائق التاكسي عن أن يدير عركه سيارته ، ويتبعد بهاشم عنها .

لكنها نكست رأسها ، وهي تحاول أن ترى موضع قدمها .. لا شيء تراه سوى صور تهتز خلف جيوش دمعها .. هاشم وحل .. هاشم بعد ساعات ستجمله طائرة ما بعيداً عنها .. هاشم سيعود بعد أربعة شهور .. لكنه سيعود وأصبغه مشنوق ببدلة كالتي تشق أصبعها .

ما الذي حدث ؟! .. عابدة لا تبكي هاشم الأخ الذي نشأت معه .. عابدة تشعر أنها تبكي نفسها بعد رحيله .. عابدة تشعر أن أنثى تصرخ بداخلها في جنون .. أنثى تسأل في لغة لم تكتمل قبلها هاشم على شفتيها .. أنثى تصيح وتسالها في عنف .. كيف ينتفض جسدها بمجرد أن شفتي رجل اقتربت منها ، ولا ينتفض جسدها ، وصلاح يقتحمها ويضاجمها .

«مي دي» بناعة فرح دينا وابنها ختار ، وكأنها حاولت أن تطفئ نازًا فأشعلت نازًا أخرى ، عندما مد صلاح يده داخل الكيس الورقي الصغير لتخرج يده بصندوق صغير أثيق ، شهقت عابدة عندما رأت بين أصابعه وفتحته صلاح ، وهو يصيح في جنون أكبر:

دي ساعة يا هاشم .. ساعة شوي .. يا تري سي هاشم اشترى إيه بكل الهدايا دي؟

وقذف بالصندوق في وجهها ليدخل إلى غرفته .. وانحنى عابدة لتلقط الصندوق الصغير .. إنه من اللون البني الداكن، ونقشت عليه حروف باللون الأسود لماركة جوتشي الشهيرة .. وعندما فتحته من خلف دموعها ، وجدت ساعة أنيقة من اللون الأبيض ، وعلى حلقاتها نقش حروف جوتشي .. إنها أحدث ساعة أنتجتها دار جوتشي .. إن عابدة حتى لا تعلم أين يمكنها أن ترتدي ساعة هذه الأناقة .. وعادت تنظر إلى داخل الكيس الورقي لتجد ورقة صغيرة ، تغفو إلى جوار الـ «مي دي» التي ظنت أنه وحده هناك .. وجلست عابدة كأنها تنسقط إلى جوار قديم آدم الصغبرتين ، وهي تقرأ كلمات هاشم التي قال فيها:

عابدة ..

من باريس اشتريت لك هذه الساعة .. اشتريتها لتخبرك أنني في كل لحظة، وفي كل دقيقة أدهو الله لك بكل السعادة ..

عند حضوري في المرة القادمة ، أتمنى أن أراك في معصمك الجميل .. أتمنى أن تحرك حمارها أن فراقك سم كبير ، ولكن يبقى الأمل في لقاءك تزيق القلب .

هاشم ..

هاشم ..

أنت لم تأت محملاً بالهدايا .. لم تأت بالأمل ولا جئت تحمل رائحة ذاك البيت ، الذي أذوب عشقاً وشوقاً إليه ..

أنت جئت بعضاً سحرية ، أبعدت عن سماء لندن غيومها .. أنت جئت بعضاً سحرية جعلت من ناين إنلر قطعة من الجنة .

من يزعم أن بلدًا على الأرض ليس جيلًا .. من يزعم أن شجرة على الأرض ليست مشمرة .. من يزعم أن زهرة على الأرض لا لون لها أو رائحة .. هو إنسان مسكين لا يدخنو عليه ولا قلب يشاركه الطريق ..

كنت أظن مصر وحدها أجمل بلاد الأرض .. كنت أظن أن لندن وحدها أكثر بلاد الله ظلمة ووحشة .. ولكن بك مصر كانت جميلة ، وبك لندن أصبحت قطعة مسحورة من الجنة ..

بعد رحيلك عاد كل شيء كما كان .. عادت غنائمها الرمادية تكسوها .. عادت شمسه تغفو في الكسل والملل ؛ ليكسو غيابها قلبي وروحي بالحزن والدمع ..

سأنتظر عودتك .. سأنتظر رسالتك ..

لندن بأكملها تنتظر مي ، لتعود أجمل وأبهى بلاد الأرض ..

وضع منعم قبلة صغيرة على رأس هدى ، وهو يصيح منادياً «هاشم» أن يلحق به إلى السيارة في طريقها إلى المكتب، وخرج هاشم بعد خروج منعم يلحظات لينظر إلى هدى ، وهي في ملابس الخروج قائلاً:

انتو نازلين دلوقتى يا مامي؟

وفي هدوء ، أجابت:

أبوة .. ميعادنا مع الدكتور دلوقتى يا هاشم ، ودينا مش حتقدر تسيب «غثارة» مع صباح لوحده لأنه سخن ، وحسن عند سيادة اللوا باباه ..

وانحنى هاشم يقبلها في حنان ، لكنها قالت في رنة غضب:

لما أطقن على نجوى إن شاء الله ، سيكون بينا كلام كثير يا هاشم .. انزل دلوقتى باباك مستنيك في العرية .

لوح هاشم لما وهو يركض نحو الباب ، كأنه يهرب منها ، وألقت هدى برأسها على المقعد ، الذي تجلس عليه في انتظار نجوى لتأخذها من دينا ، وتذهب معها إلى الطبيب .

إنها حزينة .. إنها غاضبة وخائفة .. حزينة على نجوى ، وحزينة على حزن دينا ، وهي ترى أمها تراهم في أحيان كثيرة ، كأنهم غريب لا تعرفهم .. حزينة على عصية حسن ، التي بدأت تزاد ، بعد أن فقد عمله في الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت البلاد .. حسن في عناده يرفض القبول بعمل آخر أقل من عمله في شركة البورصة ، التي أغلقت أبوابها .. حسن يزداد جنوناً من نجوى والأخطاء الكثيرة ، التي بدأت ترتكبها في نوبات مرض الزهايمر ، الذي بدأ يتغلغل في عروقه معظم الوقت ، حتى عايدة هي الأخرى تغيرت كثيراً منذ سفر هاشم إليها .. لا تحادثها هدى أبداً ، إلا وتجدّها تبكي وهي تسأل في جنون متى يحضرون؟ متى تمر الأيام ، ويأتي موعد لقائهم .. عايدة

على صدري سيقى هلال كبير ، وعلى يدي سأضع ساعة إن لم تعد .. إن لم تكتب .. إن لم تحنو ستقتلني عقاربها ..

ظننت يوماً أنك في قلبي .. لكنني اليوم علمت أن قلبي فيك !!

عايدة



www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

يعود ليسجن نفسه بين العمل وأوراق الماجستير ، ويسحق أصابعه كل مساء وصباح في الكتابة إلى عابدة ..

كم مرة تراه هدى يترك طعامه ليقرأ رسالة ترسلها إليه .. أحيانا يتمس ويخبرهم أنها منها ، وأحيانا كثيرة يقول إنها من أحد زملائه .

لكن هدى تعلم أنه يكذب .. هدى تعلم أن «هاشم» يجب أن يخرج من هذه الدائرة .. يجب أن يسعد ، كما يجب أن تسعد دينا وعابدة ..

دينا أيضا يجب أن تتخلص من شعورها الكبير باستهتار حسن وقسوته في الحكم على نجوى .. دينا يجب أن تكون أكثر رحمة به ، بعد أن أصبح بلا عمل .. دينا أيضا أصبحت أكثر عصبية من خوفها على نجوى ومن تصرفاتها الضائعة .

الحق الصغار يجب أن يتخلصوا من أوهامهم ؛ ليعرفوا كيف يتأوا بكل الهدايا التي منحهم إياها القدر ، قبل أن يسلبها منهم عقابا لهم .

ماذا يعرفون عن الألم الحقيقي .. ماذا يعرفون عن العذاب؟ دينا التي تبكي لإغلاق شركة البورصة منذ شهر .. ماذا تعرف عن الألم الذي عاشته هدى حتى بلوغها الأربعين دون إنجاب .. ماذا تعرف عن ألم نجوى بعد رحيل مختار وقيامها بدور الأم والأب معا ..

ماذا تعرف عابدة عن امرأة مثل نجوى في لحظة ، تجدد نفسها في بيتها غريبة تخشى وجوه أقرب الناس إليها ، ولا تعرف من هم أو بإذا يشعرون .. امرأة أصبحت تعامل بكل الحذر كالأطفال ، وتغلقت خلفها الأبواب خوفا من أن تخرج ولا تعود .. امرأة كانت يوما رجلا وامرأة .. كانت يوما أبنا وأما وجدة ، وفي لحظة تصبح كالطفل الرضيع ، لا تعلم من هي وأين تكون؟!

في كل مرة ، وقبل إغلاق الخط تسألها عن هاشم .. لماذا لم يخطب؟ لماذا أجّل هذا المشروع الذي أخبرها عنه هدى ، يوم كان معها في لندن؟! وفي كل مرة تخبرها هدى أن المشروع مازال قائما ، ولكن هناك أمورًا تضطربهم إلى التأجيل قليلا وستخبرها بها عند رؤيتها .

هدى حزينة لأنها تكذب على عابدة .. هاشم أعلن أنه لا يريد الزواج أبدا في الوقت الحالي .. هاشم يتذرع بأنه غارق حتى أذنيه في الملفات والقضايا مع والده .. هاشم يقول إنه يريد أن يمسك بيده كل الخيوط في مكتب والده الدكتور منعم صادق ، قبل أن يبدأ في إعداد رسالة الماجستير ، ولكن هدى تعلم أنه غارق أيضا في رسائل عابدة .. أصبح الاثنان يتبادلان الرسائل على المحمول ، وعلى الكمبيوتر في جنون .

ما يقضب هدى ويغنيها حتى الموت أن «هاشم» أصبح لا يتحدث عن عابدة أبدا .. كأنه يكتفي برسائلها ، أو كأنه يخشى أن يتحدث فتعلم هدى شيئا لا يريد أن تعلمه .

ما الذي أصاب عابدة .. إنها تخاف في أحد أجمل بلاد العالم ، ومعها طفل يبعثها .. طفل رائع جنت به هدى ، حين أراها هاشم صوره الكثيرة التي التقطها لهم حين كان معهم .. بل حتى صلاح نفسه .. لقد أخبرها هاشم أن عابدة سعيدة معه .

لماذا تبكي عابدة إذن؟! لماذا تسأل عن هاشم في كل مرة بكل هذا القلق ، وكأنها تكره فكرة زواجه؟!

وعادت هدى تنكس رأسها في حزن .. وجعبة قلبها هذا الهاشم الأحمق .. شاب بكل هذا البهاء والوسامة .. شاب يكاد يتربع على مقعد والده الدكتور منعم صادق ، أحد أكبر محامي الدولة ، وأحد مستشاري رئاسة الجمهورية ،

ألا يكفي عابدة أن «صلاح» لا يغتربها .. ألا يكفيها أنه حملها بعيداً عن
عزبة الشال ، وعن شلبية التي تعرف هدى ذنائبها جيداً بعد عملها معهم
أعواماً كثيرة .. لما تبكي إذن؟!

لو تعلم هدى كيف تخبرهم أنهم لا يعلمون شيئاً عن النعاسة الحقيقية
التي ذهبت قلوباً كثيرة حولهم .. فقط لو تستطيع !! لكنها لن تياس .

هدى لن تياس أبداً حتى تراهم سعداء .. ستقف إلى جوار ديننا متخبرها
دوماً عن ذكريات هدى مع الألم .. مع استجداء طفل حتى جاءها هاشم ..

هاشم أيضاً لن تكف هدى أبداً عن مطاردته بالأساء والوجوه ، ويوماً
سيجد هاشم أسوأ وجهاً يتخلص معه من أوهامه .. هاشم متزن بار يعشق
هدى ، ويسعى دوماً إلى إرضائها وسيفعل .. ويومها سيعلم أن أعواماً
ضاعت منه في وهم كبير ، اسمه عابدة .

عابدة نفسها لن تتركها هدى حتى تعود بها إلى الصواب .. عندما تراها
ستأخذها بين ذراعيها ، وتغدها عن صلاح ، وكيف أنه هدية الهدايا إليها
وغم عيوبه .. رغم مظهره .. رغم كل ما قد يكون فيه ، لكنه يبقى هدية
السواء إلى البيتمة الرقيقة .. أليس وجودها معه أفضل آلاف المرات من بقائها
في المنصورة؟!

هدى ستعلم كل ما يدور في رأس عابدة ، عند لقائهما بعد شهور قليلة ،
وإن كانت معانة عابدة نفوذاً .. هدى ستمنحها ودعية ، تضعها باسمها في
أحد بنوك إنجلترا لتعنيها على الحياة ، وعلى تربية الصغير .. هدى ستكسب
ثواباً بتربيته كما فعلت مع عابدة يوماً .

هدى لن تترك أطفالها يعيشون مع أقدارهم بعد أن أسعدتهم .. هدى
ستعود بهم إلى العقل وإلى السعادة ، قبل أن تهرب السعادة بأشأ منهم ومن
حماقتهم ..

ورفعت هدى صوتها قائلة:

أنا جاية يا ديننا .. جاية .

ونفضت عن مقعدها ، وهي تحمل حقيبتها لتتوجه إلى الباب ، الذي
سمعت يندق وهي غارقة في أفكارها ، وعندما فتحه أطل وجه ديننا الشاحب
ومن خلفها رأته نجوى تقف ، وما أن نظرت في عين ديننا حتى ضمتها في
حنان ، وهي تقول:

إن شاء الله يا ديننا خير .. ورحي يا بتي لابنك واهدي يادينا ..

وألقت ديننا برأسها على كتفي هدى ، تبكي في مراة شديدة ، واستدارت
نجدوى تربت على كتفي ديننا وهي تقول:

حسن بقي صعب جداً يا هدى .. أنا واللي باعمله من ناحية ، وحسن
وعصيته من ساعة ما ساب الشغل من ناحية ثانية .. لكن والله مش بايدي
يا هدى .. مش بايدي يا ديننا ..

ابتعدت ديننا عن ذراعي هدى ، لتضم نجدوى في حنان ، وهي مازالت
تبكي وقالت:

لا يا حبيبتي أنت اللي تساعيني وساعني «حسن» .. أرجوكي يا ماما
تعذريه .. هو كيان غثوق .. عشان خاطري مازع عيش منه ..

أمسكت هدى بكف نجدوى بين يديها ، ليخطوا نحو المصعد ، وقالت في
حنان:

أنا ونجدوى يا ديننا كل اللي بيمننا سعادتكم بايتي .. غلي بالك من جوزك
وابنك .. خدي جوزك واخرجوا لما مختار ينام يا ديننا ، وأنا مع نجدوى
ماتخافيش يا حبيبتي .. ولما ترجع حنكلكم ونظمتك .. حسن محتاجلك
يا ديننا ..

وضغطت دينا نفسها إلى صدره بقوة، وقالت:

حسن .. حسن أنا محتجالك قوي .. فيه إيه؟

حسن الدنيا ما خلصتش عشان سبت شغلك .. أنا باشتغل وأنت عوش فلوس كثير يا حسن .. حسن تغور الفلوس في داهية .. فيه إيه؟ فيه كلتنا بتغلي .. فيه كلتنا بتغور يا حسن فيه إيه؟

وضمها حسن إلى صدره بكتاني ذراعيه لحظات طويلة، ثم أجهش في بكاء حاد، أصاب دينا بالذعر والألم لتأخذه بين ذراعيها، وتخطو به إلى فراشها وجلست جواره لتأخذ رأسه على صدرها، وأخذت تربت على ظهره في حنان ودعشة التهمت دمعها وجفت خديها المبللتين، وبعد أن هذا قليلاً ابتعدت برأسه عن صدرها، لتتفر في عينيه قائلة:

حسن .. فيه إيه؟ أنت متضايق عشان أنا باروح الشغل، وأنت بتعقد مع ماما .. انزل يا حسن ملكش دعوة بيها .. أخرج مع أصحابك .. والله العظيم لو ينفع أنا، كنت أسبب الشغل وأقعد بيها ويمختار وأمشي صباح .. لكن إحنا لو قعلنا نصرف من الفلوس، اللي أنت عوشها، حتخلص إحنا مانعرفش بكرة فيه إيه وماما حالتها حتوصل لغاية فين يا حسن ..

ورفع حسن عينيه في ألم ليقول لها، وكأنه ضاق صدره بما يخفيه:

دينا .. أنا ماعنديش ولا ملين .. أنا في مصيبة ..

وشهقت دينا لتتفر إليه قائلة:

إيه؟ بتقول إيه يا حسن .. الفلوس راحت فين .. أنت كنت بتقبض بالعمولات قرب العشرين ألف جنيه كل شهر .. أنت كنت عوش أكثر من ربع مليون جنيه .. الفلوس راحت فين يا حسن؟ راحت فين ..

دخلت دينا إلى بيتها لتستند على بابها المغلق في نهالك واضح .. يحزنها ألا تذهب مع نجوى إلى الطبيب .. تختار الصغير حرارته مرتفعة، ولكن ليس هذا هو السبب الحقيقي .. السبب الحقيقي هي الحمى التي تسبب على عروق حسن .. منذ أغلقوا شركة البورصة، وهو عصبي، لا يترك البيت ولا يكف هو الآخر عن إصدار التعليقات اللاذعة على نجوى وتصرفاتها ..

وسقطت دمة من عين دينا .. نجوى أصبحت تنسى كثيراً .. بالأمس كادت تسبب في إشعال حريق .. أشعلت موقد الغاز ونسيت إثناء الطبخ عليه حتى جف، لولا صباح الحادمة دخلت إلى المطبخ لتجد الإناء يكاد يشتعل .. كل مافي البيت وكل من فيه يكاد يشتعل .. وحدها تلك الساعات القليلة التي تنضيتها في العمل أصبحت أكثر ساعات يومها هدوءاً واستراحة .. لكن دينا دوماً تعود لتجد ألف قصة مشتتة من قصص الزهايمر نجوى وعصبية حسن ومشاكل مختار .. لو كانت عابدة هنا، لربما كان الأمر أفضل، ولكن عابدة هي الأخرى يشتعل قلبها خوفاً ووحدة وشوقاً إليهم ..

وأفاقها صوت حسن قادمًا من غرفته لتدخل دينا إليه، ومازال على خديها قطرات من دمعها، ونظر حسن إليها في إشتاق لينهض عن فراشه، ويتقدم نحوها، ويأخذها بين ذراعيه قائلاً:

دينا حبيبتي .. أنا قتلتك روحي مع طنط نجوى وطنط هدى .. أنا حآخد بالي من مختار وأديه الدوا ..

وأجش حسن في البكاء مرة أخرى ليصبح قائلاً:

لا يا دينا أنا كنت محوش نص مليون جنيه .. نص مليون ..

وفي ذهل عادت دينا تقول:

راحو فين يا حسن .. مصيبة إيه ؟ اتكلم .. أرجوك اتكلم ..

بعد لحظات تردد طويلة تحدث حسن .. تحدث إلى دينا كأنه يشق قلبه العاري يتصل سكن الحقيقة الحاد ليربها ما يخفيه .. منذ طالت الأزمة الاقتصادية كل شيء ، وضربت أسواق البورصة والمال ، وعند أغلقوا الشركة التي كان يعمل فيها بنجاح كبير ، وهو لا يعلم ماذا يفعل ..

أخبرها أنه وضع كل ما أدره مقدماً لثمن فيلا بأحد كومباوندات أحد عراي بمنطقة العبور .. أخبرها أنه يدفع أقساطاً ربع سنوية تقدر بخمسين ألف جنيه .. أخبرها أنه كان بعد لها مفاجأة .. أخبرها أنه كان يعلم بأن يتقل للحياة بها هي وغتار ، بعيداً عن الزحام والقوضاء .. أخبرها أنه كان يعلم أن يقيموا جيماً في فيلا واسعة ، لها حديقة وحمام سباحة .. أخبرها أنه فعل ذلك لإسعادها ولإسعاد ابنه .. أخبرها أنه كان يرى أنها يستحقان حياة أفضل في مكان أفضل .. من يقيمون في الفيلات ويستمتعون بالكومباوندات ليسوا أفضل منهم في شيء ، ولكن هو الآن في مأزق كبير ..

هو الآن عاطل بلا عمل .. وأي عمل سينجح في الحصول عليه لن يغطي أبداً الأقساط المطلوبة .. إنه يخشع .. ونظرت إليه دينا في لوم كبير ، وقالت بصوت هادئ:

كل دالاه ؟ ليه يا حسن .. أنا عمري ما فكرت أسبب شارع نهر .. أنا طول عمري ما بقولك إني ما أقدرش ابعده عن هنا .. هنا جنب شغل .. جنب طنط هدى وهاشم وأكل منعم .. وماما .. ماما يا حسن ليه عمرك ما فكرت فيها ؟!

وقاطعها حسن قائلاً:

طنط نجوى كانت حبيبي تعيش معانا .. أنا كنت بافكر أن بابا كان يروح معانا .. يبقى عندنا بيت كبير ، يلم أبويا وأمك وولادنا يا دينا ..

وعادت دينا تقاطعه في حدة:

ومين قالك إنهم عايزين أو حيوافقوا .. أنكل عبد الكريم حبيب شغله وصحابه والنادي ، ويروح يعيش في منفى .. في مصحة .. الكومباوندز دي عاملة زي المصححات النفسية التي يرموا فيها العيانيين .. أنا وأنت عارفين إن ماما مستحيل تسب هنا ، ولا أنت بتعمل كدا عشان أضطر أسببها لوحدها وابقى قدام الأمر الواقع .. فيه إيه يا حسن ؟! فيه إيه ؟!

واحتد حسن قائلاً:

كفاية ظلم بقى ، والله أنا عامل حسابي إنها تعيش معانا ..

وعادت دينا تصرخ:

أهي لا هي حعيش ولا أنا حنعيش .. رجع الفيللا وخد المقدم ولا حتى ينقصوا منها أي حاجة .. خلاص الحكاية بسيطة ..

ونفض حسن عن فرائشها صائلاً:

مستحيل .. مش حارجعها ولا حاعرضها للبيع .. حاخسر .. السوق العقاري كله تام يادينا في هوجة الأزمة الاقتصادية ، وأنا بيتي مش للبيع .. مش للبيع يادينا .. مش للبيع ؟!

وعلا صياحها أكثر ، وهي تقول:

يبقى تباع إيه ؟ الفيللا تمناها كام يا حسن ..

في ألم أرغى حسن رأسه ، وهو يقول:

مليون ونص .. دفعت النص «مقدم» ودفعت «قسط» منهم خمسين ألف جنيه .

وقاطعته ديناً ، وهي تصيح:

يعني الباقي مليون جنيه .. مليون جنيه نجيبهم متين يا حسن .. يعني كل شهر تقريباً خستاشر ألف جنيه .. متين وأنت حتى ما بتحاولش تدور على شغل؟!

وأمسك حسن بكتلي ذراعها بين كفيه ، وعاد يصيح:

مين قال .. مين قال .. أنا مابقومش من على الكمبيوتر طول مانت في الشغل .. أبعت إيميلز وأعمل مكالمات .. أنا بدور .. بس عايز شغل يغطي الأقساط ويغطي مصاريف البيت ..

وحررت ديناً ذراعها من كفيه لتنفضها في غضب ، وترغمي على فراشها وهي تبكي قائلة:

أنت مجنون .. دا البنوك والشركات بتففل وترح الموظفين .. حتلاقي شغل بمبلغ زي دا فين يا حسن .. هي دي آخره الأنانية والقرارات الفردية!

هاشم:

الشئاء يتسلل في عنف إلى جنيات لندن .. وكلها أعلن من ظهوره زاد خوئي وألمي .. الشئاء يعني أن «ماري» قد تظهر لتأخذ «آدم» .. قدوم الشئاء معناه أن الفراق قادم .. هل يلعب آدم! هل يتركني وحدي؟!

أعلم أنه من الجنون والخطأ أن أستيقبه إن جاءت أمه ، ولكن أعلم أيضاً أنه من المستحيل أن أحيا بدوني .. من سواء بعفك يضميني؟ من سواء يمسح دمعاتي؟ مع من سواء سأحدث عنك؟ مع من سواء أستعيد أيامنا وضحكاتنا وركضنا تحت سماء لندن؟!

الشئاء قادم يا هاشم وقدومه يعني الفراق .. أنت أيضاً ستأتي في الشئاء .. ستأتي لتبقى أياً ما ، ثم ترحل من جديد .

كيف أندفأ وأرتوي بعد كل هذا الظمأ ، ثم في لحظة يلقي بي فرائك إلى الجليد وحدي من جديد!!

الشئاء هذا العام معناه أيام قليلة دافئة حانية معك ومع آدم .. لكنها أيام تتبعها أيام طويلة موحشة خيفة مع الفراق .

آه لو أعلم كيف أقول لك لا تحضر .. آه لو أعلم كيف أحمل آدم بنفسه إليها ..

قد يكون الموت صعباً ، ولكن يبقى انتظاره الصعب الكبير ..

أريدكم ما أعلم أنه من الغباء والجنون والظلم أن أستيقظكم ..

يا رجل القانون والعدل ، أخبرني أين الظالم وأين المظلوم ..

هاشم ..

ساعدني أرجوك !!

عايدة

وضع آدم رأسه الصغير على كتفي عايدة ، التي كانت تجلس إلى جواره ، وهو يؤدي واجباته المدرسية ؛ ليقول في صوت حزين:

هو هاشم حيتأخر قد إيه يا عايدة؟!!

ورفعت عايدة طرف عيناها ، تنتظر إلى صلاح الذي كان يتناول عشاءه على الطاولة ، وظهره لها ممًا ، ثم قالت في صوت خفيض:

يمكن يجبروا على شهر فبراير يا آدم .. أنكل منع عنده شغل مهم ..

ونكس آدم رأسه في صمت .. أسابيع وبأي العام الجديد .. قد تأتي ماري هذا العام .. قد تعود ماري .. أمه قد تعود .. وسرت وعشة في جسده ، شعرت بها عايدة لتحكم ذراعها حوله في قوة أكبر .. هل هو حزين مثلها لتأخر حضور هاشم .. لو لم يكن صلاح يجلس معها ، لتحذت معه أكثر ، ولكن صلاح يكره الحديث عن هاشم .. صلاح دومًا يقذف إلى أذنيها بأشع الألفاظ ، إن لاح اسم هاشم يومًا على شفيتها .. حتى أنها ما عادت تفتح هاتفها الصغير وصلاح في البيت ؛ حتى لا تأتيها منه رسالة ، ويسمعها تعليقاته الجارحة .. وعاد آدم على غير عادته في الحديث أمام صلاح ، يقول لها:

أنا عايز أبعثله إيميل يا عايدة ..

وأمسكت عايدة بكف آدم تضغط عليها ، كأنها تمنى لو تحبره أن يسكت .. لا تعلم ماذا أصابه .. آدم لا يتحدث أبدًا وصلاح معها ، ولكن ربما ظن

الصغير أنه لا يسمعها مادام وجهه يواجه الحائط الآخر ، وفي لحظة حدث ما تخشاه عابدة .. انتفض صلاح واقفاً عن المائدة في غضب ؛ ليتقدم نحوهما ، وهو يمسك بذراع آدم ويصيح :

مش عايزك تخيب اسمك على لسانك .. هو هاشم دا أخوك ولا أبوك .. ما تتبيل تدور على أمك اللي رمتك وجريت .

وضاعت ملامح عابدة في لحظة من وجهها خلف خوفها ودهشتها ، لكننا دون وعي صاحت :

فيه إيه يا صلاح ؟

وأطلق صلاح ذراع آدم من بين أصابعه ؛ لينظر إليها في غضب أكبر ، وهو يصيح :

سمعتي مخ الولد بالزفت بتاعك .. هو إيه ؟ إنت عايشة حياتك يا بتبعيله جوابات يا يكلمك .. يتكلمي عنه .. ما كان قدامك وكنت قدامه .. سابك ليه .. رموك ليه .. بقيت حلوة دلوقت ، ولا بقيت سهلة يا عابدة عشان بقيتي ست ؟

ولم تحتمل .. لم تحتمل أبداً ، فصاحت في ألم :

أسكت .. إيه اللي بتقوله دا ؟

وفي قسوة وجنون ، عاد صلاح يصيح :

أنت فاكراي ما عرفت حاجة .. فاكراي نايم على ودائي .. دا أنا عرفت حريم عدد شعر راسك دا .. اتلمي يا عابدة وابعدي ابني عن الموضوع دا .

لكننا لم تسكت ، بل عادت تقول في جنون :

صلاح .. هاشم دا أخويا .. دا أصغر مني .. دول أهلي يا صلاح ... أنا ماليش غيرهم .. ليه .. ليه يا صلاح ؟؟

وابتسم في سخرية ، وهو يصيح :

أهلك ؟ أخوكي ؟ أخوكي .. فين الأخ اللي يجيب كل الهدايا دي .. فين الأخ اللي ياخذ أخته وابن جوزها ، ويسرح بيهم طول النهار فسح وهدايا .. فين الأخ اللي ترجع أخته وش الفجر .. ماكياها سابيح وبتعيط ، بعد ما حط في ريدنا الأجرة ساعة بكم ألف .. أنت فاكراي عيبط ولا إيه ؟

كانت عابدة واجدة ، كأن صاعقة كبيرة ضربت بجسدها ..

كيف علم أن «هاشم» كان يخرج بها هي وآدم كل يوم ..

لم تخبره عابدة أبداً .. هل يظن ؟ هل كان يتجسس عليها .. لا تعلم ، ولكن ما تعلمه أن «صلاح» يفعل أي شيء وكل شيء ، وعاد صوته يعصف بها أكثر ، وهو يقول :

عليا الطلاق ما هو داخل البيت دا ثاني .. ولا أنت تشوفيه .. اسمعي آخر كلام عندي الناس دي لو طبت البلد ، ترجعي معاهم .. فاهمة ؟

وقفت عابدة شفتيها في ذهول قائلة :

إيه ؟

وعاد صلاح يصيح قائلاً :

اللي سمعتيه .. اللي سمعتيه .. كلميه وفهميه إنه لو جاي هو ، ولا حتى الهاشم أمه والدكتور أبوه ، حيتي طالق يا عابدة .. فاهمة ؟

وصفق صلاح باب غرفة النوم خلفه ليجهش آدم في البكاء .. لقد فهم كثيراً ما قاله صلاح .. آدم بدأ يفهم الكثير من اللغة العربية ، بل إنه حتى بدأ يتحدث بها قليلاً ، وقال بصوته المرتعش :

أنا أسف يا عابدة .. أنا السبب ماكتش عارف أنه سامعني .. ما كتش اعرف أنه .. أنه بيكره هاشم كدا ..

كانت عابدة تنفض خوفًا وذعرًا .. عابدة تحتمل كل شيء على الأرض إلا أن يقتل صلاح أمها في حضور هاشم .. في رؤيته .. ما تراها تصنع أو تفعل .. هل هي ثورة عابرة ، ونسي صلاح ما قاله .

وهزت عابدة رأسها .. فليطلقها كما قال .. من قال إنها تريد .. ستعود معهم .. ستعود عابدة معهم ، ولكن أيضًا من قال إنهم يريدون عودتها .. إن هدى كلما أحدثها ، توصيها بزوجها وببتها .. هدى في كل مرة تحادثها تجربها بشكل أو آخر أنه ما عاد لعابدة مكان سوى بيت زوجها .. لقد قالت لها مرة إن نار صلاح أكرم لها من جنة الحياة بعيدًا عنه .

لن تعود أبدًا .. فليطلقها صلاح وسيتقى هنا وحدها .. ستبحث عن غرفة تسكنها وحدها .. لقد رفع شودري مرتبها .. وهي في عطلة كل أسبوع ، تبحث عن عمل آخر في منطقة تشيلي .. ستجد .. عابدة أصبح لديها الآن خبرة تتجاوز العام في العمل كساقية في مقهى شودري .. ستجد عملاً ، وقد تجد غرفة تسكنها في تشيلي ، بعيدًا عن هذا الحي وعن هذا الرجل .. ولكن هل يتركها صلاح .. أبدًا .. صلاح يذبحها ولا يتركها .. تعلم هذا جيدًا .. عابدة تكاد تكون هي التي تنفق عليه .. عابدة خادمة وأم بديلة وعاهرة أيضًا .. صلاح لن يتركها .. لن يتركها أبدًا نعيمًا في سلام .. وأدم ما مصيره ؟

قد تأتي ماري لأخذها .. بل هي تؤمن أن ماري قادمة .. آدم طفل لا يترك ولا يئس أبدًا .. ستصبح وحدها فريسة لصلاح .. سيمزقها صلاح .. سيمزقها قطعًا صغيرة .. إنها يتيمة وحيدة .. عابدة إن ماتت ، لن نجد من يمشي يومًا في جنازتها .

وألقت عابدة بوجهها بين كفيها وبكت .. يقتلها أن تعرف أنها ضعيفة إلى هذا الحد .. يقتلها أن تذكر أنها وحيدة إلى هذا الحد .. ويقتلها أن يهتمها صلاح بعلاقة أئمة مع هاشم .. أصبح يقتلها ألا شيء دار أو يدور بينها وبين

هاشم .. كلما اتهمها صلاح .. كلما طاردتها كلماته .. كلما جرحها قتلت عابدة لو كان هاشم قتلها .. لو كان هاشم أخذها وأخذ جسدها .. على الأقل لن تشعر بهذا الظلم .. صلاح يستحق أن يُجَان .. صلاح لا يستحق أبدًا امرأة بطهارتها وتقائها، ولكن هل هو حقًا يظلمها ؟

عابدة تحب «هاشم» .. عابدة ترقص على سلالم شائكة مع هاشم .. يكتب لها وتكتب له ألف قصيدة ، وألف كلمة حب .. لكن ولا كلمة واحدة صريحة ..

عابدة تجرب كل يوم أنها في شوق إلى ذراعيه .. وهاشم يجبرها كل يوم أنه مازال يقبل وسادتها كل صباح ، لكن أيضًا يبقى كل شيء مبهمًا .. مازالت تسأله عن زواجه ، ومازال يوصيها بزوجها ..

مازالا كالحقوقي يتعاطيان المخدر ، ويقسمان أنها في كامل وعيها .

عابدة تحب .. كل يوم تحب أكثر .. إنها تنتظر فراق آدم ، وتعلم ببقاء هاشم وترتعد مما يعرفه صلاح ، وكأنه يعرف أشياء لم تفعلها .. لكنه لقوة كلماته أصبحت تشعر أنها فعلتها .. بل تمنى لو تفعلها ألف ألف مرة من جديد ..

وكعادته هز آدم كنها ، الذي كانت تحب خلفه وجهها ، وهي تبكي لتسمعه يقول :

ما تزعلين يا عابدة إنه قال كذا عليك وعلى هاشم .. صلاح كان دائمًا يقول لامي كذا .. هي حكتلي .. كان دايما يقولها إن عندها علاقات وحشة .. تصوري دامة راح ضرب جاره وأنا صغير .. مامي يقول إن الإسعاف خدته وهو دخل السجن .. صلاح دائمًا يعمل كذا .

واتسعت عينا عابدة في ذعر .. إلى أي حد قد يذهب صلاح في حماقاته وغياته .. إن كان يومًا فعل هذا مع زوجته التي منحته الجنسية .. إن كان يومًا

فعل هذا مع مواطن إنجليزي وفي بلده .. ما تراه يصنع بجارية صغيرة يتيمة
أحضرها من غربة الشال .. ما تراه قد يصنع يوماً مع ... مع ..

وانتفض جسدنا وهي تخيل «صلاح» يتعرض لهاشم ، ويسمعه بعضاً
من عباراته الدنيئة ، التي يسمعون إياها كل صباح وكل مساء ..

عائدة تموت .. تموت قبل أن يمس أحدهم «هاشم» بكلمة ..

الذي .. لو يعلم أن «هاشم» وحده من صانها .. وحده أمسك بيدها
ليعيدا إليه ، يوم كانت تتمنى لو ذابت بين أصابعه .. لو يعلم صلاح رفاعي
أن هناك على الأرض رجلاً بحق ، ولكن كيف تنقب الرياح السوداء بباب
زهرة ياسمين نقية .. ليتك تسمع يا هاشم .. ليتك ترى .. ليتك أخذتها ..
ليتك أحبتها وما أمانتكما معاً الشرف والمبادئ .

عائدة يجب أن تهدأ .. يجب أن تفكر .. ماذا تفعل .. ما عساها حقاً تفعل ؟!
أصبح أمل حضور هاشم كابوساً كبيراً ، يجب أن نجد عائدة منه مفرّاً ..

وعاد آدم يقول لها في حنان:

انت لي ما المحموزيش «هاشم» يا عائدة ليه ؟!

ونظرت عائدة إليه ، من خلف دموعها ، لتقول:

عشان أقابلك .. عشان أشوفك .. عشان أحبك .

لكن آدم عاد يمز رأسه ليقول:

بس انت بتحبه .. مش كنا .. بتحبه يا عائدة ؟! بتحبه وهو كيان
بيحبك !!

عائدة:

أكاد أختنق .. بل أنا أختنق كل يوم ألف مرة ..

عندما أترك ماما وأذهب إلى العمل أختنق .. عندما أترك حسن في البيت
أشعر أنني أختنق .. عندما أعود لأشعر بالألم على أمي ، التي تندهور حالتها
كل يوم وتسوء ، حتى أنها بالأمس سألتني من أكون ؟!

أعود لأرقب وجه حسن غارقاً في الحيرة والخوف .. حسن يموت كلما
مر يوم ، واقترب موعد القسط القادم لفيلا أحلامه المجنونة .. أعود لأرى
«غفارة» يكبر وجذته بالكاد تعرفه ، وفي أحيان كثيرة تسألني كيف أنجته
ومن من ؟!

آه يا عائدة كم يقتلني ألا تعرفه أمي ، وأن يعرفها حسن ويعرف ظروف
مرضها ، ورغم هذا يرحمها أو يعلوها ..

عائدة:

مازلت أعشق «حسن» .. مازلت أذوب بين ذراعيه شوقاً وحُباً ، كما
كنت في ليلتي الأولى لكنني تعبته ..

تقولين إن الحب وحده يزرع السعادة .. تظنين يا عائدة أن كرهك لصلاح
وحده سر شقائك .

أمسكت عابدة بيد صلاح ، وهو ينهض عن فراشها في خوف كبير ،
وعادت تقول بصوتها المرتعش:

صلاح .. قلت إيه؟ أرجوك يا صلاح .

ونفض صلاح يده من يدها في قسوة ، وقال:

قولي يا صبح يا عابدة .. ماعنديش غير اللي قولته .

وعادت عابدة تلتحق به ، وهي تمسك بذراعه في خوف أكبر:

حرام عليك .. أقولهم إيه؟ صلاح .. أرجوك .. ماما وبابا وهاشم مش
حيقعدوا أكثر من أربع خس أيام .

والثنت ينظر إليها في قسوة ليمسك بكفها بين ذراعيه:

دلوقتي أرجوك؟! بقيني بتعري تترجي يا عابدة؟ كلميهم وقوليهم..
ولا أقولك كلمي حبيبك وقوليله الأهل جوزي عرف كل حاجة ، وخليه
هو يتصرف مع أهله .

ومن خلف دمعاتها عادت تقول في ألم:

حرام عليك .. دا أخويا ..

وصاح صلاح:

أخويا؟! وحياة ما وصلك آخر ليلة ، ووقفت جوا العارة تحت تقويله
بحيك يا هاشم .. وطلعتيلي بعدها واتني مفتوحة بالعياط .. أخويا؟!!

أينما يا صديقتي .. الحب يؤلم أكثر .. الحب لوعته أكبر .. الحب سكنين
نصلها دوماً أكثر شراسة وإيلاماً .. الكره دواؤه سهل .. في الكره نحمليين
نفسك بعيداً عن تكرهين لنهدأ أنفاسك .. ولكن أين يجتئ المشاق من
هواهم .

آه يا عابدة .. هل تذكرين كيف كنا أنا وأنت وهاشم سعداء منذ أعوام
قليلة .

الحب وحده أشقانا .. بالحب وحده أصبحنا ثلاثتنا بهذه التماسة .. هناك
أمور قد يراها البشر جيماً أموراً نافهة ، لا تستحق الألم والمعاناة ، ولكنها
تبقى وحدها أمل قلوبنا وعذابها .

لا تقضي من شعورك بالكراهية .. صديقتي إنه نعمة كبيرة ..

الحب وحده هو العذاب الكبير!!

دينا



ورأها تنظر إليه في ذعر .. وفي بحكم بذيء ، قال لها :

سمعتك في الإنتر كوم .. شئت الساعة لحقتها ، عشان أقولك تقفل الباب كويس .. سمعتك .. ربنا فضحك !

وفي ألم كبير عادت عابدة تقول :

وليه يعني لما أقوله بحبك .. ذا أعوي يا صلاح .. أخويا !!

ولم ينس صلاح بحرف .. تركها ليعود بعد لحظات ليرتدي ملابسه ، ويخرج بعد أن صفق خلفه الباب في عنف .

لن يدع «هاشم» يحضر .. لن يدع أمه أو أباه يحضرا .. كلها رأته عابدة تحولت إلى وجه آخر ، لا يريد أن يرى «صلاح» أبداً ملاعه .. لن ينسى كيف كانت تبدو وهاشم هنا .. لا يريد أن يتذكر أبداً كيف كانت ترقص عيناها كل صباح ، وهي تتعجل خروجه .. لقد رأها معه في أكسفورد .. رأى كيف كان يسير بها وذراعه حول كتفها .. لن يسمح بحضورهم أبداً ؟! لماذا لا يطلق عابدة ؟! لماذا حقاً لا يقذف بها خارج بيته ، بعد كل ما رأى وكل ما يعرف ؟! لأنه يعلم أنها لم تمنح جسدها لهاشم .. لأنه يعلم أن عابدة لم تغسها أصابع رجل سواء .. لماذا إذن يتهمها ويقسو عليها .. لأنها مغرورة .. لأنها جميلة أنيقة .. لأنها أفضل منه ..

ورفع صلاح حاجبيه في غيابة .. ليس هناك عل الأرض من هو أفضل منه .. هو يريد عابدة .. إنها تكسب وتتقن دون بخل عليه وعلى آدم .. إنها جعلت من بيته سكناً نظيفاً براقة .. إنها ثروة .. لقد رموها وقيل هو بها .. لقد لفظوها من فمهم .. وحملها هو إلى هنا .. لم يريدونها الآن من جديد ..

هاشم يحبها .. صلاح رجل ، ويعلم كيف يبدو الحب في عيون الرجال .. هاشم يحبها ، ربما كانت عابدة هي الوحيدة التي لا تعلم أن «هاشم» يحبها

.. صلاح لن يترك «هاشم» ، يعبت بها بحضوره وبهداياها الثمينة مرة أخرى .. عابدة ستصبح أقوى إن حضروا .. سبيلز مه وقت طويل بعد رحيلهم حتى تنكسر من جديد .. صلاح لا يريدهم جميعاً .. يريد عابدة البثيمة الوحيدة .. صلاح لن يتركهم يحضرون إليها أبداً !!

وصفق صلاح باب سيارته ، ويبحث بعينه عن كابينه تليفون ، ووقف إلى جوارها .. مازال محتفظاً برقم عبد المنعم الشيرازي ، بل إنه يعرف رقم موبائل هاشم .. لقد سجله عنده يوم حادثه هاشم ؛ ليخبره أنه في طريقه إلى المتصورة ليصحبه إلى المطار .. لكنه لن يحدث «هاشم» .. هو يريد هدى .. إنها مغرورة هي الأخرى .. يريد أن يحطم كبرياءها .. يريد أن يعلن لها أنه يكرها هي ووحيدها العاشق .. ولكن ماذا لو أجاب هاشم .. هو يريد «هاشم» أيضاً لكن هدى هي الأولى ..

ومن داخل كابينه الهاتف ، وبعد رنات كثيرة ، ابتسم صلاح في سعادة ..

إنها هدى !!



وأغمض هاشم عينيه ، وهمس «يارب» .. هل يمضي به وبها العمر ، وكل منها لا يجرو حتى على إعلان حبه .. إنه يعلم أنها تحبه ، ويعلم أنه يذوب فيها حبًا ، ولكن هل يمضي العمر بهما كتعامتين حقاواين ؟ لم يعد يعرف أبدًا .. إنه حائر تائه .. لكن يكفيه أنه سيرها .. يكفيه أن ينظر في عينيها المستديرتين الواسعتين .. يكفيه أن يتدفأ بصوتها الحاني .. يكفيه أن يرسم السعادة على وجهها ووجه آدم .. لقد اشتاق إليه واشتاق إلى توني وبيرت .

واستدار هاشم بعينه ، ينظر إلى الهدايا التي اشتراها لتوني وبيرت .. حتى كريستين لم ينسها .

عائدة وهاشم حسبهما هذه الرسائل .. حسبهما هذه الأيام كل عام .. هناك بشر يحيون العمر مقًا دون سعادة .. دون إحساس .. هاشم وعائدة يتزودون من رسائلهم بالحياة .. يتزودون من لقاءهم السنوي بالطاقة ، التي تحركهم عالمًا بأكمله .. لقد بدأ يكتفي حقًا بهذا ..

وتسلل إلى أذني هاشم صوت هدى ، وهي تصيح في جنون .. كان واضحًا أنها تصرخ باكية .. وانطلق هاشم كالجنون خارج غرفته ، ليراه تضع موبايها على أذنها ، ودموعها تنساب في جنون على وجهها ، ووقف شدوها أمامها لسمعها وهي تصيح :

ولا كلمة .. ولا كلمة حاصدها .. خلاص أنا عرفت كل حاجة .. يا خسارة العمر اللي قضيت في حضني ..

كان وجهها شاحبًا وأنفاسها تتلاحق في جنون .. كان صوتها يرتعش كما لم يسمعه هاشم يومًا ، وعادت هدى تصرخ من خلف صوتها الباكى الجريح قائلة :

أوعي تحلفي .. أوعي تحلفي يا عائدة .. ما تحلفيش .. أنت الكبيرة .. أنت العاقلة .. دا لو هاشم غواكي إتبت تفوقيه .. أنت تلطميه على وشه

«الحب من الوريد إلى الوريد» .. أحد أعمال غادة السمان غير الكاملة ، كما أطلق على هذه السلسلة .. كتاب أغلقه هاشم في هدوء ، وهو يضعه على جوار أشياء أخرى كثيرة ، كان قد ابتاعها ليأخذها إلى عائدة وآدم بعد أيام ..

نهض هاشم ليقف كمادته خلف نافذة غرفته ، يربق حدائق الميرلاتد .. لا يصدق .. بقي أسبوع واحد سيرى بعده عائدة وآدم .. بعد غد يسافرون لقضاء خمسة أيام في باريس ، ثم يتوجهون إلى لندن .. سيرها .. سيأخذها بين ذراعيه ، ولكن في هذه المرة هو يشعر باطمئنان أكبر .. لن يكون وحده .. هدى ومنعم معه .. لن يضعف .. لن تكون هناك فرصة أبدًا لأن يرى تلك النظرة التي رآها في عينيها في غرفته بالفندق تلك الليلة .. لن تولد فرصة ليقترب من شفتيها كما اقترب وابتعد .. هذه المرة متمضي الزيارة في سلام .. ولكن هو يمتنى حقًا لو يجتلي بها ..

من يعلم ؟؟ قد تعلم هدى أنه كذب عليها ، عندما أخبرها أن عائدة سعيدة مع صلاح .. في هذه المرة قد ترى هدى بعينيها كم عائدة تعيسة .. من يعلم .. قد لا تتركها هدى .. قد تعود بها .. قد تتركه يتزوجها .. وانفض جسد هاشم ..

لن تفعل هدى .. إنها لم تفعلها عندما كانت حرة طليقة بينهم .. فهل تفعلها وهي زوجة .. وأم مسئولة عن طفل لم يعد له سواها ..

والله كذب .. كذب .. عابدة ما دخلت الفندق ، غير مرتين مرة مع آدم
ومرة ثانية .. ليلة .. ليلة ..

وقاطعت هدى ، وهي تمسك بصدورها قائلة:

ليلة ما رجعتها لجوزها وش الصبح ، ووقفت تبكي على باب البيت
وتترجأ ما تسافر .. وقفت تحضن وتبوس فيك وتقولك بحبك!!

كانت أنفاسها لاهثة متقطعة .. كانت هدى تمسك بصدورها ، كأن سكيناً
حاددة تمزقه .. واقترب متعم من هدى في ذهول قائلاً:

اهدني يا هدى أرجوكي .. وهو صلاح سكت على الموضوع دا كل
الشهور دي ليه .. ما فكرش غير النهاردة!؟

وعادت هدى تحاول النقاط أنفاسها المتقطعة ، لتقول في ألم واضح:

عناجلها عشان ابنه .. مش عايز يرميها ، لأن طلعت هو اللي ترجاه
يتجوزها .. مش عارف يوديا فين ، لأن برضة عارف إنني أنا اللي طلبت من
طلعت ياخذها .. الفلاح طلع أصيل واحنا .. احنا ولاد الناس طلعتنا زبالة
.. زبالة .

ورفعت عينيها تنظر إلى متعم قائلة:

مش راضية تخلف ، ودا مش راضي يتجوز .. جوابات وتليفونات واحنا
.. احنا رايمين عشان ناخذها في حفستنا ونساعدنا .

وعادت هدى تدفع «هاشم» بكفيها ، وهي تصيح:

أوعى من وشي .. أوعى من وشي .

وابتعد عنها هاشم في ذهول ، وعندما حاولت هدى النهوض ، سمعوها
تصرخ قائلة:

وتصحبه .. أنت متجوزة .. في ذمة راجل .. عارفة يعني إيه ذمة راجل ..
بتصلي إزاي؟! بتفري قرآن إزاي ولا كيان نسبت الصلاة والقرآن .. ليه ..
ليه .. كنت قدامه وكان قدامك .. لو كان ينفع كان اتجوزك .. لكن دلوقت
وإنت ست وإنت مراه راجل ثاني .. ابعدي .. ابعدي يا عابدة .. انسيتنا ..
انسيتنا يا عابدة روحى استغفري ربنا ، ويومى إيد الراجل اللي شاركي
ويبيكي عشان عايزك .

شعر هاشم أن سكيناً تشق صدره .. شعر أن نهرًا من الدموع يتضرع من
عينه .. عابدة متذبذبة هذه الكلمات .. واقترب من هدى في ألم ، وأمسك
بلراعها ، وهو يبكي قائلاً:

لا يا ماما .. حرام .. عابدة .

ورفعت هدى ذراعها في الهواء ليطيح هاتفها الصغير ، ويرتطم بزجاج
أحد طاولات الريسشن ، وهوت بكفها على وجه هاشم في جنون ، وهي
تصيح بلاوعي:

ما عرفتش أريك .. ما بتخافش ربنا .. من إمتى دا يحصل بينكم
يا هاشم .. من إمتى!؟

وفي لحظة ، كان متعم يركض نحوها ، ليرى هدى تلقي بجسدها في
تهالك شديد على أحد المقاعد ، وقالت في صوت متقطع:

صلاح .. صلاح جوز عابدة اتكلم .. بيجراني ما نسافر .. عابدة
وابنك بينهم علاقة .. عابدة ماكانتش بتروح شغلها ، طول ما هاشم كان
هناك .. بتوصل الولد الصغير المدرسة وتقضي اليوم كله معاه .. في الفندق
.. في سريره!

واقترب هاشم من هدى في جنون ليجلس على ركبته .. وأمسك بركبتيها
بكفيه قائلاً:

منعم .. الخفتي يا منعم ..

وركنى منعم نحرها ، وهو يقول:

إلهدي أرجو كي يا هدى ..

وعاد هاشم يجلس أمام هدى ، وهو يحمل مصحفًا صغيرًا ، التقطه من حلبة من الفضة ليقول:

والقرآن الكريم ذا ما حصلش بينها وبينى حاجة .. والمصحف يا أمي أنا وعابدة .

وكأنها تئن قالت:

إحلف أنك ما تشوفها ولا تكلمها عمرك كله يا هاشم ..

كان وجهها يتصبب عرقًا غزيرًا ، اختلط بدمعها الكثيف ، وبكى هاشم ويده على المصحف الشريف ليقول:

والله ما حكلمها ولا أشوفها بس صدقيني ..

كانت هدى تحاول أن تبدأ ، لكن كان الألم أقوى منها ..

حاولت أن ترفع ذراعها لتضع كفها على رأس هاشم .. حاولت أن تخبره أنها تحبه .. أنها حقًا تمني لو كان صادقًا ، لكنها ما استطاعت ، وأطلقت صرخات صغيرة حادة من الألم ، الذي كان يشق صدرها ، وصاح منعم يسألها عما تشعر به ..

هو يعلم أن هدى تعاني من ضغط حاد ، وسكر مزمن ، بالإضافة إلى ضعف في عضلة القلب ، وتصور في الشريان التاجي .. هو يعلم أن ما سمعته أكبر من أن يحتمله قلبها ، وصاح منعم في جنون:

بللا يا هاشم .. أمك لازم تروح المستشفى ..

هدى!!

ونظرت إليها هدى من خلف دموعها ، وهي تحاول أن تقاوم الألم لكنها شعرت بعجزها .. وانكأت هدى على ذراعي منعم ، ونظرت بطرف عينيها إلى هاشم ، الذي كان يرتعد خوفًا عليها ، وقال في صوت بالك:

نروح مستشفى كليوباترا يا بابا؟!

وبصوت متقطع ضعيف ، قالت هدى:

مافتكرش إني حاو صل أبدا!



كان حقاً يظن أن «هاشم» أخذه، وأنها استسلمت له، فهو رجل لا شرف له ولا رجولة فيه .. في كلتا الحالتين صلاح رفاعي دنيء يستحق الإعدام، ولكن ما عساهما تفعل؟! أين تذهب وماذا تحكي أو تقول؟!

عائدة لن تفعل شيئاً قبل أن يعود صلاح .. قبل أن تبصق في وجهه وتسمع منه ما قاله لهدى .. من يعلم رباً حدث «هاشم» أيضاً ..

وعادت دموعها تنهمر في قسوة أكبر .. ألا يكتفي أنه يقتلها صباح مساء .. ألا يكتفي أنه يسحق عمرها تحت حذائه .. لم يقتل «هاشم» معها؟! لم يقتل هدى و«منعم» دون ذنب، سوى جهم واحتضانهم لها؟!

تكدح تموت .. تتمنى لو تصرخ .. عائدة تتمنى لو تحطم حي ناين إلز بأكملة، وتحوله إلى شظايا صغيرة .. وبطرف عينها رمت آدم، الذي جلس إلى جوارها في صمت، ودمعاته تسقط على وجنتيه .. ليتها لم تره .. ليت لم يحضر .. لو لم يكن آدم هنا، لربما استطاعت عائدة أن تحب «هاشم» بحبها .. ما هي تعترف بحبه .. نعم تحبه .. لو لم تحبه عائدة يوماً لأحبته الآن .. لعشقه الآن بعد أن رأت مع أي دنيء تحيا .

وسمعت عائدة صوت باب بيتها يفتح في هدوء، ومن خلف دموعها رأت «صلاح» يقف أمامها، وعلى وجهه شبح ابتسامة .. صلاح تهمز له الابتسامة كلها رآها حزينة أو باكية .. وفي لحظة اشتعل بركان حريقها .. اشتعل بركان غضبها وصمتها .. ما عادت تشعر بالانكسار .. ما عادت عائدة زهرة أو بياض .. في لحظة شعرت أنها بركان وطوفان، ووقفت أمام صلاح تنظر إليه بعينيها الحمراءوين، المغسولتين بالدمع والألم لتصبح في جنون:

عملتها .. عملتها يا صلاح؟!

لم تفتح عائدة فمها بكلمة منذ عودتها إلى البيت بصحبة آدم .. جلست تبكي في صمت كبير على الأريكة السوداء .. مازالت ترتدي الجاكيت الجلدي الأسود الذي كانت ترتديه منذ الصباح .. كانت صامتة باكية تعبت بهاقتها الصغير بين أصابعها .. أه لو تستطيع أن تحدث «هاشم» .. فقط لو تستطيع .. وأعادته وضع الهاتف في جيب معطفها .. لن تحدثه قبل أن يأتي صلاح .. قبل أن تعلم وتفهم .. قبل أن ترد اعتبارها واعتبار هاشم وتذبحه كما ذبحها .. بعدها سترحل .. لقد وضعت جوازتي سفرها المصري والإنجليزي في جيب الجاكيت الداخلي .. لن تبقى هنا ليلة واحدة، رغم أن آدم سأله عشرات المرات .. إلا أنها أبداً لم تحدث ولم تفكر حتى في العودة إلى عملها .. منذ حادثها هدى من ساعات، وهي لا تتوقف عن البكاء .. لا شيء يملأ في رأسها سوى كلمات هدى وصرخاتها .. ماذا قال لها صلاح .. هل حقاً كرهها .. هل حقاً أصبح من المحرم عليها أن تراهم أو تحدثهم .. هل صدقوه؟ وهل هو كاذب؟! هل اخترع صلاح قصص الخطيئة عنها وعن هاشم، أم أنه حقاً يصدق أن هذا ما كان يحدث بينهما .. لم استبقاها إذن؟!

لم كان يعاشرها ويقبل تقودها ويقادها معه .. إنه أكثر دناءة مما كانت تتصور .. إنه أحقر من أمة سامية .. لو كان حقاً يعلم أنه كاذب واتهمها بالخطيئة، فهو كلب دنيء يستحق أن يقتلوه .. ألم يرمها بها ليس فيها .. ألم يتهمها في شرفها، وهو يعلم أنه كاذب .. وإن كان يعلم أنها حقاً أئمة .. إن

رغم دعمها إلا أن «صلاح» كان يرى في عينيها بركاناً لم يره يوماً من قبل ،
ورمى بجسده على المقعد المجاور للاركة السوداء ، ليقول في الامبالاة:

وفرت عليك .. عملت الي انت ماقدرتيش تعمليه .. عملت الي لازم
يعمله أي راجل عنده كرامة وشرف .

وذهبت عايدة إلى حيث يجلس لتصبح في غضب:

كانت فين الكرامة دي ، وكان فين الشرف دا طول الشهور الي فاتت ..
هاشم كان هنا من شهور ، والا اكتشفت إني باخونك معاه امبارح .

ونعش صلاح ليمسك بذراعها في قسوة ليصبح:

اخصري واتلمي واحدي ربنا إني عاقل وما عملتش فيك ولا فيه حاجة.

وانفجرت عايدة تهلل بصيحاتها ، في جنون وغضب ، قائلة:

عاقل!؟ تعمل!؟ عارف الحاجة الوحيدة الي ممكن تعملها إيه عشان تثبت
إنتك راجل يجد يا صلاح .. تموت .. تموت يا صلاح فراغي .. موت .. لأن
مالكش معنى في الحياة .. قوللي بتعمل إيه في دنيتك .. بتسوق تاكسي!؟
مليون واحد ممكن يعملوا كدا .. بترتي ابنك .. أبداً .. أنا لو جيتلك كرامة
من كراريس مدرسته مع واحدة ثانية ، مش حاتمرف خطه من خط صاحبه
.. بتتكلم معاه!؟ عمرك .. بتسمعه!؟ عمرك .. بتعلمه مبادئ؟ قيم؟ مثل؟
إزاي!؟ إذا كان أنت نفسك ما تعرفش حاجة عنهم .. يبقى تعيش ليه!؟
بتصرف عليه!؟ أبداً أنا .. أنا بقيت بصرف عليه وعليك .. تعيش ليه!؟

كانت عايدة تصرخ في جنون ، وكلما سقطت دموعها رغماً عنها ، زاد
غضبها وجنونها ، وعادت تصبح كأنها تنن:

تعيش ليه؟ عشان عندك بيت وست عابشة في حماك .. أبداً .. دا ماكشش
بيت .. دا كان زريبة من زرايب عزبة الشال .. ست!؟ لا عمرك صرفت

علي ولا عمرك حنتي .. دا أنت بترميني من الصبح لغاية بالليل في حنة
معفنة زي دي أجري فيها ، واشتغل عشان أجيب فلوس واقتحلحك بيتك
.. فقهمني تعيش ليه!؟ يا أخي موت موت .. الموت هو الحاجة الوحيدة الي
ممكن تعملها عشان تقول إنتك راجل .. راجل عرف إن مراته مرافقة عليه
ماقدرش يقتلها قتل نفسه .. مش أنا برضه مرافقة هاشم!؟

وذبحته الدعشة من كل كلمة قالتها عايدة .. لم يكن يظن يوماً أن هذه
الصامطة الرقيقة يمكنها أن تقول كل هذا ، ومن بين دهشة ، قال صلاح:

أنا ما قتلش كدا بالضبط .. أنا لو متأكد أن بيتكم حاجة كنت قتلتك
وقتلته .

وصاحت عايدة في جنون:

تبقى سافل أكثر .. تبقى كلب أكثر .. مش متأكد يبقى تخرس لغاية
ما متأكد .. مش تهتم إنسان كل الي عمله أنه كرمك ، وكرم ابنك ، ودخل
بيتك جابيلك هدايا .. مش متأكد يبقى تخرس وما تقتلش أمه وأبوه .. الي
أنت عملته دا اسمه قذف في شرع ربنا .. عارف عقوبته إيه؟ لكن تعرف
شرع ربنا منين .. مش باقولك حلك الوحيد إنتك تموت ..

وأسرعت عايدة بخطاها نحو باب البيت ، لتسمعه يصيح من جديد:

رايحة فين! الساعة داخلة على تسعة .. رايحة فين!؟

والثقت عايدة تنظر إليه من خلف دموعها قائلة:

رايحة في داكية .. لو كلاب الشوارع أكلتني يا صلاح أشرف من حيان
معاك .

وأسرع آدم يمسك بيدها قائلاً:

عايدة؟! ما تخرجيش دلوقتي .. أرجوكي ..

ونفست عايدة يد آدم ، وهي تقول:

آدم .. ذا أبوك .. وأمك زمانها راجعة ، وحتاخذك .. أنا لازم أمشي ..

سيبني ..

لم تسمعه عايدة وهو يبكي .. لم تسمعه عايدة ، وهو ين من ذراع صلاح التي أمسكت به في قسوة لترمي به بعيداً .. لم تسمع شيئاً سوى صرخات مبهمه ، وكلمات جارحة وقف صلاح يقذف بها إلى أذنيها ، وهي تركض على سلام البيت لتجتاز باب العمارة ، وتواجه شاة فبراير وقسوته .

خرجت وهي لا تشعر بشيء سوى الألم والامتحان والخوف .. كانت تسرع بخطاها في شوارع الحي المربوه ، خوفاً من أن يستوقفها أحد .. كانت تركض ولا ترى سوى دموعها .. لم تشعر عايدة أبداً بأن الأمطار كانت تنهمر في جنون على رأسها .. كل ما كانت تشعر به أن أمطاراً أكثر قسوة ، كانت تنزف من عينيها وفؤادها الجريح .

وقفت عايدة لحظة لتلتقط أنفاسها ؛ لترى جسر تشيلسي بأضوائه الجميلة أمامها ، وأطلقت ساقها من جديد لتعبه ؛ فلتبتعد عن هذا الحي بأقصى ما تستطيع .. إن كل خطوة تبعتها عنه ، هي خطوة تحطوها نحو الأمان .. نحو مصر .. نحو هاشم .. هاشم يعلم أنها مظلومة .. ستعود إليهم .. حتى إن لم يكن هاشم يريد بها ، فسيفيق دوماً معها وإلى جوارها .. هاشم هو أكثر من يعلم أنها مظلومة ، وأنها بريئة نقية .

ركضت عايدة كثيراً والأمطار تركض على جسدها ، وعرب من داخل عينيها .. ركضت حتى وصلت إلى المقعد ذاته ، في متنة تشيلسي ، ومرت بجسدها عليه في جنون .. كانت أنفاسها تتلاحق في صخب .. كان شعرها

الأشقر القصير يتصبب ماء من أمطار الشتاء .. كان النهر يموج أمام عينيها تحت أضواء المصابيح وسقوط الأمطار عليه .. وكانت هي ترتجف وتبايع تقطر ماء وحزناً ودمعاً ، وتحسست بأصابعها جيب معطفها القصير لتخرج منه هاتفها الصغير .. لا أحد عندها سوى هاشم .. لا أحد على الأرض يبهما سوى هاشم .. ستخبره أنها تركت «صلاح» وتركت آدم وستعود .. ليفعل بها ما شاء .

هاشم لا يجيب أبداً ، وعايدة تبكي في جنون أكثر ، وهي تعيد طلب رقم هاتفه .. كانت تصيح وتبكي وترجوه .. كانت عايدة تشعر أنها تموت برقاً وخوفاً ، وبعد أن طالت محاولاتها طلبت رقم منعم .. منعم سيسمعها .. منعم هو الآخر رجل عدل وقانون .. وجاءها صوته لتصبح عايدة كأنها تتوسل إليه قائلة:

بابا .. بابا أرجوك اسمعني .. أنا .. أنا عايزة أكلّم «هاشم» .

وفي لحظة سكت كل شيء في رأس عايدة .. حتى هدير أمطار سماء لندن ما عادت تسمعها .. حتى أنفاسها المبعثرة الضائعة ما عادت تسمعها .. كل ما كانت تسمعه عايدة هو صوت منعم ، الذي كان يبكي في جنون قائلاً:

اسمعي آت يا عايدة .. هدى ما استحملتش .. هدى ماتت .. كفاية يا عايدة .. كفاية!!



وقت كهذا إلى شوارع ناين إلز قد يكون جنونًا وانتحارًا .. إنه يعلم أن شيئًا ما قد يحدث له إن خرج وحده ليلاً .. ولكن عابدة لم تأخذ مظللتها .. عابدة وحدها تكي تحت الأمطار .. آدم لن يتركها أبدًا .. وأخرج آدم دراجته وفتح الباب لينطلق هو الآخر ، بعد أن وضع المظلة خلفه .. انطلق يقود دراجته في أقصى سرعة استطاعها .. سببحت عن عابدة .. أبدًا لن يتركها ..

كان يتلفت بعينه بحثًا عنها .. ربا دخلت مقهى ما .. ربا وقفت تحتمي من الأمطار تحت مظلة ما .. لكنه كان خائفًا .. وجوه كثيرة كانت تتحدق فيه .. أصوات كثيرة كانت تناديه .. وبلاوعي ، وكما اعتاد كل يوم عبر آدم جسر تشيلسي .. ربا ذهبت عابدة إلى المقهى الجديد الذي تعمل فيه في تشيلسي .. حتى إن لم تذهب ، سيطلب آدم من أحد زملائها في المقهى أن يساعده في البحث عنها .. جميعهم يعرفونه ، وجميعهم يحبون عابدة .

وما أن عبر آدم جسر تشيلسي ، ومز إلى جوار المنتزه الذي يجلسان به كل يوم مع توني ، حتى عاد يدراجته مرة أخرى .. شيئًا ما في رأسه الصغير أخبره أن يعود .. شيئًا ما في قلبه الصغير أخبره أن يعود ، وينظر إلى مقاعد المنتزه .. من يعلم !؟

ورأها .. رأها تجلس على المقعد ذاته أمام النهر ، والأمطار تسقط على رأسها ، وأسرع آدم يهبط عن دراجته ، وهو يحمل المظلة ليفتحها مسرعًا نحو عابدة ، وهو يصيح :

عابدة .. أنا آدم .. جيتلك شمسية يا عابدة ..

ووضع المظلة فوق رأسها .. لكنها لم تلتفت نحوه .. كانت عابدة تنظر إلى النهر في ذهول كبير .. كان جسدها يتتنفس .. كانت صامتة لا يتحرك لها جفن .

إنها العاشرة وأدم لا يتوقف عن البكاء .. ساعة منذ خروج عابدة ، وهو يبكي .. ساعة بأكملها ، وصلاح ينهره في جنون وقسوة ، ولكن آدم لا يتوقف أبدًا عن البكاء ..

وفي لحظة نهض آدم في جنون لينظر حوله ، كأنه يبحث عن شيء ما .. كان صلاح يضع صحنًا صغيرًا على الطاولة ، ويرقبه في غيظ كبير حيث صاح :

أسكت بقى .. شوية وحترجع .. مش حتلاقي حد يلعبها .. اللي زيك وزينا ما حدش يقبل بيهم غير واحد زي .. اخرس .

لكن آدم كان مازال يتلفت حوله في جنون ، ووقفت عينه على شيء ما حيث ركض يلتقط مظلة سوداء ، لها خطوط ملونة ، وصاح وهو يركض نحو الباب قائلاً :

عابدة ما معها شمسية .

وفي بلاهة نظر صلاح إليه ليقول :

هي يعني واقفة تحت مستنبة الشمسية يا عبيط !؟

وركض آدم يحمل المظلة على سلام البيت .. لن يترك عابدة أبدًا ، وعاد ينظر خلفه .. صلاح لم يأت وراءه .. وبها هو لا يهتم لأمر عابدة ، ولكن وحده آدم يجيبها .. لن يتركها وحدها تحت الأمطار أبدًا .. ووقف آدم ينظر إلى الشارع من خلف باب العمارة الزجاجي المعلق .. إنه يعلم أن الخروج في

كان توني يعمل عابدة على ذراعيه ، وهو يركض نحو سيارته وأدم يركض خلفها في جنون .. لم يكن يراها بوضوح .. كان صراخه قد علا صوته عندما سمع توني يخبره أنها محبوبة .. كان دمه يجعله يراها كظلال غائمة تتحرك أمامه .. كان يلهث ويكي ويصرخ ، ولم يسمعه توني عندما صرخ صرخة كبيرة ، بعد انزلاقه على الأرض وارتطام رأسه الصغير بأحد حجارة المتنزه الكبيرة ، وعندما وضع توني عابدة على مقعد سيارته الخلفي عاد يصرخ منادياً أدم .. لكنه لم يظهر ، فأسرع توني إليه ليلتقي به في منتصف الطريق .. كانت قطرات كثيفة من الدم ترحف على جبهته الصغيرة التي شق فيها جرح غزير طريقه خندقاً واسماً .. كان واضحاً أن الصغير وقع ، وشعر توني بالحنين كيف نسيه .. كيف لم يسمعه !؟

وأسرع توني إليه يحمله هو الآخر على ذراعيه .. لكن أدم كان يبكي في جنون ، وهو يسأل عن عابدة ، وفي لحظات كان توني وصل إلى المستشفى ، الذي يعمل به بعد أن أخبرهم ليطلب منهم انتظاره .. وحلوا أدم إلى غرفة العمليات لحياطة جرحه العميق ، وبقي توني مع عابدة ، ليخلع بيده عنها ملابسها المبتلة ، وهو يصدر تعليقاته بإجراء أشعة لصدورها ، والإسراع بحفظها بمخفض حرارتها التي أخبروه أنها تجاوزت الأربعين درجة .. كان جسدها ينتفض في جنون بين أصابعه من جراء الحمى ، ولكن حتى توني لم يكن يراها بوضوح .. كل ما كان يراه هو وجه سيلفيا ابنته ، التي ماتت هي

ووضع أدم كفه على ذراعيها ، وعاد يناديا ويمادنها .. لكنها بقيت صامتة مفتوحة العينين كأنها مذبوحة ، وبكى أدم .. بكى الصغير في جنون هل يذهب ليحضر «صلاح» .. هل يخرج ليطلب المساعدة من أي أحد يجده خارج المتنزه .. ولكن إلى أين يأخذها وأين يذهب بها .. هو أيضاً لا يريد العودة إلى صلاح أبداً ، ووضع كفه الصغير على كفي عابدة المغلقتين ، ليقول وهو يبكي متوسلاً:

عابدة .. ردي عليا .. أرجوكي .

وعاد يعبث بكفها ليفتحه .. ورأى هاتفيها الصغير بين أصابعها ، وأمسك به أدم ، وأخذ يقلب في أرقامه من بين نحبه ودموعه ، وفجأة وقفت عينيه على رقم ، طلبه أدم ليكي بعد لحظات صارخاً:

توني .. توني أرجوك تعال .. أنا وعابدة هنا في تشيلسي بارك .. عابدة ما بتردش يا توني .. أرجوك .. أرجوك .. بسرعة !!



الأخرى بين ذراعيه عقب ولادتها ليتر .. واقترب فيليب أحد الأطباء منه ؛
ليقول في أدب وتصميم:

سير .. من فضلك أنا حاتعامل مع الحالة .. أنت محتاج هذا .. أرجوك
سير .. أنت مش حتعرف تعمل حاجة في الحالة دي .

وصاح توني قائلاً:

سيلفيا مش حتموت .. مش حتموت .

وأغمض فيليب عينيه في ألم ، ثم عاد يفتحها ، وهو ينظر إلى وجه عابدة
.. إنها حقاً تشبه سيلفيا ابنته ، وعلم سر انفعاله واضطرابه ، رغم الهدوء
الكبير المعروف عنه ، واقترب د . فيليب منه ليريت على كتفه في حنان قائلاً:

طبعاً مش حتموت .. أطمئن وأرجوك تطلع تستريح .. هو أنت ماعندكش
ثقة فيا ولا إيه؟

وأدرك توني في لحظة أنه يجب أن يترك الغرفة ..

أدرك في لحظة أن طاقم الممرضات والأطباء حوله يرونه يبكي ويصيح
كالأطفال .. وعاد ينظر إلى وجهها المرتعش إنها عابدة .. إنها عابدة وليست
سيلفيا .

ونكس رأسه في خجل كبير ، ليخرج من غرفة الطوارئ في صمت ،
للتبعية إحدى الممرضات ، وهي تقول:

سير والتر .. حاجيب لحضرتك هدوم تغير بدال هدومك المبلولة ..

ورفع توني كفه ، وهو يقول:

أنا رايح أشوف آدم .. مين معاه؟ مين بيعمله خياطة الجرح؟

ولم ينتظر إجابة .. إنه يعرف كل من في المكان والكل أيضاً يعرفه ..
توني ليس الدكتور توني .. إنه سير توني والتر .. إنه من كبار مستشاري هذا
المستشفى وغيره .

التقى توني بجسده على مقعد أمام فراش آدم ؛ ليمسك بكفه الصغير بعد
انتهاء خياطة جرحه العميق .. كان آدم في وعيه ، وكان يبكي ، وكان توني
يحاول تهدئته ، بعد أن أخبره أن عابدة بخير ، وأن حرارتها أفضل ، وأنه بعد
أن يرتاح آدم سيصحبه إليها ، ولكن آدم عاد يقول وهو يتالم:

أنا مش عاوز عابدة تموت يا توني .

ونكس توني رأسه ليقول في ألم بعيد:

سيلفيا بنتي ماتت ، وأنا كيان مش عايزها تموت ..

ونظر آدم إلى وجه توني ليشهد تلك الدمعة ، التي فرت من عينيه الصغيرة ،
ثم قال كأنه يطلق سراح سر طال سجنه قائلاً:

أنا كيان أمي ماتت ، ومش عايز عابدة تموت ..

والثقت عيناها وكلاً منهما يسأل الآخر .. لم يمر توني عابدة سيلفيا ولم
يراه آدم ماري؟

واقترب توني من آدم ليمسك بكفه في حنان وأغمض عينيه .. عابدة
بحنانها عليهم .. عابدة بتقائها معهم أحبت في قلب توني سيلفيا ، وأعادت
إلى رأس آدم ماري من جديد .

وقبل أن يسأل توني آدم عن ماري وعن سر ما يقوله ، جاءه صوت آدم
الباهي يسأل من جديد:

هي عابدة جرائها إيه؟

وقال توني بعد أن كسا صوته الحدوء:

التهاب شعبي حاد من البرد والطر .. بس حقيقي هي كويمة .. أول ما تصحى ، حيلغونا ونروحلها سوا .

ثم عاد يقترب من آدم قائلاً في حنان:

آدم .. احكي لي إيه اللي حصل لأمك!؟

عندما فتحت عابدة عينها ، في الصباح الثاني عل سعالها المزم ، لم تجد أحداً حولها في غرفتها بالمستشفى .. واعتدلت بظهرها قليلاً ، وهي تحاول أن تستعيد كل ما حدث في رأسها .. إنها تذكر كل شيء لكنها لا تفهم أي شيء .

صور وأصوات تتلاحق في رأسها .. آدم يبكي ، والمظلة في يده ، وهو يرجوها أن ترد .. توني يصبح منادياً ابنته الراحلة .. صلاح يتهمها .. رنين هاتف هاشم ولا أحد يجيب .. صوت منعم يبكي في جنون ..

وانتفض جسد عابدة ، كأن بركاناً عصف به ، وهي تقف برأسها عند صوت منعم وهو يصبح «هدى ماتت» .. وأحاطت عابدة جسدها بذراعيها لتبكي في نحيب مرير .. لم يبق في رأسها شيء سوى صوت منعم ، وهو يتردد في كيائها بأكمله صائها: «هدى ماتت» .. وأحكمت عابدة ذراعيها حول جسدها ، وهي تمز رأسها في عنف ، ودفعها بتطاير حول وجهها في جنون .. ماتت هدى .. ماتت أمها .. ماتت دون أن تعلم أنها بريرة .. ماتت دون أن تعلم أن عابدة لم تنس أبداً ما علمته إياها من مبادئ وصلاة وقرآن .. ماتت هدى دون حتى أن تراها عابدة .. ماتت!؟ لا .. أبداً!! هدى قُتلت .. صلاح قتلها .. عابدة قتلتها!! ضمتها هدى ومنحتها الحب والأمان ، وأنقذتها من براثن شلبية لقتلها عابدة في النهاية .

وعلا صوت بكائها لتخرج من شفاهاها ، الغارقة في دمعها ، آهات جريئة أليمة زادت من سعال عايدة المكتوم ، لتشعر بأنها تنفس بصعوبة كبرى ، وشعرت بباب الغرفة يفتح ليطل توني من خلفه بابتسامة صغيرة ، ماتت حين رآها ليسع نحوها ، وهو يسألهما في لفظة عما تشعر به ..

وهذأت عايدة بعد لحظات .. هذأت لتستعيد أنفاسها المتقطعة وجلس توني إلى جوارها ، عسكاً بكفها الأبيض الرقيق ليقول في ألم :

عايدة فيه إيه ؟! احكي يا عايدة أرجوك ..

ونظرت عايدة حولها ، ثم قالت في صوت خفيض :

آدم فين ؟!

وبتنهيدة خرجت من صدره ، قال توني :

زي ما اتفقنا امبارح خدته عندنا البيت .. هو مع كريستين دلوقتى .. عايدة اتكلمي إيه اللي حصل ؟!

ورأى توني دموعها تنفجر من جديد ، ومد ذراعه حولها ليأخذ برأسها عل صدره ، وسمعها تقول :

أمي ماتت .. أنا قتلتها يا توني .. ربتي وكبرتي عشان اقتلها .. تصور ؟!

ماتت وآخر حاجة قالتها إنها مش عايزاني .. إنها بتكرهني ..

وأخذ توني يدها في حنان ويساعدها لتعتدل أكثر ، وابتعد عنها قليلاً ليسمعها تحكي له عن كل شيء ..

كم مضى من الوقت وعايدة تتحدث .. لا أحد منها يعلم .. لكن عايدة فتحت له باباً كبيراً ، دخل منه توني ليرى ويتجول في حياتها لحظة فلحظة ، ويوماً فيوم .

أخبرته عايدة كل ما حدث .. حدثه عن صلاح .. عن علاقتها عن زواجها الذي لا زواج فيه .. حدثه عن هدى ، عن منعم .. حدثه حتى عن شلبية وأبنائها .. وبكت كثيراً ، وهي تغبره عما فعله صلاح .. عن خروجها من البيت .. عن جواز سفرها الذي كانت تعمل في طبقات ملايسها لتعود به إلى هاشم ، الذي ظلمه صلاح وظلمها لتموت هدى حزناً وألماً ، كما أخبرها منعم ..

وبعد أن انتهت عايدة من كل ما كان ييشم على صدرها ، قالت من بين دمعاتها :

توني .. أنا مش خارج لصالح .. أرجوك تشوفلي أوتيل ، أنزل فيه أنا وأدم لغاية ما نلاقي مكان ..

وقال توني في هدوء :

مش حاترجعي هاشم ؟!

ورغم دمعها .. رغم ألها ، إلا أنها شهقت ونظرت إليه قائلة في ألم كأنها تنن :

هاشم ؟!

وعاد توني يقول في هدوء :

أيوه هاشم .. مش أنت اأخذت جواز سفرك عشان ترجعيله .. مش سبتي «صلاح» ، وسبتي البيت وحتى آدم ما فكرتيش فيه وقررتي ترجعي هاشم .. مش برضه أنت قلتي إن أول حاجة عملتها بعد خروجك من البيت ، إنك طلبتيه هو ولما يأسني من أنه برد عليك كلمتي أبوه ، وبرضه ما حاولتيش حتى تشرحيله حاجة .. كلمتيه عشان يخليكي تكلمي «هاشم» صح ؟! مش دا اللي قلتيه يا عايدة .. يبقى إيه اللي اتغير ؟ عايزة أوتيل ليه ؟ أرجعي هاشم .

وقلة حيلته .. وحذك يا عايدة من تستطيعين القيام بهذا .. وحذك تستطيعين

إنتقائه .. هاشم يموت!!

حادثيه وحادثيني ..

عايدة:

أنتكل منعهم يحاول الصمود .. حسن وماما ، رغم كل ما فيها مازالا معي ،
ولكن «هاشم» لن يساعده سواك .. بتنتلني أن أطلب منك المساعدة ، رغم
علمي أننا هنا جميعًا ، وأنت وحذك هناك تبكين!!

ولكن من أجلها .. من أجل ما متحتنا جميعًا اجتازي الألم ، وكوني
جوار هاشم ..

وحذك رغم الألم أقوى منا وأقرب إلى قلبه وروحه ..

عايدة:

أنت الآن أم اليتامي!!

دينا



عايدة:

مضت ثلاثة أيام لم نكف فيها جميعًا عن محاولة الوصول إليك لمحادثتك
.. هاتفتك دومًا مغلق .. حسن يريد تعزيتك ، رغم أن العزاء لنا جميعًا .. أنا
أيضًا أريد أن أضمدك إلى صدري ، وإن كان هذا عبر الهاتف ..

أمي ممزقة يا عايدة .. منذ رحيل طنطظ هدى ، وهي أكثر ذعولًا وصمتًا
وكلما تحدثت كانت كلماتها عنك ..

رحلت أمنا جميعًا .. رحلت السيدة التي كانت أمي وأمك ، وأعتبرها أتما
لأمي في مرضها .. رحلت أمنا يا عايدة ..

أه لو تعلمين ، كيف نجلس أنا وأمي وحسن وأنتكل منعهم نكي ، ونحن
ننظر إلى هاشم ، وهو يلوب أماننا حزنًا ودمعًا وألمًا ..

عايدة حادثيني أرجوك .. حادثيني ما بين الألم يكفيني .. حتى تختار
الصغير ، يسأل عنها ويكي حين لا يجدها ..

عايدة:

هاشم اليوم بحاجة لأن يجد من تمسح أحزانه بكفيها ، كما كانت أمه
تمسح دومًا أحزاننا .. لو كانت أمي كما كانت في الماضي ، لقامت بهذا الدور
فوحذك تعلمين كم تحب «هاشم» وتحبك ، ولكنها اليوم في ضعف تختار

ليجلس على أحد المقاعد ، وأخذ يرقبها وهي تطرق باب هاشم في لحظة ، وأغمض عينيه لتسقط دمعاته .

كم هو قائم البيت دون هدى .. كم هي الحياة بأكمفها قائمة .. رحلت هدى ولبتها رحلت كما يرحل البشر .. لكنها رحلت لتترك خلفها دُخانًا أسود ، يخنق به هاشم ومنعم كل لحظة .

إنه اليوم الثاني لهم بعد عودتهم إلى المكتب ، بعد أكثر من أسبوع على رحيلها .. هاشم يتحرك بصعوبة لكنه صامد .. كل شيء كما هو ، لكن أيضًا لا شيء كما هو .. هاشم لم يتحدث لحظة عن عايذة أو عن القصة ، التي حدثت .. هاشم أخبر منعم هذا المساء ، في المكتب ، أنه سيعمل أكثر وينجح أكثر ، وأنه سيجتاز الأزمة .. منعم يعلم أن «هاشم» يفعل هذا من أجله ، ولكنه يعلم أيضًا أن لحظة ستأتي يجب أن يتحدث فيها .. يجب أن يغلقها الصفحة السوداء ، التي كان موت هدى آخر سطورها ..

هدى !! وسقطت دمعات جديدة على وجنتيه ..

هدى ليست هنا بعد الآن ..

وعاد يرفع عينيه يرمق بها غرفة هاشم من بعيد .. لم تراها دينا حضرت وماذا تريد في هذا الوقت !؟

رفع منعم حاجبه في دهشة ، عندما رأى دينا تنقف خلف الباب في ترينج سباني اللون وأفسح لها الطريق ، وهو يقول:

إيه اللي مسهرك كذا يا دينا؟

وابتسمت دينا ابتسامة صغيرة لتقول:

أهلاً .. أنا عايذة هاشم .. اتعشيتوا يا أكل منعم؟!

ولحق منعم بها ، وهي تتجه إلى غرفة هاشم قائلاً:

دينا .. مافيش داعي تعملي أكل كل يوم ..

نجوى يتنقف الصبح معانا ومع هبة ، والطبايح حيرجع .. أنا وهاشم حندير أمورنا .

والتفت دينا إليه لتقول:

والله أزعل لو قلت كذا تاني .. صباح حتجيب واحدة قريتها ، عشان تبقى مقبلة معاكم .. اسمع حضرتك ، أنا حاربت كل حاجة لغاية عم علي ما يخف ويرجع .

كان يبدو أنها مسرعة .. كان واضحًا أنها متعبة ، وأنها أبقت نفسها مستيقظة لشيء مهم تريد «هاشم» له .. منعم يعلم أنها تنام في العاشرة .. بقاؤها حتى منتصف الليل يعني أن لديها شيئًا مهمًا حقًا .. وابتعد منعم عنها

ماما هدى لم تحت بل قتلتها أنا ..

أعلم أن «هاشم» ينتظر ، ولكن ما لا تعلمينه أنت أن «هاشم» قد يعاني
أنسى .. هاشم قد يتلع شُبا ، لكنه لن يحتمل بعد اليوم رؤيتي أو سماع صوتي .
أنا أثنى لو أثار روحي تحت قدميه .. ولكني أصبحت في حياة هاشم
المستحيل .

يوماً سيخبرك بابا منعم أو هاشم كيف قتلت صديقك الأم التي نكبتها
جميعاً ..

أنا تركت «صلاح» ، وأقيم الآن في بيت توني مع آدم ، الذي ماتت أمه
هو الآخر ..

دينا ..

إن قال لك هاشم يوماً إنه يكرهني ، فأخبريه أنني أصبحت أكرهني
أكثر ..

أخبريه أنني سأبقى العمر أثنى لو يصفح ويغفر ..

أخبريه أنني لا أريد الصفح لأراه أو ليضمني إلى صدره ، رغم حاجتي
له ولكن أخبريه أنني أريد الصفح ؛ لأنك يوماً من النظر داخل مرآتي دون
أن يصيبي الغثيان !!

عابدة

حين دخلت دينا غرفة هاشم ، تركت خلفها الباب مفتوحاً ، ووقفت
ترقبه وهو يذهب ليقلب خلف النافذة كعادته ، واقتربت منه في حنان لثرت
على كتفه في هدوء ، والتفت هاشم إليها ؛ لترى دمعا غزيرا يسقط على
وجتيه ، وهمت وهي تبكي:

كفاية يا هاشم كفاية ..

والقى هاشم برأسه على كتفها ، وقال في صوت منقطع:

مش قادر يا دينا .. مش قادر .. والله العظيم مش قادر .

كانت دينا هي الأخرى تبكي .. لكنها ما جاءت من أجل هذا .. دينا
قضت ساعات ، تنتظر عودة هاشم من أجل شيء آخر .. وبعد أن هدا هاشم
قليلاً ، أخرجت دينا من جيب بنطلونها ورقة ، وضعتها في يد هاشم قائلة:

أنا طبعت دي عشان تقرأها وتفهمني .. خذ يا هاشم اقرأ ..

دينا ..

هناك صفة قاسية تفقدنا البصر ، ولكن هناك صفة أكثر قسوة تعيده
إلينا ..

موت ماما هدى كان أقسى صفة وجهتها يد القدر لكياني .. لكنها
أعادت النور إلى عيني ..

وكان أنقى لدغت «هاشم» ليصبح في ألم:

دينا؟ والله أنا ما لمست عابدة والله ..

وقاطعته دينا في حدة كبيرة لتصبح قائلة:

حاجة من اتنين يا هاشم .. عابدة خانت جوزها وسلمتلك نفسها ، وأنت نسيت إنها اختك ، وحصل بينكم حاجة غلط .. جوزها عرف بعد كل الشهور دي ، وبلغ طنط هدى ، أو الحاجة الثانية إن عابدة نضيفه زيك وزى ما عرفتها وعرفتك .. والكلب ظلمها وظلمك وكلم طنط عشان أي غرض سافل في دماغه .. يبقى مين الكلب الحقيقي .. مين اللي انتظلم في القصة دي كلها؟

وقال هاشم كأنه أبداً لا يريد أن يسمع صوت العقل .. كأنه يريد حقاً أن يتحمل المسؤولية وحده .. قال هاشم في جنون:

عنده حق يا دينا .. عنده حق .

وعادت دينا تصيح في ذعر حقيقي:

عنده حق ليه؟ حصل بينكم حاجة؟

وعاد هاشم يصيح من بين دمعائه:

ورحمة أمي .. ورحمة أمي يا دينا ما لمستها ..

وأمسكت دينا بذراعه في قسوة لتصبح من جديد:

يبقى إيه؟ يبقى انت اللي موّت طنط هدى؟ إزاي؟ تبقى عابدة مجرمة إزاي؟ يبقى أنك لم تنعم ظالم ليه؟ طول الأسبوع اللي فات أقوله تعالْ نكلم عابدة بقولي لا .. ليه؟ إيه اللي جرى .. هو احنا نسيب «صلاح» ، ونشلق عابدة ليه .. ليه يا هاشم؟

أطبق هاشم على الورقة بين كفيه في ألم ، ثم ألغاه على الأرض في غضب، ليرفع عينيه ناظراً إلى دينا ، وهو يقول:

كلنا بتعذب يا دينا .. كلنا .

وحكى لها هاشم في اختصار كل ما حدث .. كان يستعيد تلك اللحظات التي صرخت فيها هدى ، وهو يصف نظراتها وألمها .. كان يصف لدنيا كيف أمسكت بكفه في المستشفى ، ودمعائها تهرب من عينيه ، كأنها تتوسل إليه أن ينسى عابدة .. أن يتركها .. أن يمحوها من أيامه ..

أخبر دينا كيف كان يبكي إلى جوار هدى ، وهي في العناية المركزة ، وهو يشتم طائفاً الرحمة .. لكن السماء أبت أن تمنحه إياها .. جريمته أكبر من الرحمة ، وعقابها كان موت هدى بيديه وبين يديه .

حين جلس بعدها هاشم على حافة فراشه ، اقتربت منه دينا ، وهي تقول بعدة زغم صوتها الدائم:

يعني إيه؟ عابدة هي اللي قتلت طنط هدى؟

ورفع هاشم رأسه ليقول:

لا يا دينا .. أنا اللي قتلتها ..

وعادت دينا تقول:

انت .. إزاي؟ عشان خرجت مع عابدة .. عشان يتحبها .. عشان تمت

صلاح عمل اللي هو عاوزه ويرغبه على جثة عابدة وجشك ليه ١٩ ليه لما بتتوجع بنضرب أي حد إلا اللي دبحنا .. وبعدين عايزة أقولك حاجة .. دا حتى يا أخي لو أنت وعابدة حصل بينكم حاجة مش غلطة عابدة ولا غلطتك .. يبقى غلطة الكلب اللي ما عرفش يغليها تحبه .. دي عابدة بترى ابنه .. بتشتغل وتصرف عليه .. عابدة كانت عنده .. كان ممكن ينسبها اسمك .. لكن في الآخر عمل ليه ١٩ فوق يا هاشم .. عابدة مش غريمتك .. اللي قتل أمنا هو صلاح .. صلاح .. نشق عابدة ليه ليه ١٩ نسب عابدة في ايده عشان يقتلها هي كان ١٩

وجاء صوت منعم يقول في هدوء:

عندك حق يا دينا .. عندك حق!!

واستدارت دينا لترى «منعم» يقف إلى جوار الباب .. لقد جاء على صباحها، ولم يشعر به، ونظرت إليه دينا في ألم، وهي تقول:

عندي حق .. طب وبعدين ١٩

وأرشى منعم عينيه، وهو يعلم ما تعنيه دينا، ثم قال بعد لحظات صمت قصيرة:

هاشم .. عابدة .

وصاح هاشم في جنون:

مستحيل .. مستحيل .. دا أنا أقتل نفسي قبلها .. مستحيل .

وخبطت دينا إلى خارج غرفة هاشم ولحقها منعم، وهو يقول:

دينا .. الوقت .. الوقت يا دينا حينداوي كل حاجة .

وقبل أن تخرج دينا، قالت في صوتها الباكي:

الوقت ١٩! الوقت حينداوي جرح هاشم وجرحك يا أنكل منعم .. ممكن .. لكن كل ثانية بتضوت من الوقت دا بتقتل عابدة أكثر .. كل دقيقة بتمر عليها، وهي مظلومة منبوذة بنشر قلبها ..

وأغلقت دينا الباب ليرغمي منعم على المقعد القريب، وبعد دقائق طويلة من الصمت والألم رفع صوته منادياً هاشم، الذي جاء ليجلس أمامه في هدوء؛ ليسمع منعم يقول، فهو يمد يده إلى هاتفه الصغير قائلاً:

أنا حاطب عابدة عشان أعزبها في أمها .. حتكلمها ١٩

ونظر إليه هاشم في حدة .. في جنون .. شيء ما في عروقه يصيح، وشيء ما يبكي ..

ردت عابدة .. وسمع هاشم «منعم» يقول في صوت خفيض:

عابدة .. شدي حيلك يا بنتي احنا كلنا معاك .

وانتفض هاشم من مقعده .. انتفض في جنون، كأن ناراً اشتعلت بين حناياه، وأسرع يصفق باب غرفته خلفه، ووقف يبكي في جنون ..

لم يبكي ١٩! هل يبكي لأن «منعم» يماذنها وهو يعجز عن سماع صوتها؟ هل يبكي لأن سداً كبيراً أصبح يفصل بينها وبينه .. أم تراه يبكي لأنه يعلم أن ما قالت دينا هو الصواب، وما فعله منعم شرازي هو الصواب ١٩! عابدة تركت «صلاح» ... عابدة أصبحت حرة .. أصبح من الممكن أن تعود عابدة إلى ذراعيه .. أصبح من الممكن أن تصبح عابدة زوجته .

ولكم هاشم الباب بقيضته في جنون .. أبداً .. عابدة هي المستحيل .. المستحيل!! ونظر إلى الورقة الملقاة تحت النافذة، وذهب إليها ليفتحها ويقرأها من جديد ..

رفع آدم عينيه الزرقاء لتسقط منها دمعة جديدة ، ونظر إلى عابدة قائلاً:
بلاش نروح يا عابدة .. بلاش ..

واقتربت منه عابدة لتضع ذراعها حول كتفه في حنان ، ثم قالت:

تاني يا آدم؟ تاني؟ لازم نروح .. ممكن تكون لسه عايشة .. آدم حتى لو
تعبانة ، من حقها إنك تكون جنبها ، ومن حقك إنك تشوقها ، ويعدين توني
حيروح معانا وحيساعدنا لو محتاجة أي رعاية طبية هو حيساعدها .. أنا
ممكن أعيش معاكم هناك ، أو نجيبها تعيش معانا .. آدم ..

وانفجر آدم في البكاء ليقول:

أنا خايف .. أوقات باحس إنها ممكن ترجع .. يمكن لسه بتعالج .. لو
رحت ممكن أناأكد إنها .. إنها .

وضمته عابدة إلى صدرها ، في قوة ، وعادت تقول:

الأملي حلو بس مش عل حساب غيرنا .. صدقتي ممكن نلاقها ..

وعاد آدم يمز رأسه في عنق ليقول:

مش حنلاقها يا عابدة .. مامي قالت أول السنة .. عذى كام شهر .. إحنا
في مارس يا عابدة .. في مارس .

مسكينة عابدة .. آه لو تعلم أنه مازال يجيها ، ولكن من منا يستطيع هدم
سد عال بحبه وأصابه الجريحة؟

عابدة أصبح لديها آدم .. عابدة مازال لديها ديننا ونجوى ومنعم .. أما
هاشم فلا شيء بقي عنده ، سوى امرأة ماتت بين ذراعيه ، وامرأة يموت هو
شوقاً إليها .. امرأتان تبقى عودة أي منهما إليه هي المستحيل ..

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

وعادت عابدة تقول في ألم:

يبقى ليه تعذب .. قوم يا حييبي اليس هدموك .. توني أكيد حيرن علينا
دلوقتي .. احنا مع بعض ، وحتواجه الموقف .. مش اتفقنا؟!

ونهب الصغير ليدخل إلى الغرفة ، التي يقسمها مع عابدة منذ أسابيع ومنذ
خروجها من المستشفى ، وتبعته عابدة بعينها ، ثم رمت بعينها إلى الحديقة
الخلفية لمتزل توني من خلف زجاج الصالة الصغيرة التي تجلس فيها ..

هدأت وسكنت روحها منذ جاءت هنا .. إنها لا تصدق أنها نجيا في هذا
المكان الهادئ الصغير .. توني وكريستين يشعرا أنها قدمت لهم صنيعة كبيرة
بقبولها السكن في هذا الملحق الخلفي الصغير .

آدم وبيتر يلعبان معاً كل يوم بعد انتهاء واجباتهم المدرسية ، ثم يحضران
إلى عابدة دوماً لتحكي لهما بعض قصصها ، بعد عودتها من العمل ، وفي
الثامنة يعود بيتر إلى جدته ؛ لتدخل هي وآدم للنوم في الغرفة الأنيقة الموجودة
في هذا الملحق ..

منعم ودينا يحادثانها كل بضعة أيام .. وشعرت عابدة أن نازاً هبت
رائحتها ، عندما تذكرت كيف سألت «منعم» عن هاشم بالأمس .. لكنه
أخبرها أن هناك دواء اسمه الصبر والوقت .. لو يحادثها هاشم مرة واحدة
.. لو يقل لها كلمة واحدة .. ومسحت عابدة دموعه سقطت من عينها ..
هناك أشياء أخرى مهمة يجب أن تصنعها عابدة الآن .. يجب أن تعلم ماذا
سيفعل صلاح معها ومع آدم .. أخبرها توني أن طلاقها من سهل ، هي فقط
بحاجة إلى حمام .. أخبرها أنه سيوفر لها أمهرهم .. لكن عابدة تعلم أن أجر
حمام ليس في استطاعتها .. هي تعلم أيضاً أن طلاقها من صلاح ليس صعباً
وأنها ستعلم كيف تحصل عليه .. حتى آدم .. بقاؤه معها ليس صعباً ، رغم

أن توني أخبرها أنها أبداً لن تحصل عليه بسهولة إن أرادت القانون .. عابدة
ليست أمه .. عابدة لن تكون حتى زوجة أبيه .. لكي تحصل عل آدم يجب
أن تثبت أن «صلاح» ليس أهلاً له .. يجب أن تقدم طلباً للتبني .. أخبرها أن
الطريق صعب وشائك .. لكن عابدة تعلم أن بقاء آدم ليس مستحيلاً .. من
قال إن صلاح يريد .. من قال إن «صلاح» يقبل إتفاق بنس واحد عليه ..
صلاح إن قال يوماً إنه يريد آدم ، فذلك سيكون فقط للضغط عليها ، ولكنها
ستعلم كيف تتعامل معه .. ما يشغلها الآن هو ماري .. هل ماتت حقاً ..
لقد أخبرها آدم هي وتوني أن أمه أعادته إلى صلاح ؛ لأنها اكتشفت مرضها
بالسرطان وانتشاره في جسدها .. أخبرها توني أنها كانت في مرحلة متأخرة
جداً ، وأنها أخبرت آدم ألا طريق آخر أمامها ، سوى أن تتركه لدى صلاح
حتى تعود وتخضع للعلاج ..

أخبرها آدم أن ماري قالت إنها ستعود إن نجحت ، وإن لم تعد فلا معنى
لهذا سوى أنها ماتت .

آدم وعابدة وتوني سيذهبون بعد لحظات إلى إكستر ديثن ، التي تبعد
حوالي 250 كم عن قلب لندن .. يجب أن يعلموا الحقيقة .

كم تمنى عابدة لو كانت ماري بخير .. وعاد جسدها ينتفض .. هل
تتائل للشفاء؟! هل مازال أمامها بعض الوقت؟! ماذا سيفعلون؟!

لا تعلم .. لكنها تعلم أن الحقيقة يجب أن تظهر .. أن الأمور يجب أن
تتجلي .. وأن الألم يجب أن يراجعه ويظهر .

وجاءها صوت هاتفها يخبرها أن توني في انتظارها ، وأقبل آدم وهو
يرتدي بنطلوناً كحلياً ، وعليه قميص وردي ، وسارعت عابدة تحضر له
بلوفر من غرفتها ؛ لتمسك بكفه الصغير بين أصابعها في حنان .

عابدة .. أنت هدية يا عابدة .. هدية .

ونظرت إليه عابدة لتسقط من عينها دعة صغيرة ، ألقت بعد سقوطها برأسها إلى الخلف على ذراع توني لتقول:

مين هدية مين يا توني ؟ مين بياخد بأيد مين ؟!

ورفع آدم عينه ينظر إلى توني ، كأنه يلوذ به ويحتمي بوجوده ووجود عابدة إلى جواره .. مازال الطريق إلى إكستر ديثن طويلاً ، ولكن مع كل ميل تقطعه البتلي السوداء ، كان رجاء وخوف كل فرد من ركاياها يعلو ديبه وصوته ، وكلما زاد خوفهم زاد اقترابهم من بعضهم البعض ، حتى كاد الثلاثة يشعرون أنهم شخص واحد ، يستعد لمواجهة أفسى لحظة في عمره!

حين وصلت البتلي السوداء إلى إكستر ديثن ، بعد أكثر من ساعتين ، أخذ آدم يتلفت بوجهه إلى جميع الاتجاهات في دھول .. عابدة أيضاً كانت تنظر من خلف النافذة في دھول كبير .. البلدة جميلة هادئة لامة ، كأنها تابلوه رائع رسمته الطبيعة ، وشعرت عابدة بحزن كبير .. كانت تشعر بالآلم يوم انتقلت من شارع نهرو إلى حيث يجيا صلاح .. كيف كان تراه آدم يشعر ، يوم ترك كل هذا الهدوء والجمال ليحيا في ناين إلز .

كان آدم يصف للسائق الطرقات التي يسير فيها .. كان يبدو ، وكأنه يعرف كل شوارع البلدة الجميلة ..

وبعد دقائق صاح آدم مشيراً إلى أحد البيوت البيضاء الصغيرة ، وهو يقول:

هو دا بيتنا يا عابدة .. هو دا ..

وهبط الثلاثة في هدوء ليتقدموا نحو المنزل ، وعاد آدم يصيح:

إحنا الدور الي تحت .

إن وجه آدم وكفه الصغير كلاهما كقطعة من جليد شاحب ، لا لون فيه أو روح ، وزاد ضغطها على كفه ، كأنها تريد أن يستمد من أصابعها الدفء والحرارة .

ونظر توني إلى عابدة .. إنها جميلة ترتدي بظلوئاً أسود ويلوفر أسود اللون ، وعلى صدرها يتدل هلال الذهب الأبيض ، الذي عرف قصته منها .. إنها جميلة لكنها منذ خروجها من المستشفى ، وهي حزينة وثيابها دوماً هي هذه الثياب السوداء ، التي طلبت من كريستين أن تشتريها لها قبل خروجها من المستشفى!

ودخلت عابدة إلى جوار توني وآدم ، حيث انطلق بهم السائق إلى إكستر ديثن ، وعاد توني يرمق عابدة بطرف عينه ، وهي تأخذ رأس آدم إلى صدرها.

كم هي رقيقة هذه المرأة الشابة .. منذ سكنت معهم ، وهي تحاول أن تصنع لهم بعض المأكولات الشرقية والحلويات .. لقد عرضت على توني أجرة لسكنها ، لكنه ضحك طويلاً ، وقال لها إن كريستين تقتله لو سمعتها تقول ذلك .

أخبرها أن بيتر وجد فيها أمه ، وأن كريستين تتحس فيها سيلفيا .. أخبرها أنها إن تقبل لدفعوا لها هم كل ما يملكون .. أخبرها أنه يشعر بالامتنان لأنها تضم بيتر وآدم ، وتمنحها الحب والأمان .. أخبرها الكثير ، ولكنها بقيت دوماً تردد أنها سترحل في أقرب وقت ، تستطيع فيه دفع إيجار مسكن صغير لها ولآدم .

ودون وعي ، مد توني ذراعيه ليلفها حول كتفي عابدة ، ثم قال في حنان:

وأفسحت لهم المرأة الطريق ليدخلوا إلى البيت .. كانت صالة البيت أنيقة رغم بساطة مفروشاتها، وأشارت لهم بالجلوس ، وآدم مازالت كفه بين يديها لتجلس بصعوبة على أحد المقاعد ؛ حيث تركها آدم مسرعاً إلى جوار عابدة، ورأته السيدة العجوز يضع كفه بين أصابع عابدة ، التي أطبقت على يده في حنان واضح .

لحظات مرت دون أن يتحدث أحد .. لحظات وعابدة لا تعلم ماذا تقول، ولا آدم يشعر أن له صوتاً يمكنه أن يخرج من جوفه .

وللمرة الثانية ، رفع توني عينيه الصغيرتين الناقتين ليقول:

د . توني والثر .. ودي عابدة مرآة أبو آدم .. إحنا جايبين نظمنا على ماري.

وشهقت السيدة شهقة صغيرة لتمد يدها ، وتلتقط عكازاً كان إلى جوار مقعدها ، وأسندت رأسها إلى العكاز ، وعادت تنظر إلى وجه آدم الشاحب لتقول في ألم:

أنا آسفة يا آدم .. ماري ..

وقبل أن تكمل ، رأت السيدة عابدة تسحب كفها من بين أصابع آدم ؛ لتضع ذراعها حول جسده الصغير ، وتحمل برأسه على صدرها في قوة .. رأيتها السيدة تمز رأسها ، كأنها ترجوها ألا تقول كلمة «ماتت» أبداً ..

وعاد توني يقول:

امشي ؟

وعادت العجوز ترفع رأسها ؛ لتتنظر إلى وجه آدم ، الملقى على صدر عابدة، وقالت ، وهي تنظر في عينيه المفتوحين رغم سقوط الدمع منها:

البيت أبيض وعل سطحه قرميد ، تداخلت فيه الألوان بشكل أنيق نظيف .. وركض آدم إلى الحديقة الصغيرة ، التي يقع في نهايتها البيت وتبعته عابدة ، ومعها توني إلى الجهة الخلفية ؛ حيث وجدا باباً صغيراً كان مدخلاً لبيت ماري وآدم يوماً .

ووقف الثلاثة أمام الباب ، كان كلاً منهم ينتظر الآخر ليدقه ، ولم يتقدم أحد ، حتى آدم وقف مكانه يمسك بكف عابدة في خوف كبير .

وحده توني تقدم نحو الباب ليطرقه طرقات صغيرة متباعدة ، ولكن دون فائدة ، وبعد لحظات قالت عابدة في صوت خفيض:

آدم .. الشباك عليه تراب كثير .. واضح أن مافيش حد جواً .. نعمل إيه ؟

ورفع آدم رأسه ، كأنه بدأ يستعيد وعيه وتركيزه ليقول:

نروح عند أنت مارجريت صاحبة البيت .

وعاد الجميع إلى الباب الرئيسي في مقدمة البيت ؛ ليطرق آدم هذه المرة الباب ، وهو يصبح كما اعتاد أن يفعل زمناً ليقول:

أنت مارجريت .. أنا آدم .. آدم يا أنت ..

ثم عاد يقصر لهم سر صياحه قائلاً:

أصل أنت مارجريت سمعها ضعيف شوية ..

وبعد لحظات طويلة ، فتح الباب لتطل من خلفه سيدة عجوز ، وبها جاوزت السبعين .. كانت المرأة ترتدي ثوباً مزركشاً بنقوش ملونة ، وكان شعرها الأبيض الخفيف مصفواً في أنيقة ، إلا أنها كانت في ذهول كبير ، وهي ترى آدم يقف أمامها وخلفه توني وعابدة .. وبعد دقائق أفاقَت المرأة لتلوح في عينيها دموعاً ، صاحت من خلفها ، وهي تحضن آدم في حب كبير .

وسقطت زخات من عيني عايده ، وهي تنهض لتبعها في وجوم كبير ،
ودخلت المراتان إلى المطبخ الصغير التنظيف ، وسمعت عايده مارجريت
تقول:

آدم طفل عبقري .. ماري جت من سنين ، بعد طلاقها من أبو آدم
وغروجهما من ناين إلز ، وأجرت الشقة الخلفية .. سنين وهي يتروح شغلها
في المستشفى ، أنت عارفة إن إكستر ديفن فيها مستشفيات كثير .. أنا حيث
آدم .. حبيته جداً .. ابني الوحيد عايش على بعد 500 كم من هنا تقريباً ..
بيزورني مرة أو مرتين في السنة .. ماري بقت بتي .. تروح الشغل وتسيب
المفتاح لآدم في نفس المكان اللي أخده منه .. تروح الشغل وترجع الساعة
سبعة بالليل .. تصوري .. ترجع عشان تحضر العشا .. في السنين الأخيرة
كنا بناكل مع بعض كل يوم تقريباً ، ما عدا الوبك إيند .

أبو آدم كان «صعب» .. يمكن اتغير دلوقت .. لكن ماري كانت بتقول
إنه كان «صعب» ، وإنه تعيها كثير .. عمري ما شفتها بتواعد راجل .. آدم
هو كل حاجة في حياتها .. قلتي اسمك إيه؟!

والنقطت عايده كوب القهوة ، لتجلس على مقعد صغير ، أمام طاولة
صغيرة في المطبخ ، وقالت:

عايده .. اسمي عايده؟!

وعادت المرأة تقول:

انت مصرية مش كذا؟!

وهزت عايده رأسها في هدوء لتسقط دموع جديدة من عينيها ، قالت
مارجريت بعدها:

بتحيي آدم؟!

ماري ماتت أول يناير .. آدم .. ماري حاولت كثير .. حاربت بشراسة
عشان تقدر لكن هزمها المرض .. هزمها .. آدم أنا ما كتش أقدر أزورها
كثير في المستشفى .. لكن أنا كنت معاها يوم الوفاة ..

ماري قالت إنها عارفة أنك حبيبي في يوم .. طلبت مني أقولك إنها
بتحبك ، وأنا عارفة إنك قوي ، وتحفظ الوعد اللي أنت وعدتها به .

ونفض آدم ليتقدم نحوها قائلاً:

أنت .. ممكن أدخل بيتنا؟

وسقطت من عين مارجريت دموع ، لتشير بيدها إلى طاولة بعيدة قائلة:

آدم .. المفتاح في المكان اللي أنت عارفة .. كل حاجة في مكانها .. مايك
ابني حيوصل الأسبوع الجاي عشان نفضي المكان .. روح يا آدم .. جيت في
الوقت المناسب .

والتفت آدم ينظر إلى عايده قائلاً:

تيجي معايا يا عايده؟!

كانت عايده تبكي في وجوم ، ومن خلف دموعها الكثيفة ، نظرت إلى
توني كأنها ترجوه أن يذهب معه .

وأمسك توني بيد آدم ، الذي توجه إلى طاولة بعيدة عليها ، بعض الصور
والتحف الصغيرة ، التي أمسك بإحداها بين أصابعه ؛ ليستخرج من داخلها
مفتاحاً ، وأكمل طريقه مع توني ليترك عايده وحدها مع مارجريت ، التي
استندت إلى عكازها لتفقد قائلة:

تشربي قهوة؟!

وابتسم عابدة ابتسامة صغيرة مريرة ، ولم تحب ، ومدت المرأة يدها لتضعها على كف عابدة قائلة:

تصوري عرصة هائلة ، وفي مستشفى كبير يتقضي فيه أكثر من عشر ساعات كل يوم ، وما تعرفش إن عندها «سرطان» في صدرها .. ماعرفش غير بعد ما انتشر في الرئة ووصل المخ كيان .

كانت بتقعد مكانك هنا وتبكي كل يوم .. عمري ما شفت حد ييموت بيكي ؛ عشان خايف من فراق اللي يبيحه ، أكثر من خوفه من الموت نفسه .

ماري جابتلكم آدم عشان ماكتش عايزاه يشوفها ، وهي بتألم .. حاولت كثير أقنعها إن دا غلط ، لكن كان عندها حق .. لو شفتها كانت عاملة إزاي في العلاج الكيماوي والإشعاعي .. عندها حق .

بتحبي آدم يا عابدة؟!

ومن جديد لاحت الابتسامة الصغيرة المريرة على وجه عابدة ؛ لترفع عينها من جديد ، ولتسقط منها أيضًا زخات جديدة من الدمع .. وأرخت عينها بسرعة .

وعادت المرأة تقول:

جوزك بياذيه؟ بياذيه يا عابدة؟!

ونظرت إليها عابدة في حيرة ، تخاف أن تخبرها أن آدم يحيا معها .. إنها لا تعلم القوانين .. قد تجن المرأة إن علمت أن آدم يحيا مع غريبة ، لا صلة له بها .. قد تبلغ السلطات .. ولكن لم تقل لها حتى أنها تحبه .. صوتها مختنق ، ومع كل قطرة قهوة ترتشفها ، تشعر أنها تثلع جيوشًا من الدمع والألم ..

ونفضت عابدة في هدوء ، وهي تقول:

أنا حاروح أشوف آدم وحارجع ثاني .

ونفضت مارجريت لتقول:

جاية معاك ..

عندما دخلت عابدة من الباب المفتوح ، وجدت توني يقف في هدوء في منتصف الصالة الصغيرة ، التي كانت بها أريكة ملونة ، أمامها مكتبة صغيرة بها جهاز تليفزيون ، وفي أحد الأركان طاولة طعام صغيرة حولها مقعدان .

رغم الأتربة ورغم البساطة ، إلا أن المكان كان جميلًا ، ويبدو أنه كان يومًا في غاية النظافة .

وجلست مارجريت على أحد المقاعد ، وهي تستند إلى عكازها ، وترقب بعينها الملونتين عابدة ، التي وقفت تبحث عن آدم في حقة ، وأشار توني لها بيده إلى حيث دخل آدم إلى غرفة أمه .. أخبرها توني أن آدم طلب منه أن يتركه وحده هناك .. إلا أن عابدة لم تحتمل طويلاً ..

كان باب الغرفة مفتوحًا ، وكان بإمكانهم جميعًا رؤية آدم ، وهو يجلس على فراشها ويظهر لهم .

ويهدوء وقفت عابدة على باب الغرفة ، لتسمع مارجريت صوتها يقول:

آدم .. آدم ..

لم تدخل عابدة ولم يلتفت آدم .. كان يجلس مواجهًا وسادة الفراش .. كان يبدو أنه يستعيد وجه ماري عليها .. كان الصمت عاليًا لا شيء يقطعه ، سوى نهنات صغيرة ، كانت عابدة تكتسها بين صدرها وشفتيها .

وكانها شعر آدم بيبكاء عابدة ، واستدار ينظر نحوها ليرى وجهها غارقًا في الدمع ، وهي تستند بكفها إلى باب الغرفة ، ونفض في هدوء ليقبل نحوها ، وهو يرفع كفه بثوب وردي ، كان يحملها قائلاً:

دا قستان مامي يا عايدة .. أكثر فستان كانت يتحبه .. مش قتللك يا عايدة
إنها ماتت .. مافيش حاجة في الدنيا تخلي ماري ما تحافظش على وعدها غير
الموت ..

وسقطت عايدة على ركبتيها أمام آدم لتضمه بين ذراعيها في حنان ..
كانت تشعر بقسوة كل ما يشعر به الصغير .. كانت تشعر بعجزها وخوفها
من أن تكون أخطأت بحضوره وحضورها .. كانت تشعر أن موت ماري
وأحلام وهدى كله أصبح هذه اللحظة .

وأجهش آدم بالبكاء على كتف عايدة ، وقال من بين دموعه :

أنا بحبك .. بحبك قوي يا عايدة .

ساعات طويلة مرت عليهم في منزل مارجريت ، تناولوا فيها طعامًا خفيفًا
أصرت مارجريت على إعدادهم ، وأخبرتهم أن بإمكانهم العودة متى شاءوا ،
وأن بإمكانهم أن يأخذوا كل ما يريدون من متعلقات ماري الخاصة .

وحين خرجت إلى الحديقة الأمامية لوداعهم ، نظرت إلى عايدة قائلة بعد
تردد قصير :

ممكّن دقايق؟! روح أنت يا آدم مع د . والتر .. أنا عايزة عايدة .

وأخذ توني آدم بعيدًا إلى البتلي التي كانت في انتظارهم مع بيل ؛ لتدخل
عايدة خلف مارجريت ، وهي لا تحاول إخفاء دهشتها ، حين أغلقت
مارجريت الباب خلفها لتقول :

دقيقة وحارجع .

وبعد لحظات عادت مارجريت ، تحمل في يدها شيئًا كالكتاب ، وضعت
بين يدي عايدة قائلة :

الحب يتشاف .. وأنا شفته وسمعت آدم وشفته يقول .. دي مذكرات
ماري .. أميتها كانت إن آدم ياخذها لما يبقى عنده عشرين سنة .. وتكس
المجوّز رأسها لتابع في ألم :

أنا ما عرفش إذا كان في عمري عشر سنين كمان .. كنت حاديه لما بك يحفظ
بيه .. لكن ما بك ما يعرفش آدم .. شافه بس ما يعرفوش .. أنت بتحبي آدم ..
آدم يحبك .. خدي اتصرفي .. ماري حترتاح دلوقتي ..

وقف الثلاثة أمام قبر ماري ، ليضع عليه توني باقة زهر كبيرة ، اشترأها في الطريق ، ونظر آدم إليها بعد لحظات ليقول في خجل:

يمكن أنكلم معاها!؟

وانحنى عابدة تقول:

أكيد .. وحتمعك ..

وعاد آدم يسأل:

أنت عابزة تقوليلها حاجة يا عابدة!؟

وابتسمت عابدة قائلة:

لا يا آدم .. أنا عارفة إنها حاسة قد إيه بحبك .. تحب نسيك معاها شوية لوحذك ..

وهز الصغير رأسه بالموافقة ، لتعطي عابدة إلى جوار توني في سكون ، حيث جلسا على أحد المقاعد الرخامية ، بعيداً عن آدم ليرقباه في ألم كبير .

وسقطت زخات أخرى كثيرة من عيني عابدة ، ليأخذها توني على صدره لحظات طويلة ، قال بعدها:

وبعدين يا عابدة .. حتعملي إيه!؟

ورفعت عابدة رأسها من على كتف توني ، لتتنظر إلى آدم ، الذي كان يجلس أمام قبر أمه على البعد ، وقالت في ألم وتصميم كبيرين:

ونظرت عابدة إلى المذكرات ، التي وضعتها مارجريت في يدها ، وعادت تنظر إلى عين السيدة الدامعة وضمتها إلى صدرها ، وهي تقول:

أنا بحب آدم .. بحبه أكثر من ..

وضمتها المرأة في قوة لتقاطعها قائلة:

الحب الحقيقي هو اللي يتشاف موش اللي يتقال ..

ابقي زوريني يا عابدة .. كل ما آدم يجي يزور قبر ماري تعالي زوريني!!

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

كل شيء في عيني حسن ورأسه هذا الصباح لا لون له إلا اللون الأسود .. قبل أن تخرج دينا إلى عملها هذا الصباح ، تشاجرت معه من جديد .. لقد أحضرت له مشترين للقبلا ، التي رفضت حتى الذهاب لمشاهدتها ؛ حيث كان يأمل كثيرا أن تقع في هواها ، وتصيح حلمها مثلها هي حلمه ..

جاءت له بمشتر يدفع له كامل المبلغ الذي دفعه ، وحتى القسطين الأول والثاني اللذين استدانها من والده ، دون أن يخبره عن القبلا أو قصتها .. لقد رفض .. رفض حسن في جنون .. حسن لن يتنازل أبداً عن القبلا .. ما عساه سيفعل بالنقود التي سيستردها .. قالت له هذا الصباح إن بإمكانه أن يبدأ مشروعاً ما .. حمقاء دينا .. حمقاء .. من يبدأ مشروعاً في هذه الأوضاع والظروف .. وأي مشروع يبدأه بنصف مليون جنيه ، وكم من الشهور والأعوام سيتظرها لينجح المشروع .. ومن قال إن «حسن» يفهم في المشاريع ..

حسن لا يفهم سوى في الكمبيوتر والأسواق المالية والأسهم والبورصة .. سيجد عملاً في شركة أخرى .. بل لقد جاءته عروض في شركات أخرى ومن عملاء ، كان حسن وحده سبباً في ثرائهم .. لكنها كلها وظائف دخلها لا يزيد عن خمسة آلاف .. حسن لن يقبل يدخل أقل من خمسة عشر ألف جنيه شهرياً .. إنه لا يفهم لم هي غاضبة إلى هذا الحد .. مازال بمنحها آلافاً قليلة كل شهر .. لم تنفق دينا عليه أو على غنار بعد ، فلماذا هي غاضبة إلى هذا الحد؟ ليس عقلاً أن يقبل العمل بمثل هذا الدخل الشهري .. لن يعرض

حاكتب يا توني ..

وعقد توني حاجبيه لیسأل:

إيه .. تكتبي؟

وأجابت عابدة في هدوء:

حاكتب رواية .. حاكتب عن الإنجليزي الصغير اللي ماتت أمه ، وعشقه مسلمة مصرية ..

ونظر توني إليها في فرح ليقول:

قصديك اللي أنقذته ..

وعادت عابدة تقول:

حتساعدني؟

وضمها توني في حنان ليقول:

حاعمل اللي أقدر عليه!!



التي فقدت .. وبعد أن غادرت «صباح» البيت ، شعر بها تدخل عليه ليسمعا تقول:

حسن حبيبي .. هي صباح راحت فين؟!

ونظر حسن إلى وجه نجوى ، ليقول:

أنا بعثها يا طنط تشتري سجائر من تحت .. حضرتك محتاجة حاجة ..
غثار صحي؟!

وأجابته نجوى ، وهي تمضي خارج الغرفة قائلة:

لا يا حبيبي غثار نايم؟ هي دينا فين .. أنا دورت عليها في البيت كله ..
هي راحت عند عايدة؟!

واستدار حسن ينظر إلى اللاب توب قائلاً:

طنط نجوى .. عايدة في لندن بقالها ستين تقريباً .. ودنا في الشغل ..

وسمعا من بعيد تقول:

خليك في شغلك يا حبيبي .. أنا خذها ..

وغاب حسن في شاشة الكمبيوتر ، وأفاق بعد لحظات ليلنقط علبه
السجائر التي أحضرها صباح ، وسمعا تقول:

عايز حاجة يا أستاذ حسن .. أنا حاروح ابتدي في المطبخ قبل غثار
ما يصحى ..

ولم يعب حسن .. كان رأسه حقاً مشغولاً بكتابة إيميل يرسله إلى إحدى
الشركات ، التي أرسلت له تطلب حضوره لإجراء مقابلة شخصية مع أحد
مدراءها ..

عليه شيء أفضل بعدها ، ولن يصبح لديه الوقت أبداً للبحث .. من يقبل
بالقليل لن يحصل يوماً على الكثير .. ما الذي يغضبها؟! لماذا تكره قصة الغيلا
إلى هذا الحد .. لماذا تعتبر أنها حيلة منه للابتعاد عن نجوى وشارع غيرو ..
لقد أقسم لها أنه أبداً ما كان ليترك نجوى وحدها يوماً .. أصبح يؤمن أن
حالتها تدهورت بشكل كبير .. لقد أصبحت نجوى تنسى حتى من هي دينا
.. في أيام كثيرة ، تذهب لتطرق باب هدى لشرب معها قهوتها ، أو تسألها
عن عم علي العلباخ ، لتسأله عن طبخة ما تعدها ، وفي كل مرة تيكبي ، عندما
يخبرونها أن هدى ماتت منذ شهور .. في كل مرة تتور نجوى غاضبة من دينا
لأنها أخفت عنها وفاة هدى ..

وفي كل مرة تيكبي دينا ، وهي تقسم أنها أخبرتها ، وأنها كانت في أيام
العزاء يوماً فيوم ..

ونحس حسن من فراشه في تناقل ليخرج إلى غرفة المعيشة ، بعد أن طلب
من صباح إعداد كوب من الشاي ، حيث جلس كعادته أمام جهاز الكمبيوتر
الخاص به ..

من هذا الجهاز كانت ثروته ، ومن هذا الجهاز سيستعيد حسن وضعه
وسجد حلاً لمشاكله وسيحفظ بحلمه .. حسن عبدالكريم لن يتنازل عن
فيلا العبور أبداً ، ويوماً ستهدأ دينا حين يجد عملاً يدر عليه الدخل الذي
فقدته .. يومها ستذهب دينا معه ، وستعلم أن حياة الكومبيوترات ليست
حياة في مصعة نفسية ، ولكنها حياة صحية راقية من حقه وحققها وحق
غثار ، وحتى نجوى ، أن يستمتعوا بها .

وغاب حسن كعادته مع جهاز اللاب توب الخاص به ، وظهرت صباح
تعمل له كوب الشاي ، وطلب منها حسن أن تشتري له بعضاً من سجائره

حسن لن يبدأ قبل أن يثبت لدينا أنه على حق ..

حسن سيجد عملاً كالذي فقدته .. عندها سيستعيد ديننا ، التي بدأت
تبتعد عنه .. عندها ستعلم ديننا أنه ليس طفلاً أنانيًا ، ولكنه رجل عاقل يعلم
ما يفعله ، ويعلم أين يضع قدميه ومتى يقبل ومتى يرفض ، وكيف يصنع
قصرًا ويحافظ عليه ..

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

كانت الثالثة ظهرًا ، عندما سمع حسن صباح صباح لينهض مدعورًا ،
ويتجه خلف صوتها ، حيث وجدها تقف على باب غرفة نجوى ، وهي
تلطم خديها في جنون قاتلة:

الحقني يا حسن ييه .. أأست نجوى مش هنا ..

وركض حسن إلى غرفة مختار ، ليجدها هي الأخرى غائرة ، إلا أن
«صباح» عادت تقول:

مختار في الصلاة ياييه .. صحي من شوية ، وأنا أخذته برا يتفرج على
التليفزيون ، ومن شوية مدام ديننا اتكلمت ، وسألتني عن أأست نجوى لما
قلتلها ماخرجتش من أودنها النهاردة ، قالتلي آجي أشوفها مالفتهاش ..
كان حسن يدور بين غرف البيت ، يفتح أبوابها بابًا تلو الآخر ، وهو
يصيح:

مستنية لحد الساعة ثلاثة الظهر يا صباح .. مافكرتش تعمايلها شاي
أو فطار ..

وعادت صباح تلطم ، وهي تصيح:

والتي ماخرجت من المطبخ من ساعة مارجعت من مشوار السجابر بتاع
حضرتك .. أأست طلبت ورق عتب ، ومن ساعتها ، وأنا بأسلفه وأعمل
خلطته وألفه .. أنا قلت لو أأست احتاجت حاجة حتندهلي ، لولا إن أأست
ديننا ..

لم يكن حسن يسمع الكثير مما قالته .. لقد وقف رأسه عند كلماتها التي قالت فيها أنها خرجت لشراء السجائر .. وركض حسن إلى باب البيت ، وأمسك به بين كفيه ، وأدار مقبضه في جنون وصاح :

يخرب بيتك .. أنت لما رجعتي من بره ، ما قفلتيش الباب بالمفتاح يا صباح ..

وركض حسن إلى باب متعم شيرازي .. لقد تذكر ما قالته هدى هذا الصباح عن دينا وعن عايدة ، ووقف يطرق الباب في جنون .. لقد سمعها تقهره أنها ستذهب لإحضار دينا من بيت عايدة .. سمعها لكنه لم يعي ما قالت .. كان رأسه مشغولاً بالكمبيوتر .. وكان دوماً لا يفكر فيها تقوله نجوى .. لقد اعتاد أن يسمعها ، دون عقل أو تركيز ؛ لأنه يعلم أن كثيراً مما تقوله حروفاً أقرب منها إلى الهذيان .. وعاد يطرق الباب مرة أخرى ؛ ليطل هاشم الذي كان واضحاً أنه كان نائماً بعد عودته من رحلة المحاكم والمكتب الصباحية ، وصاح حسن يسأله :

طلعت نجوى مش عندكم يا هاشم؟!

وأجاب هاشم في ذعر كبير :

لا .. أنا نزلت أنا وبابا الصبح بلدي ، ورجعت من ساعة ، وبابا في إسكندرية حيرج بالليل .. فيه إيه يا حسن؟! هي خرجت لوحدها .. فيه إيه؟!

في هدوء مدت عايدة أصابعها الطويلة ، تتحسس بها المقعد الذي تجلس عليه أمام نهر التايمز .. وأطلقت آهة صغيرة .. هنا جلس هاشم إلى جوارها .. هنا كانت تضع رأسها على كتفيه ، وهما في انتظار ظهور آدم ..

هاشم؟! هل نسيها .. هل حقاً نسيها .. مازال متعم يحادثها .. مازالت دينا ترأسها ، ولكن «هاشم» كأنه ما عرفها يوماً .. هل تلومه عايدة؟! أبداً ..

متعم يخبرها أنه بخير ، ولكن دينا قالت لها إنه تبدل كثيراً .. هاشم في الشهور الماضية أصبح أكثر شيخوخة من متعم نفسه .. هاشم يعمل مع والده ويستعد لإنهاء رسالة الماجستير .. دينا أخبرتها أنها يجب أن تنتظر .. مازال هاشم يرفض حتى الحديث عن عايدة .. مازال هاشم غارقاً في حزنه وشعوره الدفين بأنه وحده قتل هدى ..

وعادت عايدة برأسها إلى الخلف .. ستة أشهر منذ ذلك اليوم الأسود .. ستة أشهر وهي بين عملها وأوراقها .. عايدة تكتب كل مساء .. لقد قطعت شوطاً كبيراً في روايتها .. إنها سعيدة بما كتبت ، بل إنها تشتاق إلى القلم .. عايدة تشعر أن ما يربطها بالحياة هو القلم وآدم .. لكن مازال أمامها بعض الوقت حتى تنتهي .

وعادت تنتهد مرة أخرى في ألم .. كل شيء ينتهي .. كل شيء يذوب إلا هاشم .. من أجله تكتب .. من أجل حبها .. من أجل وعدتها .. من أجل حلمه .. ومن أجل نسيانه .. من أجل أمل مات ، وأمل يصارع الموت ، وأمل يولد كل لحظة بأن تراه بأن يسمح لها حتى يساع صوتها ..

لا شيء حقا يربطها بالحياة ، سوى آدم والقلم وماشم ..

وفي تناقل نهضت عابدة عن مقعدها .. آن الوقت لأن تعود إلى العمل .. آدم سيذهب وحده إلى البيت .. يجب أن تعود لتقضي الساعات المثبتة لتذهب وتحضن ما بقي لها .. آدم والقلم !!

وقبل أن تدخل المقهى الذي تعمل فيه ، سمعت صوته يتنادى في قسوة كبرى .. وشعرت عابدة أن الأرض تدور بها ؛ لتنظر نحو الصوت في ألم كبير وهي لاتصدق ماتسمع .. وسمته يقول في سخرية:

إيه نسييني؟!

ورغم الألم الكبير .. رغم الحزن الأكبر الذي اجتاحت روحها ، إلا أنها استعادت شيئاً من هدوئها لتقول في صوت بارد:

عايز إيه يا صلاح 14

واقترّب منها ليقول:

عايز أفكرك إني جوزك .. سبتك ست شهور وبرضه ما فتكر تيش .. جيت أفكرك ..

وينظرة هادئة ثابتة ، قالت:

اسمع .. انا عندي شغل .. روح رينا يسهلك ..

وأمسك صلاح بذراعها في قسوة ليقول:

أروح فين .. أنا سبتك الشهور دي بمزاجي .. أنت حاترجعي معايا أنت وابني أنا كنت حاروح أخده من المدرسة .. وأخليك تيجي نجري وراء زي الكلب .. لكن قلت أعمل بأصلي يا عابدة ..

وفي سخرية كبيرة قالت:

أصل 14 .. عايز ابنك .. عارف طريقه .. روح خده .. لكن أنا لا .. اسمع أنا اتكلمت مع عمامي من فترة ، وقال لي إن طلاقنا ما فيش أسهل منه .. أنا دلوقتي زي زيك مواطنة إنجليزية ، بس أنت ما تناسبينش .. في أول جلسة ، ومن أول نظرة ، ومن أول جملة تنطق بيها .. أنت عارف الحكم حقيقى لصالح مين ..

وعاد صلاح يصرخ:

وآدم؟

ونفضت عابدة ذراعها من بين أصابعه لتقول:

أنا عندي شغل .. عايز تاخده روح خده من المدرسة ، ولا أقولك النهاردة أول ما يطلع من المدرسة الساعة أربعة ، أنا حاسناذن من الشغل وأجيبهولك بهدومه ، حتى عشان ما تضطرش تشتريلو ليس ..

روح استنى في بيتك يا صلاح .. أنا حاوصلك آدم لغاية عندك ..

واضطريت عيانه وهو لا يصدق .. هل تقلد عابدة بآدم بهذه السهولة .. ربما كانت تلاعبه .. وبعد لحظات قال:

الساعة خمسة لو آدم ما جاش ..

ولم تدعه عابدة يكمل ، بل تركته لتضي إلى داخل المقهى في صمت ، وهي ترتجف ورغم ثباتها ..

لم عاد هذا الذي .. بعد ستة أشهر .. هل حقا جاء يأخذ آدم .. لقد أخبروها أنه إن فعل .. سيصبح من المستحيل أن تنال هي حق حضائنه .. عابدة لا تمت له بصلة .. القضية كبيرة .. القضية صعبة .. عابدة يجب أن تثبت أن «صلاح» ليس أميئاً عليه ، ويجب أن تقدم بعدها بطلب لتبنيه .. عابدة لا سكن لها .. عابدة ضيفة على نوني .. عابدة لا صفة لها .. عابدة أيضاً لا تملك ما يجعل

أغلقت عابدة الحقيبة الثانية لملايس آدم في صمت ، وهو يجلس أمامها على حافة الفراش في دهول كبير .. واستدارت عابدة ، تنظر إليه في حزن وألم ليرفع عينيه قائلًا:

أنا مش حاروح يا عابدة .. مش حاروح ..

كان قلبها يتمزق .. كانت عروقها تشتعل ، إلا أنها اقتربت منه في هدوء لتضع كفها البارد أسفل وجهه ، وترفعه لتتفرق في عينيه الصغيرة ، إلا أن آدم قال في جنون:

بالسهولة دي يا عابدة .. بالسهولة دي؟!

وقبل أن تنطق حرقة ، ركض آدم في جنون لسمعه يصفق الباب خلفه ، وسقطت عابدة على حافة الفراش في ضعف .. إنها تشعر أن كل قطعة في جسدها ترتجف .. تشعر أن هدى ماتت الآن و«عاشم» كرهها الآن .. يل تشعر أن «أحلام» و«صابر» ماتا الآن .. لو يعلم آدم فقط .. لو يعلم ، ولكن هي أبدًا لن تخبره .. إن أخبرته مشعر صلاح بأن اتفاقًا ما يدور بينها .. عابدة اعتادت تحمل الألم والظلم .. عابدة أبدًا لا يعينها إن كرهها آدم في هذه اللحظة ، ولكن يعينها ألا تفقده ..

ورفعت عابدة كفها بعد دقائق طويلة من تفكيرها ، مسح دموعها الكثيفة ، وهي تسمع طرقات على باب البيت ، لتذهب نحوه في صمت ..

أي محكمة إنجليزية .. تأمنها على طفل مثل آدم .. وكيف حتى إن قررت الدخول إلى دائرة القضايا ، أن تحتمل أن يأخذوا آدم إلى إحدى دور الرعاية ، أو منحه لأسرة إنجليزية تنبأ ، حتى يتم الفصل في القضية .

وسقط الكرب الذي كانت تحمله عابدة ، بعد أن ملأته بالقهوة لتقديمه إلى أحد رواد المقهى ..

سقط على الأرض لتتطاير القهوة السوداء أمامها عاليًا ، وشعرت عابدة أن قلبها كان ذاك الكرب ، وانحنت تحاول التقاطه ، لينتقم أحد سقاء المكان طالبًا منها أن تترك له المهمة .. عابدة الآن أصبحت رئيسهم جميعًا ..

ورفعت عابدة رأسها لتتفرق حولها في دهول .. سترك له مهمة تنظيف ما تعظم منها ، لكن يجب أن تقوم هي بمهمة أكبر ، تعمي فيها كل ما بقي لها على الأرض من أن يضيع أو يتكرر .

وغادرت عابدة المقهى في هدوء ، بعد أن استأذنت ، لتقف على باب مدرسة آدم الذي صاح حين رآها قائلًا:

عابدة .. انت استأذنتي من الشغل .. حترؤح سوا؟

أومأت عابدة رأسها بالإيجاب في صمت ، ثم قالت:

آدم .. لازم نروح البيت دلوقتي ..

ووضع آدم كفه بين أصابعها لمسكت دراجته بيده الأخرى ، وهو يشعر أن شيئًا ما لا يفهمه يدور .. وبعد لحظات جاءه صوت عابدة يقول:

آدم .. أنا آسفة .. أبوك عايزك .. إحنا حترؤح نلم هدومك وحاولديك عنده .

أنا حقيقي آسفة يا آدم ، بس إحنا ما عندناش حل تاني!!

كانت كريستين تمسك بيد آدم في ذهول أمام الباب ، الذي فتحته عابدة ..
وأرخت عابدة عينها تنظر إلى وجه آدم ..

آدم يبكي في جنون ، وعيناه الحمراءوان الجميلتان كانتا تعملتين برسائل
اتهام وقسوة بالغة الحد .. وجاء صوت كريستين يسألها في قسوة:

عابدة؟ مش حتاخدي آدم لأبوه .. مش كذا؟!

وأفسحت عابدة لها الطريق في هدوء ، ليقى خلفها الباب مفتوحاً ..
وأجابت بعد لحظات:

لا يا كريستين .. أنا حاخذه حالاً .. أبوه مستنيا ..

وصاحت كريستين في لوعة:

استحالة .. استحالة .. توني جاي في الطريق .. أنا كلمته .. إزاي
يا عابدة؟! .. إزاي؟!

وألقت عابدة بجسدها على أحد المقاعد لتقول:

لأنه أبوه .. لأنني أنا ولا حاجة .. ماليش صفة يا كريستين ..

وقاطعتها كريستين قائلة:

نرفع دعوى حضانة .. إحنا عارفين إنه غير أمين عليه ..

وفي سخرية مريرة ، أجابت عابدة:

جرسونة في كافيتريا ولا حتى مديرة الجرسونات زي ما بقيت يا كريستين
.. دا أنا حتى ماليش سكن بتاعي .. ودخلي في الشهر ما يطمنش ولا يدي
الجهات المختصة الثقة قئاً .. كريستين .. آدم لازم يروح لأبوه .. يلا يا آدم
أرجوك .

ويلا وعي ، أعادت كريستين آدم خلف ظهرها في جنون لتصبح:

مستحيل .. لما توني يوصل .. إنت إيه .. مش قادرة أفهمك .. مستعجلة
قوي كذا ليه؟!

ونكتست عابدة رأسها في صمت .. نعم تتمجل اللحظات لتذهب به ..
تتمجل اللحظات لتأخذه إلى صلاح .. ليتهم يفهمون ما تفكر فيه ، ولينها
تستطيع أن تخبرهم .

لماذا نتجه دوماً أصابع الاتهام نحوها؟! لماذا يجب دوماً أن تدافع عن
نفسها؟! لماذا يجب دوماً أن تتحدث وتقس وتفسر وتشرح؟! ألا يوجد من
يؤمن بها؟! ألا يوجد على هذه الأرض من يثق بها؟!!

ورفعت عابدة عينها في جنون ، وهي تسمع بكاء آدم الحاد من خلف
كريستين ، وقالت في ضعف:

آدم .. آدم أرجوك .

وقبل أن يجيبها آدم ، رأت توني يقف أمامها ، وانفطقت كريستين ،
وهي تحكي في انفعال شديد ، وأفلت آدم من كفها ليحتمي بجسد توني ،
ويلتصق به في جنون .. وبعد لحظات حاول توني تهدئة آدم ، أطلقه من
كفه لينحنه إلى كريستين ، ثم اتجه نحو عابدة في سكون ، وأمسك بكتفها في
هدوء ، وأطال النظر في عينها الساكنتين ، ثم قال:

يلا يا آدم أنا حاروح معاكم ..

ورغم صيحات كريستين وبكاء آدم ، إلا أن توني فتح ذراعيه في هدوء
ليضم عابدة بينها في قوة ، وشعر بها تبدأ على كفه ، بل شعر بيديها تحتضنان
ظهره كأنها ترنحمان ، مثلما كان آدم يرتجف منذ لحظات ، وحين أرخت

فراعها أمسك بكفها في قوة ، واستدار ينظر إلى عيني كريستين المفتوحتين في ذهول ، ومد كفها الآخر الطليق يمسك به كف آدم ، وقال وهو ينظر إلى عين آدم في هدوء:

عمري في حياتي ما قلت إن فيه شيء مطلق .. عمري يا آدم ما آمنت بالمسلّمات .. لكن الست دي غيرت حاجات كثير .. حب عابدة ليك يا آدم هو المطلق الوحيد الي مش لازم تشك فيه ..

وأرخت عابدة عينها في صمت ، ثم أدارتها بعيدًا لتسمع صوت توني يكمل من جديد قائلاً:

ليه الإيمان الكامل برينا بيربح .. ليه الناس الي ما عتدهاش شك في وجود ربنا ، بيعيشوا في سلام وسكينة ، ويقدرّوا يعدّوا كل الأزمات الصعبة .. لأنه يبقى حب فيه ثقة .. الإيمان ذا ثقة مطلقة كبيرة .. ثقة خلّت النبي إبراهيم يقبل يديح ابنه .. مش عابدة حكّت لنا الحكاية دي مرة زمان يا آدم .. يدبح ابنه .. لا الابن اعترض ولا الأب قال لا ..

أحنا في ديانتنا بنؤمن إن المسيح وقف يتصلّب ، وعلى وشه ابتسامة .. لأنه مؤمن برينا .. لأنه عارف إنه بيعبه ..

آدم هو ذا الحب .. هو ذا الإيمان .. وهي دي الثقة .

لما حاجة أكبر متنا نحصل ، لازم يكون عندنا إيمان مطلق في حاجة أو في حد ، نقوم نسلمله أمرنا ونحط إيدنا في إيدِه ونسيبه هو ياخذ القرار ، ولو كان قراره إحنا شايفين فيه ظلم .. إيمان قلبنا المطلق بيه نخلصنا نسلم ونعرف أنه العدل بعينه .. آدم أنت قاهمني !؟

كان آدم ينظر من خلف دموعه إلى وجه عابدة وعينها ، التي أمطرت دمعًا هادئًا غزيرًا ، وعاد صوت توني يقول:

309
حط كفك في كفها ، وامشي معاها ، لو أنت فعلاً مؤمن بحبها وببها .. ولازم تؤمن يا آدم .. الناس الي بتولد وتنشأ على الأرض هي الي بتعيش من غير ثقة .. من غير إيمان .

أنا نفسي مؤمن بعابدة .. والله يا آدم لو قائلتي أعمل أي حاجة .. أي حاجة حا أعملها .. دور جؤاك يا آدم ، وشوف إيمانك في مين ، وثقتك فين وغشّص عينك واتبعها ..

وهذات دموع آدم ليترك كف توني بعد لحظات ، وضع بعدها في سكون كفه بين أصابع عابدة الثلجة ، ليقول بعد لحظات في صوت خفيض باك:

أنا عارف إنك بتحبيني يا عابدة ..

وجاء صوت توني يقول:

لو عايز قلبك هذا .. لو عايز دمعك يقف ماتقولش عارف يا آدم .. قول أنا واثق .. قول أنا مؤمن !!

وأجهشت دينا في البكاء من جديد ، لتدخل إلى غرفة مختار وحملته من فراشه الصغير على ذراعها ، ودخلت غرفتها لتضعه على فراشها ، واستدارت تنفخ أمام مرآتها لتخلع ملابسها في هدوء ..

وبعد أن ارتدت أحد قمصان نومها ، شعرت به يدخل الغرفة ، وهو يقول في صوت خافت:

دينا .. أرجوكي اتكلمي معايا ..

وسقطت دموعها وهي تستدير حتى لا يراها ، ومضت إلى فراشها قائلة:

أرجوك أنت .. روح نام في أودة مختار وسييني أحاول أنام شوية ..

وتقدم حسن نحوها ، بعد أن دخلت إلى فراشها ، ليجلس على حافة الفراش .. إلا أن دينا استدارت لتأخذ «مختار» بين ذراعها ، وهي تمس باكية:

أرجوك .. أرجوك يا حسن تطلع برا الأوضة ..

وضع حسن كفه على ذراعها ليقول ، وهو يكاد يبكي:

دينا .. وحياة مختار .. وحياة رحمة أبوك .. ارحمني .. دينا .. أنا ماليش ذنب ..

ونفضت دينا ذراعها من كفه ، وعادت تمس ، وهي تتحب:

وحياة رحمة أمك أنت .. سييني يا حسن سييني!

ونفض حسن في صمت ليفلق خلفه الباب على دينا ومختار ، وخطا نحو ريسيشن البيت ، حيث كان والده مازال يجلس وحده هناك .

منذ خروج نجوى ولا أحد يعلم عنها شيئاً .. والجميع يبحث عنها في كل مكان .. لا أحد حتى يعلم متى خرجت نجوى بالتحديد .. هل خرجت ميكراً ، عندما كانت صباح تشتري السجائر .. أم خرجت عندما كانت صباح وحدها في المطبخ ، ومختار نائماً في غرفته أو يلهو في صالة البيت ..

دينا لا تذهب إلى العمل ، ولا تكف عن البكاء ، وكلها بكت ألقت بنفسها بين ذراعي اللواء عبدالكريم أو هاشم أو عبدالنعم شيرازي ..

دينا ترفض أن تحتويها ذراعاً حسن ، أو تسمع كلماته .. دينا من خلف دموعها تنظر إليه في لوم ، لا حدود له ، كأنها تهمه بأنه وحده سبب خروجها وعدم عودتها ..

ورفع حسن عينيه ينظر إلى دينا ، التي بدأ رأسها يسقط على كتفها من نعاسها ، وسمع والده يقول:

دينا .. حبيبتي .. ادخلي نامي .. اتراحي شوية يابتي .. أنا حآآخذ حسن وننزل تروح تدور تاني في المستشفيات القريبة والأقسام .. يمكن حاجة ظهرت ..

ونفضت دينا عن مقعدها قائلة:

رووح حضرتك يا أنكل ... أنت كل يوم بتلف بعد شغلك .. روح استريح .. أنا حآآخذ مختار وأدخل أنام شوية .. مايفش فائدة .. لو فيه حاجة كنا عرفنا ..

ونفض عبدالكريم ليضمه بين ذراعيه في حنان ، وانفجر حسن باكيا وهو يقول:

مافيش غايده .. مافيش غايده يا بابا .. دينا بتعترني أنا السبب .. أنا السبب !!

وأخذ عبدالكريم يهدئه في حنان ، وهو يتمتم:

معلورة يا ابني .. معلورة .. عارف لو نجوى ماتت كان أهون .. لكن دي ست تاهت .. يا عالم هي فين .. ممكن تكون مش عارفة ترجع .. ممكن يكون جرالها حاجة .. ممكن دي عذاب .. عذاب كبير .. مراتك بتكوي بيه لوحدها .. اعذرها يا حسن اعذرها .. ريك حيملها إن شاء الله .. الصبر يا حسن .. الصبر والأمل .. رحمة ربنا كبيرة .. كبيرة يا أبوعلي !!

عابدة ..

منذ ماتت طنط هدى ، شعرت أن أمي من حزنها عليها ستموت ..

شعرت بأنني فقدت الاثنين .. لكنني لم أكن أعلم أنني أنا التي ستموت .. ضاعت أمي ؟! ضاعت نجوى التي كانت تحكي لنا القصص ، وتأخذنا إلى السينا والحدائق .. ضاعت نجوى .. خرجت ولم تعد .. هل تذكرين كيف كنا نضحك ، ونحن نشاهد على التلفزيون ذاك البرنامج القديم الذي كان يحمل عنوان «مخرج ولم يعد» .. كنت دوما أسألك كيف يخرج رجال ونساء ولا يعرفون كيف يعودون ..

أمي خرجت ولم تعد .. أمي خرجت .. لكننا لم نخرج وحدها .. أخذت معها كل شيء .. تركت حقيبتها وملابسها وبطاقة تحقيق شخصيتها .. لكننا أخذت من ضلوعي الحياة .. التحرك دون روح .. انحرك دون حياة .. أذهب إلى العمل وأعمل ، وقلبي وأذني في هاتفي الصغير ، الذي انتظر أن يحمل لي خبرا عنها .. حتى لو كان خبر موتها ..

الموت يا عابدة ولا الضياع .. قلبي مازال حزينا على طنط هدى ووفاتها .. لكنني أعلم أين تنام .. أعلم أن يوما سيأتي وأذهب إلى لقائنا .. أعلم أنها بين يدي الله ..

إلا أمي .. إلا أمي يا عابدة .. لا أعلم أين هي .. مع من ؟! ومن يفعل بها

ماذا ؟!

انفضض صلاح انتفاضة صغيرة ، وهو يفتح الباب ليجد عابدة تقف وإلى جوارها توني وبينهما آدم .. إنه لا يعلم من هو توني ، ولم يره مرة من قبل ، ولكن كان واضحاً أنه رجل مهم .. وحاول صلاح أن يستعيد نفسه ، وهو يفسح لهم الطريق .. فقال في تهكم:

آه فهمت .. انتفضوا .

ودخلت عابدة في هدوء لتجلس على أحد المقاعد ، وسار توني وأصابع آدم مازالت بين أصابعه ليجلسا على الأريكة السوداء ، ونجولت عابدة بعينها في أركان الصالة ؛ لتجدها أصبحت أكثر اتساعاً مما كانت عليه يوم دخلت هنا للمرة الأولى ، ورفعت عينها الحضراروين الداكيتين تنظر إلى وجه آدم في إشتاق .. كان واضحاً أنه مازال حزيناً وخائفاً ، وأرخت عينها لتتأمل البنطلون الجينز الأزرق ، الذي ترتديه كأنها خشيت أن يتسخ من ملابسه لمقعدي بيت صلاح رفاعي زوجها .. ولكن ألم يتسخ هي نفسها بوجودها معه في هذا البيت زمناً ..

وشعرت بآلم كبير يشق صدرها ، كأنها تذكرت كل شيء .. وعادت ترفع عينها ، تنظر إلى الأريكة التي يجلس آدم وتوني عليها ..

كانت تجلس مكان توني يوم رحلت ، وتركت آدم وحده ، ليضيعها بالمظلة في شتاء فبراير الماضي .. ترى هل تتركه هي وتوني اليوم أيضاً .. وأفاقها

خرجت نجوى وتبعها حسن منذ أيام قليلة .. نعم .. ترك حسن المنزل .. وقفت أرقبه ، وهو يجمع ملابسه ، ويحمل حقيبته ، ويفادر الباب ، وهو ينظر إلى وجهي من خلف دموعه ..

لم أستبقه وكيف أستبقه في بيت امرأة ، كان وحده سبب خروجها من البيت بإهماله واستهتاره .. خرج حسن رغم حبي وحاجتي له .. وقلت أنا وغتار .. أضمه إلى صدري الميت ، وأغفو إلى جواره بروحي الميت ..

هاشم وأنكل منعم لا يتركان لحظة ، ولكن ما عساهما بحبيها يصنعان لروحي الشريدة ..

آه يا عابدة .. وحده حسن سر شقائي ، رغم أنه وحده دواء غتار ودوائتي ..

دينا

www.mlaazna.com

www.mlaazna.com

RAYAHEEN

صوت صلاح ، وهو يقول في سخرية مشيراً إلى توني:

صاحبك الجديد؟ إنتي بجحة قوي يا عايدة .. كلهم بتدخليهم بيتي .

وقال توني في صوت واضح واثق:

من فضلك سيد صلاح تكلم إنجليزي عشان أفهم .

ونظر إليه صلاح في قسوة ، لا تخلو من نسمات تردد وخوف ، وقالت عايدة وهي تشرح لتوني:

صلاح يتهمك بعلاقة معايا و ..

وقبل أن تكمل عايدة حرفاً ، قال توني في صوته الهادئ ، وهو ينظر حوله:

سيد صلاح .. عايدة حترفع قضية طلاق ، وأنا بعد ما شفت الوضع دا واثق إنها حتكسها .. اللي فضل ابنك .. اتفضل استلمه بس حتكسب تعهد إنك تراعيه وتتابع دراسته .. كل درجات آدم امتياز .. لو درجة واحدة نزلت أنا حارفع عليك دعوى .. لو في يوم سبته لوحده ، أو ما اهتمش بيه ، ووفرت له كل احتياجاته حارفع عليك دعوى .

وصاح صلاح في إنجليزيته الركيكة قائلاً:

بصفتك إيه ؟ أنا والده ..

وقاطعه توني بالهدوء ذاته قائلاً:

بصفتي مواطناً بريطانياً .. بصفتي ابناً لمواطنة بريطانية من الدرجة الأولى ، مش درجة ثانية زيك ..

ونفض توني ليشير إلى عايدة قائلاً:

317
يللا يا عايدة .. ابنك عندك وصدقتي يا صلاح ، لو آدم اشتكى أو مستواه الصحي أو الدراسي اتأثر مش بس حتاخذه .. لا .. يا سيد صلاح أنت حتواجه مواقف قانونية صعبة ، ممكن تعرضك للعقوبة .. أنا مش فاهم تاخذوا جنسية بلد ، وتتجاوزوا بناته من غير ما تعرفوا قوانينه إزاي؟!

وقبل أن يفكر صلاح في أي شيء يقول ، سمع طرقات على باب بيته استجاب لها بسرعة ، كأنه حقاً كان يبحث عن شيء يفعله ، حتى يجد ما يقول أو يجيب به ، وحين فتح الباب ، وجد أمامه بيل سائق توني الأنيق بزيه اللامع ، يحمل حقائب آدم بيده قائلاً:

مساء الخير .. سير توني موجود؟!

وصاح توني من خلف صلاح قائلاً:

دخلهم هنا يا بيل وانزل .. إحنا جاينين .. يللا يا عايدة .

واستدار صلاح ليرى عايدة تقف في هدوء ، وقبل أن تصل إلى توني قالت في هدوء:

آدم .. إحنا ما عندناش مانع تحتفظ بيك وتحمل مسئوليتك .. لكن صلاح أبوك .. لكن لو هو ما قمش بمسئوليته القانون بحميك ..

كان آدم صامناً .. لكن كان واضحاً أنه يرغف .. كان واضحاً أنه يتفض ذعراً وخوفاً .. لكنه لم ينبس حرفاً ..

ووضعت عايدة يدها بين أصابع توني في هدوء ، وانجها نحو الباب ، وقبل أن يعبراه أمسك صلاح بلواعها في قسوة ، وقال:

أنا عاوز فلوسي .. الفلوس اللي صرفتها على جوازتك وعلى التأشيرة والتذكرة .. عايز كل مليص صرفته عليك يا بنت صابر ..

وبعد أن شرحت عائدة كلمات صلاح لتوني في ألم كبير ، قال توني في هدوء:

رغم أنك إنت اللي ممكن تدفع .. لكن أنا حاذيك أتعاب المحامي .. نحدد «ميعاد» ، نتمم فيه إجراءات الطلاق وتأخذ المبلغ .

وقبل أن يكتملا طريقها إلى الخارج ، عاد صلاح يقول:

خذوا الولد دا من هنا .. ودوه لأمه ولا ريوه ولا اعملوا أي حاجة .. أنا مش عابزه .. قوم روح معاهم .

دينا:

طنط نجوى لم تضع .. طنط نجوى ليست بين يدي أحد من البشر .. أيا كان ما يفعله بها المجهول ، فهي ستبقى بين يدي الله الرحيم ..

حسن ليس مسئولاً عما حدث .. حسن ليس سبب غروجه .. إنه القدر .. إنها إرادة الله ..

صلاح رفاعي أيضاً ليس من قتل ماما هدى ، وليس حتى سبباً في موتها .. إنه العمر وإنها إرادة الله ..

نحن فقط بشعفتنا وحبنا نلقي اللوم على من حولنا ، وننسى أنه وحده يشاء وما يشاء يفعل ..

طنط نجوى ستعود .. ستجدينها .. ولكن لا تفقدي «حسن» ، ولا تحرمي «غفار» من أبيه ، فيها لا ذنب له به ..

دينا ..

لا تدعي الألم ينسبك العقل .. أعلم أن لنا جميعاً كبير ، ولكن ليكن إيماننا بالله وبرحمته أكبر ..

اذهي إلى حسن .. من أجل غفار .. من أجلك .. ومن أجل طنط نجوى .. اذهبي إلى حسن ، وأعيديه إلى الحياة ، وعددي إليها معه ..

ألقى حسن بمفاتيح سيارته في غضب على طاولة الطعام بمنزل والده ،
وألقى بعدها بجسده على الأريكة البعيدة وأجهش في البكاء .. عاد للتو من
لقاء دينا .. لقد ذهب لرؤية مختار ، لكنها تركت المنزل وذهبت إلى هاشم
.. خلفها وأمام منعم شيرازي .. أمام هاشم رجاها كثيرًا أن تحادثه .. أن
تسمعه ..

.. أقسم لها من جديد أنه مازال يبكي غياب نجوى ، ويبحث عنها ..
لكنها ما أجابته بحرف واحد .. لقد يش منها .. يش منها حتى إنه أخبرها
أنه على استعداد لبيع الفيلا وقبول أي عمل .. أخبرها أمامهم أنه على استعداد
لقتل كل أحلامه لتعود إليه .. لتحادثه .. لسمع صوتها وإن خرج يلعبه ..
لكن دينا بكت في جنون ، وهي تقول إنها أكثر منه ضعفًا وبأسًا .. قالت إنها
أبدًا لا تستطيع أن تغفو بين ذراعيه ، ونجوى لا أحد يعلم إن كانت على ظهر
الأرض أم في باطنها ..

صرخت دينا أمام منعم وهاشم ، وهي تقسم أنها تمنى لو تخرج إلى
الشارع ، ولا تعود أبدًا لولا إشفافها على مختار ..

انهارت دينا ، وهي تعلن أن سماع صوت حسن ورويته يثيران فيها ألمًا
لا تحتمله ..

أخذها هاشم بين ذراعيه لحظتها ؛ ليبتعد بها في غرفته بعيدًا عن حسن ،
وكانه أشفق عليه من سماع المزيد ..

هل تظنين الله نفسه برضيه سوى أن تفعل .. فليكن إرضاء الله طريقك
لأطلب رحمته ، التي نحتاجها جميعًا ..

قسوتك على حسن ليست ثأرًا لظلمة نجوى .. قسوتك على مختار وعلى
نفسك ليست وفاءً لها ..

العقل والرحمة هما الوفاء .. هما الأمل ..

آه لو تعلمين كم أتمنى أن أحضر ، وأكون إلى جوارك ، ولكن أعلم أنني
إن أتيت سأطرق باب هاشم .. أعلم أنني إن أتيت سأبكي من قسوته هو
الأخر ..

سأبكي وحدي ؛ لأنني أعلم أنه سيفلق الباب ليفتح خلفه بيكيتي أو
يلعنني !!

قد تقتلني لعناته ، ولكن يكاء يقتلني أكثر !!

لا تنفسي أنت الأخرى خلف بابك تبكين وحدك .. اذهبي إلى حسن ..
اعبديه إلى بيته .. وإن كان قدركم البكاء فلتبكي معًا !!

عائدة



هاشم ودينا قتيلا .. لكنهما يشهران سيوفهما في وجه القتل ..

هاشم مذبح من وفاة أمه ، ويشهر سكين أله في وجه عابدة .. ودينا مذبحه بضياح نجوى ، وتعهد سكين أله في قلب حسن وقلب غنار وقلبا هي أيضًا ..

وهز حسن رأسه في عنف ... ما عاد لديه شيء يقدمه .. ما عاد عنده شيء يستقيه ، أو يستقي في روحه الرغبة في العراك والمحاولة من أجله ..

يجب أن يتعهد هو الآخر .. يجب أن يذهب إلى طرف آخر من أطراف الأرض .. بعيدًا عن أطيايف الجريمة التي لم يرتكبها .. إن كان الإعدام هو حكم دينا ، فليمت حسن بعيدًا وليمت وحيدًا ..

سيكتب إلى باسم أمين صديقه في دولة الكويت .. لقد أرسل له منذ أيام إيميل ، يخبره فيه أنه وجد له عملًا بدخل شهري ، مناسب في إحدى شركات الخرافي الشهيرة .. سيرسل إليه حسن موافقته .. سيطلب منه أن يرسل له «المائة» ، وجميع الأوراق ليستخرج التأشيرة .. لن يخبر أحدًا ولا حتى والده .. سينتهي كل شيء ويرحل .. سيترك دينا عليها تهادًا لعل نجوى تعود إليها .. لم يعد يحتمل كل هذا الألم وكل هذا الظلم .. سيحيا حسن وحيدًا بعيدًا عن أبيه وابنه وعن امرأة أحبها وحلم لها .. لكنها ظلمته يذنب لا ذنب له فيه ..

سيتعهد ويحيا كما تحيا عابدة بعيدًا ..

هناك قلوب قدرها أن تمنح الحب ، ولا تأخذ سوى الظلم والنفي ..

حسن عبدالكريم فياض سينضم إلى قائمة هذه القلوب ..

كفاه ذلًا وظلمًا ..

دينا:

في الحادية عشرة عندما كنا أنا وأدم ناتمين ، طرق توني الباب في جنون وعندما نهضت مدعورة ، وفتحت له ، طوقني بذراعيه وهو يكي ..

أخبرتك منذ أيام أنني منحت روايتي ليقراها بعد انتهائها .. توني يقول إنها رائعة!

تخيلي يا دينا أن توني الذي ينام في الثامنة كل يوم ، منذ أعوام طويلة ، لم ينم حتى الحادية عشرة لينهيا .. تصوري أنه بعد انتهائه منها ، أيضًا لم ينم .. بل جاءني ، وهو يرتدي بيجامته ليضعني ، وهو يكي سعادة وتأثرًا بها ..

توني أخبرني أنها رائعة ، لكنه أيضًا أخبرني أن هذا هو رأيه الشخصي ، وأنه في صباح الغد سيأخذها إلى صديقه ، الذي يمتلك إحدى أكبر دور النشر في لندن ..

توني أخبرني أيضًا أن صديقه لن يقرأها ، ولكنه سيرضاها على لجنة الدار ، وأنهم وحدهم سيأخذون القرار ..

أنا لا أصدق أن الرواية أصبغت إلى هذا الحد ..

لقد بكيت بين ذراعيه أنا أيضًا من ذهولي وفرحتي ..

دينا:

أنا أدين لكم جميعاً .. أنت وهاشم وتوني وآدم وماري رحما الله ..
ما بقي شيء سوى أن أكتب الإهداء والمقدمة ، ولكنني لن أقبل ذلك
إلا إذا تم قبولها .

هل تعتقدن حقاً أنها سَتقبل ؟! هل تصدقن أنها جميلة ؟! أم أن توني قرأها
بعين حبه لي ولروح سيلفيا ؟!

لا أعلم يا دينا لكنني سعيدة ..

آه يا دينا كم اشتقت إلى السعادة !!

عائدة

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

في هدوء وضعت دينا مختار في فراشه ، واستدارت تنظر إلى الساعة
المعلقة على حائط غرفته .. بقي حوالي نصف ساعة على موعد حضور اللواء
عبد الكريم .. لقد حدثها عند عودتها من العمل ؛ ليخبرها أنه سيزورها في
المساء لأمر مهم ..

ودخلت غرفتها في صمت لتخرج تي شيرت من اللون التركواز ، ارتدتها
على صدرها العاري ويتناكور من اللون الأبيض ، ووقفت أمام مرآتها غشط
شعرها البندقي ..

طال شعرها ومنذ ذلك اليوم الذي خرجت فيه تجرّى ولم تعد ، لم تذهب
دينا إلى تصفيفه أو إعادة قصه ..

ازداد جسدها نحولاً ، وارتسمت حول عينيها البتيتين الواسعتين هالتان
سوداوان عميقتان .. حتى وجهها الجميل أصبح شاحباً حزيناً .. أربعة
شهور ولا خبر عن نجوى .. مر أيضاً أكثر من شهر على تلك الليلة ، التي
بكى فيها حسن ، ويكت فيها دينا في بيت هاشم ..

لم تره بعدها يوماً ولم يجادثها مرة واحدة .. كان يكتفي بإرسال رسائل
صغيرة على هاتفها ؛ ليخبرها بأنه سيحضر في الصباح لرؤية مختار أثناء
وجودها في العمل ..

في كل مرة كان يحضر فيها لرؤية مختار ، كانت تظن أنه قد يبقى حتى
عودتها .. في كل مرة كانت ترفض الاتصال بالبيت ، وتعود وهي تأمل أن

تراه ، ولكنها كانت دومًا تعود لتجده قد غادر البيت منذ ساعات ..

ألقت دينًا بفرشاة شعرها ، وخرجت إلى ريسيشن البيت ، وهي تفكر من جديد ..

هل يأتي عبدالكريم ليدعوها إلى عودة حسن إليها .. وإن فعل ما تراها تفعل أو تقول ؟!

هي لا تعلم .. لا تعلم .. دينًا تعلم أنها اشتاقت إلى حسن ..

دينًا تعلم أنها تحبه ، ولكنها أيضًا تعلم أن شيئًا ما بداخلها مازال ينتفض رفضًا ، كلما أغمضت عينيها وراحت نفسها معه من جديد ..

ونفضت دينًا تفتح باب بيتها ؛ ليطل عبدالكريم بوجهه الحاني الهادئ أمامها ، وضمها إلى صدره في حنان ، واستسلمت دينًا لذراعيه .. إنها تحبه ، ونجوى أيضًا كانت تحبه ، وتعلم أنه دومًا كان يحبها بصدق ..

وجلسا معًا على الأريكة التي كانت دينًا تجلس عليها .. وبعد لحظات من الصمت ، قال عبدالكريم:

ما فيش أخبار عن نجوى هانم يا دينًا ؟!

لاحت في عينيها أطراف دمع ، هزت بعدها رأسها بالنفي ، ثم قالت وهي تتهد في ألم:

أبدًا يا عمي .. أبدًا .. لو صغيرة أقول حد خطفها .. لو عيلة أقول عصابة أو نشالين أخذوها تشتغل معاهم .. لكن ست كبيرة زي مامي يعملوا بيها إيه ، ويمكن توصل لحد فين ، وهي لا فلوس معاهها ولا دعب .

وأطرق عبدالكريم برأسه في حزن صادق عميق ، ثم قال بعد لحظات:

الحسارة كبيرة .. كبيرة قوي يا دينًا .. لكن يابتي اللي عبرتي وقاتلني أكثر إني مش قادر أفهم لما ياخسرنا حاجة واحدة كبيرة ، ما قفلناش إيدينا علّ اللي فضل عندنا .. ليه لما ربنا بمشيته ولحكته ياخذ من حد عين مثلاً ، يروح قالع الثانية من وشه ؟! أنا أعرف إنه اللي بيخسر ملايين يحافظ حتى على الملايم اللي فضلت معاه ، ويحاول يعمل منها وببها حاجة .. لكن انتو يابتي ضاع منكم حاجة اتغنيتوا .. رميتوا كل اللي فضل ، مع إن اللي فضل مش ملايم .. اللي فضل دا بيت وحياة وطفل وحب وعشرة ..

ونظر عبدالكريم إليها لحظة ، ثم نكس رأسه ، وفي هدوء خفيض عاد يقول:

كرهتي حسن يادينا ؟! كرهتيه قوي كذا ؟!

وسقطت دموعها من جديد في سخاء لتقول بصوتها المنقطع:

والله بحبه .. والله العظيم بحبه .. والله كيان مرة يا عمي مش محتاجة لأمي قد مانا محتاجة لحسن .. بس زعلاية منه ، حتى وأنا مش قادرة ما ألوموش .. عارفة ومؤمنة إنها إرادة ربنا .. لكن مش قادرة .. عارفة وفاهمة لكن مش قادرة .. عارف يا عمي ؟!

وأطلت من عيني عبدالكريم دمعة ، وهو يرفع رأسه ناظرًا إلى دموعها الغزير وعادت دينًا تكمل قائلة:

زمان كنت غضبانة من هاشم .. كنت أقول لحسن إزاي اتريت معاه العمر دا كله ، وما أعرفش إنه سادي وقلبه أسود .. إزاي يعذب عابدة ويعذب باباه ويعذب نفسه بالقسوة دي ، وهو عارف إنها مالهش ذنب في اللي عمله جوزها ، أو في موت ماما هدى .. ما كنتش أعرف إن الوقت حيدور وأشرب من نفس الكاس .. يمكن دا حصل عشان أفهم قد إيه

هاشم يتعذب .. قد إيه هاشم عارف وفاهم ، وزغم كذا مش قادر .. العجز صعب يا عمي .. العجز مؤلم ومؤلم أكثر لما تبقى عارف وفاهم .. لكن عاجز ومش قادر .. عارفة إن «حسن» يتعذب ، بس أنا عذاب أكبر ..

وألقت دينا بوجهها بين كفيها لتتخبط في بكاء مرير ، إلا أنها أفاقت على صوت عبدالكريم ، وهو يقول:

حسن مسافر يا دينا .. مسافر ..

واتسعت عيناها الحمر اوان في ذهول ، وهي تنظر إليه قائلة:

إيه؟ مسافر .. رايح فين؟

وسحب عبدالكريم نفساً عميقاً من صدره ، وقال في حزن أكبر من حزنها:

رايح الكويت .. باسم أمين صاحبه بعته عقد عمل وعمانة في شركة من شركات الطراني .. حيسافر بعد بكرة .. اترجيت ما يسبش .. قلته هدى هانم ماتت في لحظة ، بس كان هاشم جنبها .. قلته نجوى خرجت بس كحلت عينيها بيك وبابتك قبل ما تخرج .. قلته إني ممكن أموت ، وهو بعيد من غير ما أشوفه .. قلته كتير يا دينا ، لكن مافيش فائدة .. مش باقولك أنا مش عارف إيه اللي جرالك .. لما ضاعت منكم حاجة بتحبوها ، بتضيعوا وراها كل حاجة ربنا بكرمه سايبها لكم بين أيديكم ..

وعادت دينا تقول في ذهول غاضب:

كل دا عشان الفللا التحس وأقسطها .. مافيش فائدة ..

وقاطعها عبدالكريم ، ودمعات صغيرة بدأت تسقط على وجنتيه ،

قائلاً:

أبدًا يابتي .. حسن قاللي عل موضوع الفللا .. عندي أرض كبيرة في الشرقية يغطي منها أقساط الفللا وزيادة .. عندي صندوق التأمينات والمعاشات من الجيش .. لكن أبدًا مش هو ذا السبب .. السبب زي ما قلتلك جنات الحزن والغضب ، اللي بيعمي العين عن كل النعم الموجودة عشان نعمة واحدة راحت ..

ونكست دينا رأسها في ذهول .. هل جاء يغيرها لتستقيه .. هل جاء يغيرها لثمنه عن السفر .. لا تفهم .. ومن بين ذهولها ، قالت في حيرة ودون تفكير:

عايزني أعمل إيه يا عمي؟

وابتسم عبدالكريم ابتسامة صغيرة مريرة ليقول:

أنا مش عايز حاجة يادينا .. حسن هو اللي طلب مني أبلغك إنه مسافر ، وطلب مني أبلغك إن حريتك ملكك .. وإنك لو عايزة .. لو عايزة ..

وتلون صوته بالدمع ، وهو يرى دينا تتحول إلى عيني وأسعتين ، خاليتين من الدمع والروح ، وأرغى رأسه في سكون ليقول:

حسن ممكن يطلقك قبل ما يسافر ..

وشهقت دينا شهقة كبيرة ، كأن رصاصة اخترقت صدرها العاري وشعرت أنها ترى كل شيء للمرة الأولى .. كيف حدث كل هذا .. كيف تحول ذاك الحب إلى جسور من الاتهام والقسوة .. كيف أصبحت فجأة غريبين إن التقيا لا يتعادنان ، وإن قررا شيئاً أرسلوا من يعمل قرارهما إلى الآخر .. كيف تحيا دون حسن .. كيف يحيا حسن دونها ودون مختار؟

ولكن كيف تحيا دينا دون نجوى ، وكيف تحيا نجوى نفسها الآن ، وهل هي حقاً حية ترزق؟

ولكن وإن ماتت نجوى وإن ضاعت فلم يجب أن تموت دينا ، وحتى إن ماتت دينا ، لِمَ يجب عليها أن تقتل «حسن» و«غفار» وعبدالكريم معها .
ونحس عبدالكريم عن مقعده ليخرج مطروفاً من جيبه ، وضعه على مقعد الأريكة ، وقال :

دي فلوس .. لمختار يادينا .. كل شهر أنا .. قصدي حسن جيبعت فلوس .. اللي تقولي عليه ، والي يكفيك ويكفي ابنك .. دينا ..
ونحست دينا لتواجهه ، وهي مازالت نائمة مفتوحة العينين ؛ لتسمعه يقول :

فكري يابتي .. بلغيني بكرة عشان لو عايزة ..
وبكى الرجل .. خاتنه الدمعات .. ضمها إلى صدره في هائل واضح ، وقال وهي بين ذراعيه :

يادينا فكري .. حسن ماشي بعد بكرة الساعة تسعة بالليل !!

يشق صدره أن يراه بهذا الحزن والألم .. يشق صدره أن يصبح هو سبب تعاسته وألمه ، ولكن نحن لا نعتذب ونتألم إلا بأيدي من نحب ..

ونحس حسن عن مقعده ليحمل حقائبه ويضعها إلى جوار باب البيت ، وعاد يجلس إلى جوار عبدالكريم ، ووضع ذراعه حول كتفيه قائلاً :

وبعدين بابو حسن .. وبعدين معاك .. شهر ولا اثنين ابعتلك كارت زيارة . تقعد معايا في الكويت ونشرب بن العميد اللي انت بتجبه ..

وفي هدوء ، أجاب عبدالكريم :

واسيب دينا .. اسيب غفار .. نسيهم احنا الاثنين يا حسن .. أنا ماهريش من مسئولياتي ..

ونكس حسن رأسه ليقول :

أنا ماهريش .. أنا اتنفيت .. أنا مش مرغوب فيا ..

وقاطعه عبدالكريم في حلة قائلاً :

مين نفاك ؟ دينا ؟ دينا المجروحة .. الوحيدة .. ابنك اللي ما كملش ستين ولا ثلاثة .. وحتى لو عملوها أنا .. أنا ذنبي إيه .. أنت تقبل ليه تعذبني وتعذب نفسك ليه .. وبعدين دينا لو مش عايزاك يا حسن ، كانت وافقت على الطلاق .. البيت كانت حتمت لما قتلناها ..

وبهتكم مرير قال حسن:

دينا عايزاني أموت هنا بيعي وشعوري بالذنب ، لكن أنا مش حاسنك
.. سفرني مش هروب .. سفرني محاولة لبناء حسن جديد .. حسن قوي ..
صدقني .. يلا قوم البس ، ولا مش عايز تروح معايا المطار يا سيادة اللوا؟!
وفي اللحظة التي غرض فيها عبدالكريم عن مقعده سمع طرقات على
جرس الباب ، وعندما فتحه أطلت دينا من خلف الباب ، وهي تقول:
أنا أسفة يا عمي .. جيت من غير ما اتكلم ..

وضمها عبدالكريم إلى صدره في فرح لا حدود له ، وأفسح لها الطريق ،
وهو يقول:

بيتك يا دينا .. بيتك يا حبيتي ..

ورأته يقف أمامها .. رأيته ينظر إليها في خلطة كبيرة .. رأت في عينيه فرحا
ودهشة .. رأت في عينيه ألما ودعما ترقص .. كأنها لا تعلم هل ترحب بها ، أم
تسقط على كتفها ، وقالت دينا بصوت ضعيف ، كأنها تستجدي الحروف:

إزيك يا حسن؟!

غاب عبدالكريم عنها متذرعًا بإعداد كويين من الشاي .. جلست
دينا وجلس أمامها حسن يرقبها .. كانت ترتدي قميصًا ورديًا من الحرير ،
وجوب قصيرة من اللون الرمادي الأقرب للون سحابة شتاء داكنة .. رأى
على شفتيها مسحة من روج وردي ، وعلى خديها انعكاسة لأزهار تفتحت
على جنبات روحه ، وأغمض عينيه ليقول من خلف تهيدة كبيرة:

الحمد لله يا دينا .. الحمد لله ..

وعاد الصمت يغزو المكان لحظات طويلة ، حاولت فيها دينا أن تتحدث
أكثر من مرة ، وفي النهاية قالت كأنها تنن:

حسن .. لما قررت آجي ، قررت أتكلم .. قررت أصرخ وأبكي وأقولك
ما تسافرش .. أقولك إني مش بحثك الي حصل .. لبست اللون الي
بتجبه وحطيت البرقان الي بتجبه عشان .. عشان أقولك ما تبعدش عني
.. لكن ..

وأغمض حسن عينيه في ألم ليقول:

قررتي وليستي وجيتي .. لكن ما قوليش .. ما قدرتيش ..

دينا .. أنا كيان مش بالكومك .. بس أنا تعبت .. تعبت من نظرة اللوم في
عينك .. تعبت حتى من تأنيبي لنفسي ، رغم إني عارف إني ما غلطش ..
تعبت من أسئلة غتار في كل مرة أشوقه فيها .. إمتى حترجع؟ إمتى حنخرج
أنا وأنت ومامي؟ هي ماما نجوى فين؟

تعبت يا دينا .. تعبت .. خلاص ابتدي يسكني إحساس إني أنا السبب
.. بس والله ..

وقاطعت دينا ، وهي تبكي قائلة:

والله عارفة إنك مش السبب .. والله عارفة .. حسن أرجوك افهمني ..
أوقات كان يبقى نفسي أجيب «غتار» وأجي أعيش معاك هنا ، عند عمي
عبدالكريم ، وأوقات كان يبقى نفسي أرجع الأقبلي مع غتار ، وأترجلك ما
شمشيش ، لكن في آخر لحظة بالآقيني مش قادرة .. مش عارفة ومش قابلة
ولا راضية ..

ونفضت دينا عن مقعدها ، وهي لا تعلم .. هل تلقي بنفسها بين ذراعيه ،
أم تعود من حيث جاءت .. ونفض حسن وتقدم نحوها ليمسك بذراعها في
حنان وأخذها على صدره ، وهو يقول:

في شيء اتكسر وفي شيء اتبنى ..

ويكت دينا في جنون عل كنفه ، وهي تقول:

يمكن لو مامي رجعت .. لو عرفنا عنها حاجة .. يمكن إحاسبي بالدنيا
كلها بتغير .

وأحكم حسن ذراعيه حولها في قوة ، وهو يقول:

دينا .. أنا حاسس إني اتظلمت ، وأنت مش حاسة إنك ظالمة .. اسمعي
يا دينا .. الظالم والمظلوم دواهم النسيان والرحمة .. الأيام بس هي اللي بتخلق
النسيان والرحمة .. دينا الفراق مش نهاية .. الفراق مش عقاب .. من الفراق
ممكن تتولد الرحمة والغفران .. من الفراق ممكن نشوف ونفهم ونقدر ..
نقدر ياديننا ولسه باقولك لو مقدرتيش .. أنا مش حاليومك أبداً ، وحريرتك
تاخذليها في اللحظة اللي تقولي عليها ..

وضمته دينا إلى صدرها ، وسمعتة يقول:

أبو علي ييجبك يادينا .. حقيقي ييجبك يا أم علي ..

ونظرت إليه من خلف دموعها ، كأنها تستجديه القرار له ولها .. لكنه
ابتسم في حزن .. كلامها جريح .. وكلامها لا دواء له سوى شيء اسمه
الرحيل والأيام!!



هاشم:

رغم أني أعلم أنك أبداً لن تحبب أو تكتب ، ورغم أني أعلم أنك تشمر
أن لا استحق منكم سوى الكراهية والغضب ، إلا أنني لا أستطيع ألا تكون
أنت أول من يعلم أن دار النشر قبلت روايتي .. حادثوني يا هاشم هذا الصباح
.. أخبروني أنهم سيقومون بطباعة خمسة آلاف نسخة منها .. طلبوا مني أن
أذهب إلى لقائهم ، ومعني العنوان والإهداء ..

هاشم:

من أجلك كتبت ، وإليك سأهدي كتابي ..

هاشم:

تم طلاقني من صلاح .. أنا وأدم وتوني وكريستين ، مازلنا دوماً نتحدث
عنك .. مازلت أذهب كل صباح إلى مقعد النهر ، وأجتر لحظتنا هناك ..

مازلت اتحسس بأصابعي مكان جلوسك عليه .. ورغم أن الآلاف
يجلسون في المكان ، الذي اعتدت الجلوس فيه ، إلا أنني في كل مرة أضع عليه
أصابعي أشمر بشفة جسلك وأنفاسك وحلك ..

هاشم:

إن كانت غيبتني هي زواجي من صلاح ، فلقد تحدرت منه .. وإن

كانت خطيبتى هي موت ماما هدى .. فأنا مت معها .. ولكن مازال الأمل يسكننى.

هاشم:

إن كنت ترى أنني أستحق النجاح ، اكتب لي كلمة واحدة لأندوقه بها ..
وإن كنت مازلت ترى أنني أستحق اللعنة ، فاكتب أيضًا لي كلمة لأطلب من ربها الرحمة ..

هاشم:

أرجوك .. لا تقتلني مرتين!!

عايدة

كم مرة قرأ هاشم هذا الإيميل ، الذي وجده في انتظاره عند حضوره إلى المكتب منذ ساعة .. كم دموع سقطت على وجتيه .. كم مرة تحس سطور الشاشة بأصابعه البيضاء الرشيقة .. لا يعلم .. لكن لحظة لم يمر سوى أن يقرأ .. لحظة لم يمر سوى أن يراها بين السطور ..

إنه سعيد من أجلها .. أخيرًا منحتها الأقدار شيئًا ..

أخيرًا امتدت يد السماء لتمنح عايدة شيئًا .. للمرة الأولى ستمد عايدة أصابعها لتأخذ لا لتمنح ..

لكنه يعلم أنها لن تذوق هذا العطاء .. هاشم يصدق كل حروفها وكلما أنها .. عايدة لن تذوق طعم شيء على الأرض ، دون أن تتخلص من وحدتها وشعورها بالذنب والألم والشوق ..

لا أحد على الأرض بإمكانه أن يجعلها تفعل سوى هاشم .. هو وحده بإمكانه أن يعيد إلى شفاها الوردية حاسة الذوق ..

هاشم يعلم أن «هاشم» عبد النعم وحده في قلبها وروحها .. عشقته عايدة بكل عذرية مشاعرها .. عشقته عايدة كما كان هو يعشقها العمر كله ..

ليتها لم تشعر بحبه .. ليتها حقًا لم تحبه .. أصبح يشعر أن حتى رؤيتها أصبحت أمرًا عجزًا .. لا يستطيع أبدًا أن يراها .. لا يستطيع أبدًا أن يتخيل حتى وجهها الجميل ، دون أن تطل من جواره عيني هدى ، وهي تصرخ في

ألم .. لا يستطيع هاشم أبدًا أن يغمض عينيه ، ويأخذها بين مقلتيه ، دون أن تكتوي أجفانه برؤية هدى قوت بين ذراعيه .

هو يعلم أنها بريئة .. وحده يعلم أنها نقية طاهرة .. ما خانت ذاك الكريمة الذي يستحق الخيانة ، وما خانت هدى ولا مبادئها ولا قرأتها أو تربيتها .. لكنه رغم طهرها وبراءتها يراها محرمة عليه ، حتى أصابعه التي أمسكت بكتاب الله الكريم ليسم عليه هدى بأنه أبدًا لن يراها .. حتى هذه الأصابع تعصاه ، إن حاول يوم الاتصال بها أو الكتابة إليها ..

آه يا عابدة لو تعلمين أن «هاشم» مازال يحبك .. آه يا رفيقة العمر لو تعلمين كيف كبر القلب على هواك .. مسكينة عابدة .. يوم علمت بحبه .. يوم شعرت بحبها ، أصبح ما بينها جثة هدى أباطة ..

وعاد يتحسس سطور الشاشة في ألم كبير ، ووقفت عيناه على كلمة الأمل التي كتبها عابدة ..

وحده الأمل يعذبها .. وحده الأمل إن مات ، صحت حواسها الأخرى .. عابدة يعذب بقبحها الأمل .. عابدة إن مات أمهلها عاشت هي في سلام ..

وفي هدوء نهض هاشم عن مكتبه ، ومسح قطرات دمه ليدخل إلى مكتب منعم شيرازي ، الذي أغلق هاتفه ، الذي كان يتحدث فيه بعد لحظات لينظر إلى هاشم قائلاً:

مالك يا هاشم .. فيه حاجة؟

ويهدوء شديد ، اعتاده منعم .. بصوت هادئ أعاد أبدًا يسكنه ذاك المرح القديم ، الذي دفنه هاشم إلى جوار جسد هدى ، قال هاشم:

أبوة يا بابي .. عايزك تكلم الدكتور فؤاد غراب ، وتحدد معاه «ميعاد» .. أنا قررت أنجوز سلمى ..

ورفع منعم عينيه لينظر إليه في استنكار قائلاً:

سلمى .. سلمى يا هاشم؟

وعاد هاشم يقول في هدوء:

أبوة .. سلمى يا بابي .. مالها؟ أبوها رئيس محكمة النقض وأخوها ..

وقاطعه منعم قائلاً:

أبوها وأخوها وعيلتها على راسي من فوق .. لكن سلمى يا هاشم ما تنفعش .. دي إنسانة عملية جدًا .. بابني إحنا طول عمرنا بنقول إن الدكتور فؤاد خلف ولدين مش ولد وبنت .. حلوة آه وملونة وزى القمر .. لكن ما فيهاش روح يا هاشم .. وبعدين تعالى بقى .. ليه العناد؟ أنت بتحب عابدة .. عابدة خلاص بقت حرة يا هاشم .. أنا ما عتديش مانع أبدًا إنكوا تتجوزا .

وانتنفض جسد هاشم ، كأن حريقاً أمسك في أطراف ثيابه ؛ ليقول في لوعة:

إلا عابدة .. مستحيل ..

وصاح منعم ، وهو ينهض عن مكتبه قائلاً:

هو إيه اللي مستحيل؟ العدل مش مستحيل يا هاشم .. عابدة بتي .. عابدة ما عملتش حاجة عشان تحرمها منك ..

وعاد هاشم يقول في ألم حاد:

مستحيل .. عابدة مستحيل .. مستحيل ..

واقترب منعم بمقعده ليجلس إلى جوار مقعد هاشم ، وعاد يربت على فخذه ، وهو يرى دمعاته تسقط من عينيه ، ثم قال:

ماحدث يعرف هدى قدي .. ماحدث عاش معنا قد أنا ما عشت ..
يا ابني .. حتى أمك حستريح في موتها .. دي كانت لحظة غضب .. وموتها
كان «قدر» .. ماحدث أبداً كان السبب فيه .. يا هاشم رينا قال:
«إذا جاء أجلكم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .

حتسى كلام رينا ، وتمشي ورا انفعالاتنا وغاوتنا وعقدنا ليه يا هاشم
.. بابني لو كان قصدك تعذب نفسك وتعذب عابدة كعقاب ، فلا عذابك
ولا عذابها حيرضوا ربنا ولا يرضوا أمك الله يرحمها .. عابدة بتحبك يا هاشم
.. دي روحها بتترعش في وداني في كل مرة أكلمها ، وتقول اسمك وتسال
عنك .. ارحم نفسك .. بلاش جلد الذات دا .. بلاش يا هاشم ..

وياهدوء ذاته عاد هاشم يقول ، وهو يرفع عينيه الخضراوين
المستديرتين:

أنا عايز أنجوز سلمى غراب .. هي الوحيدة اللي تناسبني .

وعاد منعم يقول في حدة:

مستحيل .. بابني حتى لو مش عاوز تتجوز عابدة .. سلمى ما تنفesh ..
إنت محتاج واحدة مشاعرها دافئة .. تداوي جرحك .. تصحي مشاعرك ..
تستنفر فيك روح هاشم وشبابه وإقباله على الحياة ..

وفي ابتسامة مريرة ، قال هاشم:

هو دا السبب اللي أنا عايزها علشانته .. سلمى مش حتجرح لما تعاشر
«راجل» ما عندوش مشاعر .. سلمى مش حتحس أبداً إني آلة بتتحرك على
الأرض لغاية ما تيجي ساعة وقوفها .. سلمى مش حيأذيا إني مش بحبها
ومش حاجبها .. لأن سلمى الحب مش من تكوينها ولا تركيبها .. صدقتي
سلمى هي اللي حتقنني وتنقل عابدة كيان ..

وفي حزن كبير ، قال منعم:

دا برنامج مكثف للعقوبة يا هاشم .. لا يا هاشم سلمى مش حتقنك ..
في يوم حتفوق .. في يوم حتدور على إيد .. على صدر يمسك .. حتعمل إيه
ساعتها؟! حتخونها ولا حتدور على عابدة؟! وترجع تاني الحكاية تتكرر ..
لا يا هاشم .. أنا مش موافكك ..

وفي تصميم ، وفي اقتضاب شديد ، عاد هاشم يقول:

أنا مصمم .. أنا حاكلم الدكتور غراب وأحدد معاه «ميعاد» ..



عابدة قالت إن الأب المسلم لا يمثل الإسلام في شيء ، رغم قسوته ودنائه مع زوجته البريطانية الرقيقة ، التي منحه أكبر فرصة في عمره ، وقالت إن زوجته الثانية أيضاً إنسانة بسيطة عادية كآلاف آلاف الملايين من البشر ، الذين خلقهم الله ..

لا فرق بين إنسان وإنسان إلا في قربه من الله .. في فهمه لحقيقة الحياة والأديان ..

عابدة قالت إنه لا خطأ في دين ولا إرهاب في ديانة .. الخطأ والإرهاب والقسوة في الجهل وحده .. من يعلم يصيح إنساناً ، ومن يبقى جاهلاً وحده يقسو ويخطئ ..

وسأله المذيع اللامع عن الطريق إلى هذا العلم .. الطريق إلى تصحيح الأوضاع والصور .. سأله عن الطريق إلى السلام بين البشر على كوكب الأرض ..

عابدة رفعت عينها الجميلة ، التي رقصت فيها دموع صغيرة ، لتقول إن الطريق إلى رؤية الله وفهم رسالاته بأي لغة جاءت ، وعلى يد أي رسول كان ، هو طريق يخلو فيه الحب إلى جوار الألم ..

عابدة قالت إن من يدركون الحقيقة رغم بساطتها ، التي قد تبدو معقدة هم الأشخاص الذين أحبوا وتألوا .. الحب والألم يطهران النفس ويفسلان الغشاة عن الأعين والقلوب .. هناك فقط قلوب ضعيفة يرهقها الألم تنسقط في دائرة الإرهاب والضلال .. هناك قلوب تموت لتخرج من خلف جشها المتعنة أيديولوجيات كريمة ، تسيء إلى الأديان وإلى معتنقيها .

كان حديث عابدة هادئاً قريباً واثقاً ، وشعرت بأن كل كلمة قالتها لاقت نجاحاً كبيراً ، وأن آلاف الآلاف من شاهدوا البرنامج ، ولم يكونوا على علم بروايتها سيقرونها ..

بأصابعها الجميلة الرشيقة ، عادت عابدة تتحسس صفحات جريدة «مورنينج نيوز» في حنان بالغ .. لا تصدق أنهم كتبوا هذه المقالة الرائعة عن روايتها ، التي أطلقت عليها اسم «عندما عشقت المسلمة إنجليزياً» .. لا تصدق أبداً أن روايتها حققت هذا النجاح الكبير ..

لا تصدق أبداً أنه ، وفي أسابيع قليلة باعت آلاف النسخ ..

لا تصدق أبداً أن عابدة صابر أصبحت كاتبة إنجليزية مشهورة ، تتحدث عنها الصحف ، وتسعى المحطات التلفزيونية لاستضافتها .. بالأمس كانت على قناة الـ BBC تتحدث عن روايتها لمدة ساعة ونصف .. لقد قال لها «هنري ويليام» مقدم برنامج «أرت شو» الشهير إنه يكي ، وهو يقرأ عباراتها الرقيقة البسيطة ، التي وصفت بها بطل الرواية ، والتي ذكرت على غلافها أنها قصة واقعية .. قال لها إنه يكي ويكي الآلاف عند قراءتهم عنها ، وعن دمعانها يوم وفقت على قبر ماري ، تعدها في صدرها أن تحيا من أجل آدم .. البريطاني الصغير ، الذي عشقته المسلمة القادمة من الشرق البعيد ..

سأله كيف استطاعت أن تجعل قراءها يكرهون ذلك المسلم ، الذي تزوج ماري البريطانية ، حتى كادوا يكرهون ديانته وولاده ، وكيف استطاعت بالذكاء والبساطة ذاتها أن تجعلهم يقعون في غرام الإسلام وبلاده ، عندما ظهرت عابدة لتحضن الطفل الصغير الذي ماتت أمه .

عابدة قالت في حنان إن الواحد الأحد خلق القلوب وفطرها على الحب .. على العطاء ..

عابدة بعد قراءتها لمقالة هذا الصباح أيضاً ، علمت أنها في شهر قليلة
ستصبح من أئرى وأشهر سيدات أوروبا .

إنها سعيدة .. لكن مازال في قلبها ركن حزين مطلقاً .

مازال في روحها طفلة صغيرة يتيمة ، تقف في انكسار ، وتسقط على
وجنتها دمعات كثيفة ..

عابدة مازال على شفتيها رائحة شفاء ، وقفت على كيانها لحظة ؛ لتخلق
امراً تعلم برجل وحده يسكن معها عروقتها ..

عابدة مازالت تعلم بهاشم .. منذ تلك الليلة .. منذ تلك اللحظة .. منذ
ذاك العناق وتلك القبلية ، وهي تنتفض إليه شوقاً وترنو إليه حيناً ..

لماذا لا يكتمل في حياتها شيء واحد .. كل شيء في حياة عابدة مبتور ..
كل شيء في أقدارها ينقصه شيء ..

كانت طفلة جميلة رائعة .. لكنها كانت فقيرة وحيدة .. كانت في بيت
منعم صادق شابة جميلة رائعة مدللة .. لكنها سجيبة يتيمة .

جاءت لندن لتعانى مع صلاح رفاعي .. حتى عندما أصبحت أمّاً لأدم ،
ضاع منها هاشم ..

حتى يوم نجحت وحقت نجاحاً ، قد لا يعرف مذاقه الملايين .. مازال
في قلبها شريان مبتور ، ينزف في قسوة وعنف .

هل تبقى العمر وحدها .. هل تبقى العمر تحيا على ذكرى قبلية وأطياف
عناق بعيدة؟

هل تشيب رأسها وهي هنا وحدها .. هل يكبر آدم ، ويتركها في فراشها
وحيدة ، دون صدر تهدأ عليه ، أو كف تلقى بينجاحتها وآلامها وضحكاتها

بين أصابعها؟

صعب أن تكون الأرض أمامك مفتوحة الذراعين .. ووحدهك تصلب
جسدك على قطعة خشب بالية ..

صعب أن يناديك العالم في سغاه ، وأنت بيدك تغلق عينيك وأذنك ؛
لتسمع صوتاً واحداً وتعلم بوجه واحد ، ونغماً على أمل واحد ، وأنت تعلم
وتؤمن أنه المستحيل ..

ورفعت عابدة عينيها في كبرياء ..

إن كان الحب أصبح مستحيلاً .. فعابدة منحها الله ما هو أقوى من الحب
.. منحها الله ما لن تأخذه منها الأيام ، أو تحرمها إياه الأقدار ..

عابدة صابر منحها الله القلم .. ستكتب وتكتب ..

في سطور رواياتنا ستعود إلى بلادها ، وتتجول في طرقاتها ..

في سطور رواياتنا ، لن تكون هناك أقدار مبتورة .. مع القلم ، وعلم
السطور عابدة ستحيي كل ما حرمت إياها الأقدار ..

ستحيي الحب .. ستحيي الحنان وستحيي الكيال ..

من الغد ستبدأ في كتابة رواية جديدة .. رواية تحكي فيها عن حب عنيد
لن يموت .. رواية تحكي فيها عن قبلية ما كانت قبلية .. لكنها نغماً العمر على
شفاه امرأة عاشت ، وستموت بشفاه عذراء ..

في روايتها الجديدة ستكتب عن صفائر أمل ، وقصائد عشق عديدة أنارت
الدرب ، وصنعت من فتاة صغيرة ضعيفة امرأة شهيرة عاشقة للخير والأمل
رغم حرمانها منها زمناً ..

عابدة ستكتب رواية جديدة ، وستسميها:

«رغم الفراق» !!!

شعره الأشقر مصفف في جمال ، ومن جيب جاكيت بدلة يطل رأس
متدبل حريري وردي اللون ، له نفس لون البايون الوردية ، التي تطل على
عشق قميصه الأبيض .. وصاح قائلًا:

عمري ما شفتك حلوة كذا يا عابدة ..

وقبل أن تجيب ، سمعا طرقات على باب جناحها الصغير ، في منزل توني
والتر ، وركض آدم يفتح لسمعه يصيح من بعيد :

عابدة .. توني عايزك ..

وانحنت عابدة تأخذ حقيبتها السواريه الصغيرة ؛ لتغادر الغرفة قائلة:

أنا جاهزة يا توني ..

ورأته هو الآخر في كامل أنافته .. حتى هو كان يرتدي بدلة سوداء كاملة
ورباطة عنقه كانت من اللون الأحمر الداكن ، وكان يحمل في يديه صندوقًا
كبيرًا ، وقال وهو ينظر لها:

زي القمر يا عابدة .. لكن خدي حتقلمي الفستان اللي أنتِ لابساه
وحطيسي دا ..

وفي ذهول أخذت عابدة الصندوق الورقي الكبير ، والذي كان مغروشًا
عليه حروف شانيل بخط أسود أثيق ، وفتحت الصندوق لتخرج من طياته
ثوبًا قصيرًا من الشيفون الأسود ، وصاحت في ذهول:

فستان شانيل يا توني!!

وابتسم توني قائلًا:

لما بيبي أكبر دار نشر في بريطانيا عاملة حفلة كبيرة لأنجح مؤلفة على أرضها
اليومين دول .. يبقى مش ممكن تروحي لإفستان شانيل .. ادخلي البسيه ..

في هدوء أغلقت قلم أحمر الشفاه الوردى ، ووضعت بجوار مرآتها ،
بعد أن مرت على شفاهها المستديرة به في طبقة كثيفة ، وابتسمت عابدة في
هدوء ..

انتهت من وضع ماكياجها الكامل .. عيناها الخضراوان مرسومتان بعناية
وحول اتساعها ، مرت بقلم من اللون الأخضر المتلاشي ، وعمل رموشها
الكثيفة طبقتان من الماسكارا .. هي نفسها لم ترى يومًا عينيها بهذا الجمال وهذا
الاتساع ..

أحمر شفاهها الوردى له نفس لون أحمر خدودها ، الذي مسحت به
وجنتيها الجميلتين .. حتى حاجبيها ، مرت عليها بقلم ديور بني اللون
جعلهما أكثر كثافة وانتظامًا ..

ونظرت إلى ثوبها الأبيض الذي ترتديه .. إنه ذاك الثوب الذي اشترته لها
هدى ، وارتدته هي يوم زفاف دينا ..

واستدارت تنظر إلى آدم ، وهو يجلس على حافة الفراش الذي يتسائنه
مما .. كان في عينيهِ الزرقاوين الصغيرتين صبيحة ابتهاج كبيرة ..

هو أيضًا بدا أثيقًا جميلًا ، كما لم تراه يومًا ..

زاد طوله واقتراب من كتفيها وزاد جاهؤه ، وهو يرتدي حلة كاملة توكسيدو
كأنه حقًا عريس في ليلة زفافه ..

في إحدى أكبر قاعات المؤتمرات في قلب لندن ، كان الحفل والمؤتمر الصحفي الذي أقامته دار النشر لعابدة وروايتها ، التي حركت قلوب مئات الألوف من القراء في أوروبا وأمريكا في وقت قصير ..

وتحدث رئيس الدار عن سعادته وفخره برواية عابدة .. تحدث أيضًا عن سعادته الأكبر باقتراب إصدار روايتها الثانية ، في بداية العام المقبل ..

ودارت المناقشات وصورتها الكاميرات ، وحادثها الصحفيون ، وعندما طلبوا منها الإدلاء بكلمة ، توجهت عابدة بخطواتها الرقيقة لتعطي تلك النصبة الصغيرة ، لتقول بعد لحظات ، وهي تنظر حولها في حنان:

لم أكن أعلم أو أتوقع أبدًا أن تحقق روايتي كل هذا النجاح ، وأن تلك الأحداث التي رصدها قلبي ستحملني يومًا إلى هنا .. ولكن أنا سعيدة لأنني أصبحت أكثر إيمانًا بأن الصدق والحب هما اللغة التي يفهمها الجميع ويفهمها الجميع .. روايتي حروها كانت صادقة .. أحداثها جميعًا كانت حيا .. حيا للسلام .. للعطاء .. للحياة ، ولهذا أحبها من قرأها .

أنا أيضًا أصبحت أكثر إيمانًا بالمجتمع ، الذي أحيا فيه ، وأشرف بأنني أصبحت أحمل هويته وجنسيته .. أصبحت أؤمن أنني على أرض ، تقدّر الصدق ، وتفتح ذراعيها له وللحب بكل الحب ..

ويحب كبير ، نظرت عابدة إلى وجه توني وكريستين ، ابتسمت ابتسامة صغيرة ، ثم عادت تنظر إلى آدم وبيتر ، ثم قالت:

وغابت عابدة لحظات لتخرج ، وهي ترتدي الثوب الأسود ، الذي يكشف مساحة كبيرة من ظهرها ، ويقف بحبل سميك من اللؤلؤ الأبيض حول عنقها ليترك كتفيها عاريين تمامًا .. ومن الأمام يطل صدرها الأبيض المستدير من خلف قصة الصدر الواسعة المكشوفة ، ثم تتسدل بقية الثوب حول جسدها في خفة واتساع ، متهيأ قبل ركبتها البيضاء الجميلة بحوالي عشرة سنتيمترات ، وفي قدميها الجميلة ارتدت حذاء أيضًا ، وجدته في صندوق توني من اللون الأسود ، وحافته الأمامية بيضاء وكعبه 7 سم أيضًا أبيض عاجي ، وفي نهاية كعبه حلقة فضية مستديرة ..

ووقفت عابدة أمامها تدور بثوبها الرائع في دهشة ، لا تصدقها ، وأخذها توني بين ذراعيه ، وهو يمس:

ولا أجل نجاحات هوليوود يا عابدة .. بللا بينا .. كريستين وبيتر زمانهم في العربية .



سير توبى والتر .. مسز كريستين والتر .. أنا أهديكما هذا النجاح ؛ لأنكما وحديكما من صنعاه .. وأهذي قلبي وكل مشاعر الحب للصغيرين ، اللذين علماني كيف يكون الحب ، وكيف يمحو ويخلق ، ويعمل من امرأة صغيرة ضئيلة مثل امرأة تقف الآن على هذا المنبر الرائع ، مستمتعة بكل هذا الدفء والنجاح ..

وقبل أن تغادر مكانها ، وقف آدم في ثبات لیسמע الجميع يقول:

يمكن أقول كلمة؟

وابتسم مسز جونز رئيس الدار ، وهو يشير له بالتقدم إلى جوار عابدة ؛ حيث وقف آدم إلى جوارها ، وابتسم قائلاً:

أنا سعيد بوجودي هنا .. أنا سعيد لأنني فقدت أمًا ، وأصبح عندي أم أخرى .. لكن سعادتي الكبيرة هي أن عابدة جعلتني سعيدًا وفخورًا بأنني مسلم ..

زمان كنت أخلج من ديناتي التي اكتسبتها من والدي .. ولكن عابدة جعلتني أشعر أنني أول مسلم صغير يتكلم عن دينه ، وهو يفهمه ومقتنع به ؛ لأن هذا الدين جعلها أمي ، وجعلني لا أحمل لقب يتيم أبدًا ..

ووضعت عابدة ذراعها حول كتف آدم في حنان ؛ ليعلو صوت تصفيق هادئ من كل الحاضرين !!

في هدوء رفعت عابدة عينها ، ترقب بيتر وآدم ، وهما يلعبان في الحديقة من خلف زجاج النافذة ..

إنها سعيدان .. لقد أعلنت عابدة أنها لن تترك هذا الملحق ، الذي تسكنه مع آدم أبدًا .. لقد وفرت لها دار النشر سكنًا كبيرًا وأنيقًا في إحدى البنايات المطلّة على الهايدپارك .. ولكنها بعد تفكير طويل ، وبعد مناقشات كثيرة مع آدم وتوبى وبيتر ، قالت إن السعادة ليست بعدد الأمتار التي يحيا فيها الإنسان ، ولكنها بعدد الأشخاص الذين يحبهم ويقسمون معه الحياة بكل ما فيها .. قالت عابدة إن هذا الملحق الصغير يجمع أكثر من أحبّتهم ، وأكثر من ساهموا في خلق الأديبة الناجحة التي تسكن جلدّها .

وابتسمت في حنان ، وهي ترى بيتر يقع على أرض الحديقة ، وآدم يمنحه يده ليستند إليها ، ويقف من جديد ؛ لينطلقا إلى لعبها مرة أخرى ..

ليس عيبًا أن تسقط .. ليس غلطية أن نخطئ .. أخطأت هي يوم ظنت الأرض بأكملها شخصًا واحدًا اسمه هاشم .. أعطأت دينا يوم ظنت أن حبها لحسن يجب أن يجعل منه قديسًا ، لا يضعف أو يخطئ ..

إن لم نخطئ كيف نتعلم .. إن لم نذنب كيف إذن نتطهر .. إن لم نيك كيف نيسم؟

هاشم ليس كوكب الأرض .. لكنه حببها .. حسن ليس قديسًا .. لكنه رجل دينا ورجل بيتها ووطنًا سيهودان ..

بأننا رغم الفراق

مازلنا ومازلنا ومازلنا !!..

إذا ما جاء الفراق يوماً

وأباحوا لنا تشريح جثة الحب

وتسويه البقايا ..

فلا تفعل .. ولن أفعل ..

بدأنا الحكاية قبل الفراق أنقياء ..

فلنته الحكاية بعد الفراق عظماء !!

www.mlazna.com
RAYAHEEN

قد يعود هاشم وقد تصفح ديناً ، ولكن سنبقى الحياة نقضي .. مستفحك
 عابدة وتكتب وتبكي .. مستفقط كثيراً ، ولكن كما مدّ آدم كفه الصغير منذ
 لحظات إلى بيتر ، مستجد عابدة من يمد كفه نحوها ، وإن لم تجد سيقى القلم
 عكازها .. لن تتبثر عند أقدام الأحلام .. الواقع وحده من يستحق أن
 نحياه .

ونفضت في هدوء ثقلب في أوراقها ، تبحث عن ورقة قديمة ، وجدتها
 بين طيات أحد الكتب ، التي منحها إياها هاشم يوماً ، وعندما وجدتها
 فتحتها وأغمضت عينها تذكر ..

إنها قصيدة لشاعرة مجهولة ، لم تنجح هي أو هاشم في الوصول إلى
 دواوينها .. وجدوا القصيدة يوماً على صفحات الإنترنت ، وكتبها هاشم
 يومها ووضعها في أحد الكتب ..

ترى هل كان يعني أن نجدها عابدة ، أم أنه نسيها بداخلها يوم منحها هذا
 الكتاب ، وفتحت عابدة الورقة ، وأخذت تقرأ من جديد:

إذا ما جاء الفراق يوماً⁽¹⁾

وجعني بك بعد الفراق طريق

وكانت تمسك ذراعيك

وكنت أتعكز ذراعيه ..

فلا تقل لها كنا ..

ولن أقول له كنا ..

فوجدنا نعلم سيدي ..

(1) قصيدة وجدتها يوماً على بريدي الإلكتروني ، ولم أعرف مؤلفها !!

مازلت أخيراً للفقائي به أنوثاً وعطوياً ..

مازلت أقرأ له أشعاراً وقصائد ..

ومازلت أنت صديقتي الوحيدة .. مازلت ابنتي وحبيبتى رغم الفراق ..

الحب في الفراق لا يموت .. وأنا أراك تضمين «خثار» إلى صدرك
وتتسقين رائحة حسن ، وتلتصقين به أكثر ، وتشعرين به أكثر رغم الألم
ورغم الفراق !!

يا صديقتي:

إن كان الحب كبيراً لا يموت ، فهناك يوم تنتهي فيه أيام الفراق ، وتموت
ليأتي الحب معمولاً من جديد على كف النسيان والرحمة !!

عائدة



دينا ..

رحيل حسن وسفره ليس نهاية القصة ..

خطبة هاشم وزواجه ليس أيضاً نهاية القصة ..

فراقى عن مصر وعجزي وضعفى عن مواجهة هاشم ليس أيضاً نهاية
القصة ..

كبرياتى التي تمنعني من الحضور والوقوف بباب هاشم ، ليس قوة بل هو
الضعف الحقيقي والضعف الكبير ..

رحيل ماري عن آدم ورحيل سيلفيا عن بيتر ، واختفاء ماما نجوى ،
ومصيرها الذي قد نعرفه أو لا نعرفه ليس أيضاً نهاية الحكاية ..

في الحب قد يكون الفراق هو البداية ..

في العشق قد يصبح الحب أكبر ، وقد يجيء عمراً أطول ، وقد يصنع
نجاحات وينير دروباً وطرقاً ، إذا ما حلَّ به الفراق ..

مازال آدم يحادث ماري .. مازال توني يحمل الزهر إلى سيلفيا .. مازال
الأمل بعشورك على طقط نجوى قوياً .. ومازال حسن في عروق أيامك
وضحكات خثار ودمعته .. ومازلت أنا .. مازلت أرى رأس هاشم على كل
حرف أكتبه في رواياتي وكتاباتى!

حكماً بالإعدام!!
 أشهد أنك أشعلت عود ثقاب صغير
 وأحرقت أكبر الجسور
 وآخر الجسور
 ومضيت في سكون!!
 وحدي وقفت على حافة النهر
 أرقبك في جنون ..
 أشهد أنك وأشهد إني ..
 أشهد أني أراك على حافة النهر
 يأكلك الندم ..
 وأشهد أني في قلب النهر
 يكمنني الكبرياء ..
 لا أنت تنقلني ..
 ولا أنا بك أستغيث ..
 يا سيد الحكمة:
 لا أنت نجوت ..
 ولا أنا غرقت!!

من ديوان

« عادت سنديلا حافية القدمين »

لـ «نور عبدالمجيد»

ولا أنا غرقت!!

أشهد أنك رحلت في محضر وهدوء ..
 وحدي سقطت في بربرية أشواقني ..
 وثورات أحزاني وعويل ذكرياتي ..
 أشهد أنك في اللحظة التي تعثر فيها
 جواد الحب ..
 أطلقت رصاصة الموت في رحمة وحكمة ..
 وحدي بقيت أنلو الصلوات ..
 وأطارد الأمل ..
 وأقتات فئات الزهر والكلمات ..
 أشهد أنك في ثبات حطمت الهدايا
 ومزقت الرسائل وأحرقت الصور ..
 وحدي بقيت خلف قضبان الذكريات
 أجتر اللحظات وألحق الجراح ..
 وألهم العطور والأثواب ..
 وحدي أصدرت على النسيان